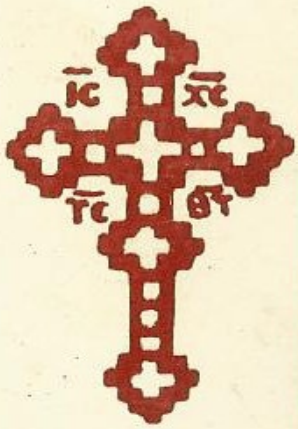




وكلمهم أيضا بأمثال



القمص

لوقا سيداروس



كنيسة مارجرجس باسبورتنج

وكلمهم أيضا بأمثال

القمص لوقا سيداروس
كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
سبورتنج - إسكندرية

اسم الكتاب: وكلمهم أيضا بأمثـال.
اسم المؤلف: القمص لوقا سيداروس.
الناشر: مكتبة كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس – سبورتنج
المطبعة: مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط
رقـم الإيـداع: ٢٠٠٩/١١٩٥٦
الترقيم الدولي: 3 - 191 - 392 - 977:L.S.B.N.

التحويل لكتاب الكتروني:

[Coptic kindle books]





@COPTICKINDLE

مق ـدم ـة

" ه ـذا ك ـل ـه ك ـل ـم ب ـه يس ـوع الجم ـوع بأمث ـال، وب ـدون مث ـل لم يكن يكلمه ـم، لك ـي ي ـتم م ـا قي ـل ب ـالنبي القائل: سأفتح بأمثال فمي، وأنط ـق بمكتوم ـات منذ تأسيس العالم " (مت ١٣: ٣٤ - ٣٥).

أي أن يعلم رب المجد يسوع بأمثال فهذا جاء تكميلاً لنبوة قديمة نطق بها داود النبي في (مزمور ٧٨: ٢)، قبل مجيء المسيح بأكثر من ألف سنة. فلم تكن مصادفة إذن أن يعلم السيد المسيح بأمثال، بل لقد كان هذا من أعمال التدبير الإلهي الذي سبق فأنبأ به الأنبياء ولم يتوسط الرب بمثل إلا لكون السامعين. كانت لهم عيون ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون ولا يفهمون.

وق ـد ح ـوت أمث ـال ال ـرب أس ـرار ملكوت الله، وأس ـرار مكنونة قبل كون العالم لم يعرف بها بنو البشر.

وقد طلب التلاميذ الأطهار إلى السيد المسيح في أكثر م ـن م ـرة ق ـائلين: " فسّر لنا المثل "، وك ـان ال ـرب يق ـول ل ـه ـم علانية: " لكم أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات ". أي أن الرب أعطى تلاميذه في كل مكان وكل زمان أن يتمتعوا بمحبة الرب وينظروا ملكوته بوجه مكشوف. " ونحن ناظرين إلى الرب بوجه مكشوف "، وذلك بعد أن رفع الحجاب، وسقط البرقع الموضوع على القلوب الذي أبطله المسيح بظه ـوره وصليبه، حيث انشق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل لأنه حتى الآن مازال البرقع موضوع على قلوب كثيرة حين يقرأون الأسفار كم ـا ك ـان ف ـي أيام موسى، لأنه ـم ل ـم يستطيعوا أن ينظروا إلى بهاء وجه موسى مع أنه زائل.

أم ـا عطي ـة المس ـيح للتلاميذ فقد قامت برفع البرقع المادي بم ـا لا يق ـاس. كش ـف المسيح ك ـل الأس ـرار وق ـال: " الذي يحبني يحبه أبي وأنا أظهر له ذاتي "، فصارت المعرفة الفاضلة لنا من الله والتي أجزله ـا لن ـا بك ـل حكم ـة وفطنة إذ عرفنا بسر مشيئته التي أنعم بها لنا في المحبوب. صارت ليست كحكم ـة البشر أو فلاسفة وحكماء ه ـذا ال ـدهر الذين يبطل ـون، ب ـل ص ـارت لن ـا اختب ــارا لن ـور الحي ـاة ال ـذي أشرق في قلوبن ـا لإنارة معرف ـة محبة الله ف ـي وج ـه يس ـوع المسيح.

هكذا جاءت أمثال الرب بسيطة، غاية في البساطة، عميقة، غاية في العمق. سرية حاوية لأسرار الملك ـوت لا يفهم قصدها الإلهي إلا الذين أعطى لهم.

فليس من الصواب أن يعمل الإنسان فكره ويجهد عقله في فهم أمث ـال ال ـرب، لأن هذا الطريق لا يوصل الإنسان إلى شيء بل يجدر به أن يفتح باب قلبه ليقبل كلمة الحياة القادرة أن تجدد الذهن وتغير الحياة.

فلنحرز إذن وتقترب بالروح ونطلب أن يفتح ذهننا لكي الكتب فيلتهب قلبنا فينا ونثمر لله.

بين يديك أيه ـا الحبي ـب ه ـذه الكتيبات الصغيرة م ـن سلسلة " وكلمهم أيضا بأمثال

" وهي عبارة عن تأملات في مجموعة من الأمثال التي نطق بها الرب يسوع، تقدمها كمثل للتمتـع بالإنجيـل بعيـدا عـن العقلانيــات والـجـدل وقد تكون هذه المقالات نافعة أو تفتح لك بابا فعالاً في قراءتك للإنجيل. راجين من الله أن تكون بركة وسبب بركة، بشفاعة أم النور القديسة مريم وطلبات جميع القديسين آمين.

١٥هاتور ١٧٠٣ ش - ٢٤ نوفمبر ١٩٨٦ م
تذكار شهادة القديس مارمينا العجائبي
القمص لوقا سيداروس

مثل قاضي الظـلـم (لو ١٨: ١ - ٨)

" وقال لهـم أيضـا مـثلاً في أنه ينبغي أن يصـلى كـل حـين ولا يمـل، قائلا: كان في مدينـة قـاض لا يخاف الله ولا يهـاب إنسانا، وكان في تلك المدينة أرملة، وكانـت تـأتي إليه قائلة: أنصفني من خصمي! وكان لا يشاء إلى زمان، ولكن بعد ذلك قال في نفسه: وإن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنسانا، فإني لأجـل أن هـذه الأرملـة تزعجني، أنصـفها، لئلا تـأتي دائمـا فتقمعني! وقـال الـرب: اسمعـوا مـا يقـول قاضـي الظلم. أفـلا ينصف الله مختاريه، الصارخين إليـه نهـارا وليلاً، وهـو متمهل عليهم؟ أقـول لـكـم: إنـه ينصفهم سريعا! ولـكـن متـى جـاء ابـن الإنسان، ألعله يجد الإيمان على الأرض؟ " (لو ١٨: ١-٨).

الصلاة كل حين:

ترى إلى أي مدى أراد الرب أن يشجعنا على الصـلاة حتى أنه ضرب لنا هذا المثل. فالصلاة علاوة على أنها شرف لا نستحقه وامتياز يغبط من يحصل عليه... وهي عمل الملائكة وأم جميع الفضائل إلا أننا كثيرا ما نفشل في الصلاة لعوامل كثيرة. على أن الرب الحنـون يشجعنا بكل وسيلة حتى لا يغلق باب السماء دوننا... فنحن حينما تصلي تكون في حضرة القدير وهذا الوجود فيه هو منتهى القصد الإلهي من نحونا...

ترى لماذا يريدنا أن نصلي كـل حـين سـوى أنـه يريدنا متحدين به عائشين لـه وبـه وفـي‌ـه كـل حـين. وقد جاءت الوصايا الإنجيلية هكذا متوافقة مع هذه الكلمات، وقد كررها القديس بولس الرسـول أكثـر مـن مـرة قـائلاً: "صـلـوا بلا انقطاع" (اتس ٥: ١٧)، " فأطلب أول كل شيء، أن ثقـام طلبـات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجـل جميـع النـاس "(اتي ٢: ١)، وهكذا فمنذ البداية والصلاة المستمرة هي نبض الحياة الروحية الذي يجب ألا يتوقف لحظة.

حتى أن أحـد الآباء يقول: " الذي لا يصلي إلا وقـت الصلاة فقط فهو لم يصل أبدا. الذي أفرد وقتا للصلاة ينتهي منهـا بانتهاء الوقت، قد أغلق على نفسه وصار متغربا عن الحياة بالروح ".

وقد جعل الآباء القديسون من الصلاة الدائمة برنامج حياة عاشوها وتذوقوا ثمارها وعلموها لأولادهم واستودعوها الكنيسة الحية كخبزة روحية تدوم إلى جيل الأجيال. وقد اقتطعوا لذلك بحسب اختبارهم آيات قصيرة أو طلبات نفاذة في كلمات قليلة كرروهـا بـلا شبع... بل أن بعضهم اكتفى بترديد اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح واعتبروها قمة الصلاة. أن تختلط حياتهم بالصلاة القلبية بكل خلجاتها وبكل دقائقها، بل في صحوهم ونومهم، لقد صار اسم يسوع لهم هو الكل في الكل.

علـى هـذا نفذت كلمـات الـرب إلـى أعمـاقهم، فحـين سمعوها من فم الرب أنه ينبغي أن يصلي كل حين لم يكفوا عن الصلاة أبدا حتى في أوقات نومهم ظل عقلهم الباطن يستلهم كلمات الصـلاة وروح الصـلاة... " أنا نائمـة وقـلـبـي

مستيقظ، صوت حبيبي قارعا: افتحـي لـي يـا أختي، يـا يا حبيبتي يـا حـمـامتي، يـا كـاملتي! لأن رأسي امتلأ مـن الطـل، وقصصي من ندى الليل " (نش ٥: ٢)

الصلاة بإيمان:
وقد بدا واضحا أن الرب يسوع قصد الصلاة كفعل إيماني بالدرجة الأولى لأنه أنهى كلمات المثل الإلهي قائلاً: ابن الإنسان متى جاء (في مجيئه الثاني) ألعله يجد الإيمان على الأرض، أي أن الصلاة التي فيها روح اللجاجة والطلبة بتوسل والثبات أمام الله حتى تنـال... هذه الصلاة تكـون مسنودة بالإيمان.
لأن المرتـاب لا ينـال شـيئا مـن عنـد الـرب، والرجـل ذو الرأيين هو متقلقل في جميع طرقـه وقـد قـال الرسـول يعقوب: " ولكن ليطلـب بإيمـان غير مرتـاب البتة، لأن المرتاب يشبـه مـوجا من البحر تخبطه الريح وتدفعه " (يع ١: ٦). وقد تساءل الرب أنـه فـي مجيئه الثاني المخوف، هل سيجد هذا الإيمان على الأرض؟ إيمان الطلب بلجاجة والثقة أنه سيستجيب حتى لو تأنى أو تمهل، إيمان الثقة واليقين أننا سننال ما طلبناه منه. الإيمان الذي يدفعنا إلى الصلاة ويفتح لنا بها باب رجاء في الله.

وهذا هو المثل:
كان في مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب إنسان؟! لقد شبه الله نفسه بأمور كثيرة لكي يقرب إلى الإنسان معنى من المعاني الروحية غير الملموسة لكي يحضرها للإنسان مرئية وملموسة ومدركة. فمرة يشبه نفسـه بـالراعي الصالح يرعى خرافه ويبذل نفسه فدية عن الخراف يحمل الحملان ويقود المرضعات، ومن خلال هذا التصوير تستطيع أي نفس بسيطة أن تستلهم وتدرك مركزهـا لـدى الله فتقول: " الـرب يرعاني فلا يعوزني شيء " (مز ٢٣: ١)، ومرة أخرى شبه نفسه بالطائر يجمع فراخه بين جناحين يحمي ويزود ويعطي دفء وحيـاة، حـب وحنـان، سلام وطمأنينة، وتستطيع النفس أن تدرك قدر الحـب والعطاء في الله فتلتجئ إليـه كالعصفور الصغير تحتمي تحت ظل جناحيه... وتقول قلبي وجسمي يهتفان بالإله الحي. ومرة يشبه نفسه بالعريس الفرح بعروسه يخطبها لنفسه ويرى فيها كل ما هو جميل وكل ما هو طاهر ولا يرى فيها عيبا بل عيناها حمامتان ويقول: " ها أنت جميلة يا حبيبتي، ها أنت جميلة! عيناك حمامتـان مـن تحـت نقابـك شـــــــعـرك كقطيـــــــع مـــــعـــــز رابـض على جبل جلعاد " (نش ١: ٤).
وتستطيع النفس أن تكتشف قيمتها الغالية لدى الله وكيف اشتراها لتكـون لـه وتلتصـق بـه وتترك أباهـا وأمهـا وأهلهـا وعشيرتها وتميل بسمعها وتنسى شعبها وتلتصق بعريسها وتفرح به فرح أبدي.
ومرة أخرى يشبه نفسه بامرأة ضاع منها درهما، فجلست تفتش عليه، تكنس البيت لعله يكون قد توارى تحت تراب الجسد أو غبار الشهوات جاءت عليه، وقد داسه الناس.. ومتى وجدته تفرح به وتدعو الجارات للفرح... لعل النفس تدرك

إصرار الله على وجود الخاطئ وتفتيشه عليه... لأنه كما يحمل الدرهم صـورة الملك وخاتمه هكذا نحمل ونحن خطاة صورة الله ورسمه واسمه علينا.
وهكذا لا نستطيع أن نحصي التشبيهات التي توسط بها الله، لكن بلغة البشر الضعفاء الأرضيين ومن واقع الحياة اليومية تدرك لهفة الله وحبه نحونا ومراحمه التي تدركنا وتطلبنا.
أما في هذا المثل فقد بلغ التشبيه أعلى درجات العجب، إذ يجعل الرب أمامنا قاضي الظلم لا يخاف الله ولا يهـاب إنسان. قاض قاسي القلب متحجر المشاعر... ولكن إلحاح الأرملة ولجاجتهـا كسرت قلبـه واستمطرت عطفـه كمـا مـن الصخر، وكأن الرب يقول: إن كان إلحاح المرأة ولجاجتها قد حننت هذا القلب القاسي فكم بالحري نستعطف قلب الله كلي الحنـان؟! وإن استجاب هذا القاضي بسبب الإلحـاح فمـاذا يكون الحال إذ ألخ المختارون على الله وهو متمهل؟
طبعا لا وجه للمقارنة ولا وجه للتشابه بين الله كلي الرحمة وكلي الحنان والسخي في العطاء الكريم في التوزيع وبين هذا القاضي الظالم. ولكن بضدها تعرف الأشياء.

فأنت يا أخي حينما تصلي لا تقف أمام هذا القاضي تطلب وتتوسل، بل أنت تقف أمام الله الرحيم، الكثير التحنن الذي لم يرفض نفس واحدة.
أليس هو القائل: " تعالوا إلـي يـا جميع المتعبين والثقيلـي الأحمـال، وأنـا أريحكـم " (مت ١١: ٢٨)، ألم يقل: " كل مـا يعطيني الآب فـإلـي يقبـل، ومـن يقبـل إلـي لا أخرجـه خارجـا " (يو ٦: ٣٧)، هل قرأت في الإنجيـل أنـه رد سائلاً أو خيب رجاء أحد.
نحن نقف لنصلي وترفع أيدينا نحـو العطـوف مصـدر الحب الذي كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي نازلة من فوق من عنده، الذي يفتح يديه ويشبع كل حي غنى من رضاه.
لذلك تتشجع جدا إذ نتقدم إلى السخي في العطاء الكريم في التوزيع. نتقدم بثقة وإيمان ورجاء ويقين شديد.

وكان في المدينة أرملة:
هنا الذي يخصنا في موقف الصلاة... وهذا ما يجب أن يكون عليه حالنا ونحن نتقدم لنطرح سؤالنا لدى الله.
إن الرب يشبه النفس هنا بهذه الأرملة، عادمـة القـوة، بلا سند وبلا عضد، ولها خصم رهيب أراد أن يقتنصها ويذل كيانها، استغل فقرها وذلها وحسب ضعفها فرصة لافتراسها.

عدو وخصم رهيب:
إلـى مـن تذهب هذه الأرملـة؟ وهـل لـهـا غيـر السـؤال والصراخ؟ هكذا يكون حال الذين يحسون بضعف بشريتهم وافتقارهم إلى الفضيلة، ويشعرون في

نفوسهم أنه‌م ع‌ادموا السند والركن في هذا العالم وليس لهم سوى الالتجاء إلى الله. وها هوذا العدو يجول كأسد زائر ملتمسا أن يبتلع واحد وها هو يظلم ويغتصب ويريد أن يفترس. هل وقفنا أمام الله هذا الموقف في الصلاة... موقف المضغوط وليس أمامه منفذ سوى طاقة مفتوحة في السماء.
هل تشبثنا بالرب كيعقوب أب الآباء إذ أحس أنه إذا تركه ف‌لا برك‌ة ولا حي‌اة ولا س‌لام فتمس‌ك ب‌ه ق‌ائلاً: " لا أطلقك إن لم تباركني " (تك ٣٢: ٢٦)، ولكننا نصلي كأننا لسنا في عوز، وبرودة مشاعرنا تدل إما على عدم وقوفنا على حقيقة حالنا أو أننا قد استغنينا ولا حاجة بنا إلى شيء.
لنضع أمامنا المرأة الكنعانية والعدو كاد يفترس ابنتها فلم تجد سوى المسيح تصرخ وراءه: يا سيد يا ابن داود ارحمني. وها القديس بطرس الرسول يرد على الرب عندما رجع كثير من التلاميذ إلى الوراء قائلاً: " يارب إلى من نذهب؟ ك‌لام الحياة الأبدية عندك " (يو ٦: ٦٨).
إذن نتقرب إلى الرب بهذا الانكسار وهذا الاحتياج. شعور بالعوز يشدنا إلى فوق وضغطات العدو تدفعنا دفعا. ألم يكن هذا منظر موسى وجميع بني إسرائيل عندما أدركهم العدو فرعون بخيول ومركبات على مشارف البحر الأحمر.
ألم يكن هذا هو موقف داود رجل الصلاة عندما قال: " ضاع المهرب مني، وليس من يسأل عن نفسي، فصرخت إليك "(مز ٤: ١٤٢)، ألم يكن هذا هو حال يونان إذ غطته اللجج وضاق به الحال فصلى يونان إلى الرب إله‌ه م‌ن ج‌وف ال‌ح‌وت قائلا: " دعوت من ضيقي الرب، فاستجابني " (يون ٢: ٢).
ما أجمل صلاة الشاعر بالاحتياج، والذي تأكد في ذاته أنه ليس غير الله وأنه لا معين ولا سند ولا ذراع البشر. ألم يكن هذا هو حال حنة أم صموئيل فصلت بانفعال شديد حتى ظن عالي الكاهن أنها سكري؟! إنها صلاة مقتدرة حقا في فعلها.

لم يكن يشاء إلى زمان:
كان هذا هو الموقف المبدأي لقاضي الظلم من الأرملة المسكينة، أراد الرب بهذا أن يثبت هذه الحقيقة في ذهننا، فإن لم يشأ فإلى زمان بحسب التدبير ولكنه لا يرفض كل الرفض.
وفي هذا يقول البار داود النبي: " إلى متى يارب تنساني إلى الانقضاء؟ حتى متى تصرف وجهك عني؟ " (مز ١٢: ١ قبطي).
إن ال‌رب لا يتب‌اطئ، ولكن‌ه هن‌اك الوقت المناس‌ب لاستجابة ص‌لواتنا بحسب التدبير لق‌د ت‌أن‌ي عل‌ى الم‌رأة الكنعانية، لماذا؟ لسبب ما قصده في نفسه.
وما هي النتيجة... أعطاه‌ا وأظه‌ر إيمانه‌ا أن‌ه ع‌ظ‌يم ومجد الأمم بسببها. إذن لا بد أن يرسخ في ذهننا أن تدبير الله وقصده من نحونا هو كل الصلاح وكل الخير.
ولكننا بسبب القلق وقل‌ة الإيمان نتعجل الأمور... لقد طلب إخوة يسوع أن يصنع أمامهم آيات لأنهم لم يكونوا بعد يؤمنون. وكان ذلك الوقت مناسبا لهم، أما هو فقال لهم وقتكم حاضر في كل حين أما هو فلم تكن قد أتت بعد.

لابد أن تؤمن أن ساعة استجابة الصلاة ستحين حتما... لذا يجب علينا أن نتوقعها بالصبر... وهذا نافع لنا جدا.
كان مناسبا لإبراهيم أب الآباء أن ينجب ابنا في شبابه المبكر ولكن لم يحدث... وصلى إبراهيم وتأني الرب على طلبته حتى فات أوان البشر وانقضى زمان القدرة البشرية وصار إبراهيم مماتا وهكذا مستودع سارة، ولكن في الوقت المعين صارت استجابة الصلاة وولد إسحق ابن الموعد.
هك ـذا ص ـار أيض ـا م ـع زكريا الكاهن لأنه حينم ـا كم ـل الزمان المعروف والمحدد من قبل الله أرسل إليه جبرائيل الملاك يحمل بشارة استجابة الص ـلاة قائلاً: " لأن طلبت ـك قد سمعت " (لو ا: ١٣). إذن خير لنا ألا نتعجل الأمور بل لنثق حينما تقدم سؤال الصلاة أننا سنحصل على عوننا في حينه.
هكذا قال الرب إن قاضي الظلم لم يكن يشاء إلى زمان، ولكن ماذا صنع الإلحاح واللجاجة التي صارت من الأرملة وهي متوسلة تأتيه كل يوم؟
لقد عجل الإلحاح بالاستجابة.
لقد أوصانا الرب ألا نكرر السؤال باطلاً كالأمم الذين يظنون أن بكثرة كلامهم يستجاب لهم.
الموضوع ليس التكرار الباطل ولا مجرد الكلمات التي قد تبدو أحيانا منمقة ومرتبة.
إن القوة كل القوة في القلب اللحوح الحار بالروح الذي يقتدر في لجاجته أن ينتزع المراحم الإلهية.
والقوة كل القوة في القلب المنكسر والمتواضع الذي يتراءى أمام الله في هيئة الأرملة المسكينة التي لا ملاذ لها سوى حضن الله.
عندما وقفت القديسة حنة أم صموئيل النبي في موقف الصلاة عينها كان منظرها هكذا عجيبا... كل خلجات نفسها وكل مشاعرها بكل ما حوت من حرمان ومسكنة وانكسار كانت تسكبها أمام الرب حتى عجز الكلام عن التعبير.
" وكان إذ أكثرت الصلاة أمام الرب وعالي يلاحظ فاها، فإن حنة كانت تتكلم في قلبها، وشفتاها فقط تتحركان، وصوتها لم يسمع، أن عالي ظنها سكرى، فقال لها عالي: حتى متى تسكرين؟ انزعي خمرك عنك. فأجابت حنة وقالت: لا يا سيدي. إني امرأة حزينة الروح ولم أشرب خمرا ولا مسكرا، بل أسكب نفسي أمام الرب " (اصم ١: ١٢ـ ١٥). كان الرب إلى هذا الحين قد أغلق رحم حنة عن الإنجاب... فلما بلغت اللجاجة إلى هذا الحد صارت الاستجابة في حال الص ـلاة نفسها م ـن ف ـم رئيس الكهنة الذي نطق بالروح قائلاً: " اذهبي بسلام، وإله إسرائيل يعطيك سؤلك الذي سألته من لدنه " (١ صم ١: ١٧).
" والرب ذكرها، وكان في مدار السنة أن حنة حبلت وولدت ابن ـا ودع ـت اس ـم ـه صموئيل قائل ـة: لأن ـي م ـن ال ـرب س ـألته "
(اصم ١: ١٩ ـ ٢٠)، م ـن ل ـن ـا ب ـروح الصلاة هذه إذ صارت نفوسنا عواقر لا من جهة الجسد بل من جهة كل فضيلة. ومن لنا باللجاجة الجسورة هذه التي لا تفارق الهيكل حتى تنال سؤل قلبها.

الله ينعم على الكنيسـة كلهـا بهـذا الـروح ويجدده في أحشائنا. إن المثال الآخر الذي يبرز واضحا في الإنجيل ويقف شامخا كنموذج فريد للإيمان وسؤال الصلاة بلجاجة هو المرأة الكنعانية هذه التي تمهل الرب عليها ولم يشأ أن يسمع صراخها متوسلة بسؤال الصلاة بذات كلمات الأرملة المثل: ارحمني، ابنتي مجنونة جذا. لأنه كان بابنتها روح نجس وقد أجل الرب استجابة الطلب وهي لم تكف ولم يقف أمامها غرابة جنسها، إذ كانت أممية ولا منعها عن متابعة توسلها. ضجر التلاميذ ولا حتى حين سمعت من الرب قوله: " ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب " (مر ٧: ٢٧). بل زادها كل ذلك تمسكا وإصرارا على روح التضرع والتوسل قائلة: " والكلاب أيضا تحت المائدة تأكل مـن فـتـات البنين! " (مر ٧: ٣٨).
يا لعظمة الإيمان وقوة اليقين واقتدار اللجاجة في الصلاة، قد قهر العدو الشيطان وخرج صريعا أمام هذا الجبروت الروحي والثقة في شخص يسوع المسيح ابن داود القادر أن يخلص إلى التمام.

الله... ومختاريه:
قال الرب يسوع تعقيبا على المثل: " أفلا ينصـف الله مختاريه، الصارخين إليـه نـهـازا وليلاً، وهو متمهل عليهم؟ أقول لكم: إنه ينصفهم سريعا، هذا هو تفسير المثل، فالذين يصرخون إليه نهارا وليلاً هم مختاري الله. الذي قال الرسول بولس لأجلهم: " من سيشتكي على مختاري الله ". أي أن كل شكوى الشيطان وافترائه وحربه ضدهم هي هزيلة وضعيفة، لأنه إن كان الله معنا فمن علينا.
هؤلاء هم المختارون الذين سيسمعون الصـوت الإلهي الحنون في يوم الدينونة العظيم: " تعالوا يـا مباركي أبي، رثـوا الملكوت المعد لكم " (مت ٢٥: ٣٤).
إذن إن كانوا مختارين فلماذا يتمهل عليهم؟
قال الرب إنه ينصفهم سريعا... إنه متمهل ولكن ينصف سريعا. قيل إن الأسد لكي يدرب أشباله الصغار على الصيد والاقتناص يحضر لهم فريسة حية (غزال مثلاً) ويطلقها أمام الصغار فيبدأون في الهجوم عليها، بينما يقف الأسد مراقبا من بعد، ولكن لكون الأشبال صغيرة فإن الفريسة تقوى عليهم وتبدو كأنها تغلبهم، ويظل الأسد يراقب حتى اللحظة الحرجة، هنا يتدخل ويحسم الموقف بضربة قاضية يسددها للفريسة...
والتشبيه مع الفارق، الله يراقب حروبنا، ويعرف ضيقنا ويسمع أنيننا، ونحن أولاده ومختاريه، ويعـرف قـوة الشيطان وشكواه، ومكائده وفخاخه. ويتمهل الله على مختاريه، ليقـوى إيمانهم ويشتد عودهم، إنه لا يتخلى مطلقا، ولا يتركنا إلى الانقضاء بل على العكس يكثر التطلع علينا بقوة، ويسمع ليس فقط صراخنا بل من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية.
والآباء القديسون علموا يقينا أنه يستجيب لهم في حال صراخهم، أنـا صـرخت والـرب سـمعني (صـلاة الساعة السادسة)، وكمـا قـال يونان: " دعـوت مـن ضيقي الـرب، فاستجابني، صـرخـت مـن جـوف الهاوية، فسمعت صـوتي "

(يونان ٢: ٢). وقد بلغت به الثقة في استجابة الرب لصلاته حين يقول: " ولكنني أعود أنظر إلى هيكل قدسك " (يونان ٢: ٤).
نعم أنه ينصفهم سريعا، أنه لا يتباطئ عن مواعيده كما يظن قوم التباطؤ، ولكنه يتأنى. أما بالنسبة للأبرار المختارين فأناة الله تظهر برهم بالأكثر وثقتهم ويقينهم وتزكي إيمانهم. أما بالنسبة لأولاد العالم، فيزدادون قساوة واستهتارا ويقولون: " أين هو موعد مجيئه؟! "، ولكن أناة الله تنتظر. وكما يقول الرسول إنما لكي تقتـاد للتوبة، فالله يريد أن جميع الناس يخلصون.
والآن لترجع إلى بداية المثل وقـال لـهـم مـثلاً فـي أنـه ينبغي أن يصـلى كـل حين ولا يمل ". لنتشجع بكلمات ربنا يسوع ونصلي بلا انقطاع ونطلب بلجاجة وإلحاح... نطلب ملكوت الله وبره، نطلب تكميل خلاصنا وزيادة إيماننا وثبات رجائنا، نطلب الاتحاد به وفيه والحياة له ومن أجله، نطلب من أجل بنيان الكنيسة، وخلاص كل أولادها، نطلب بإلحاح كثير " أطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكـم كـاملا ".
ولا نمل بل لنثق أننا سيكون لنا كل ما طلبناه لأنه إن طلبنا شيئا باسمه فيكون لنا. آمين.

مثـل الابـن الـضـال (الابن الشاطر) (لو ١٥: ١١ - ٣٢)

" وقال: إنسان كان له ابنان، فقال أصغرهما لأبيه: يا أبي أعطني القسم الذي يصيبني مـن الـمـال، فقسم لهمـا معيشته. وبعـد أيـام ليست بكثيرة جمع الابن الأصغر كل شيء وسافر إلى كورة بعيدة، وهناك بذر مالـه بعيش مسرف، فلما أنفق كل شيء، حـدث جـوع شديد في تلك الكـورة، فابتـدأ يحتـاج. فمضى والتصـق بـواحـد مـن أهـل تـلـك الكورة، فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير، وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله، فلم يعطـه أحـد. فرجع إلى نفسه وقال: كم من أجير لأبي يفضل عنـه الخبـز وأنـا أهلـك جـوعـا! أقـوم وأذهب إلى أبي وأقـول لـه: يا أبي، أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست مستحقا بعد أن أدعى لك ابنا. اجعلني كأحد أجـراك. فقام وجاء إلى أبيه، وإذ كان لم يـزل بعيـدا رآه أبـوه، فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله، فقال له الابن: يـا أبـي، أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست مستحقا بعـد أن أدعـي لك ابنا. فقال الأب لعبيـده: أخرجوا الحلة الأولى وألبسـوه، واجعلـوا خـاتمـا فـي يـده، وحـذاء في رجليه، وقدموا العجـل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح، لأن ابني هذا كان ميتا فعاش، وكان ضـالا فوجـد. فابتـدأوا يفرحون، وكان ابنه الأكبر في الحقل، فلمـا جـاء وقـرب مـن البيت، سمع صوت آلات طرب ورقصا. فدعا واحدا من الغلمان وسأله: ما عسى أن يكون هذا؟ فقـال لـه أخـوك جـاء فـذبـح أبـوك العجـل المسمن، لأنـه قبـله سالما، فغضب ولم يرد أن يدخل. فخرج أبوه يطلـب إليـه. فأجـاب وقـال لأبيه: هـا أنـا أخـدمك سنين هـذا عـددها، وقط لم أتجاوز وصيتك، وجـديا لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي، ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني، ذبحت لـه العجل المسمن! فقال له: يا بني أنت معي في كل حين، وكل ما لي فهو لك، ولكن كان ينبغي أن نفرح ونسر، لأن أخاك هذا كان ميتا فعاش، وكان ضالا فوجد " (لو ١٥: ١١ - ٣٢).

مثل الابن الشاطر

لقد فتح الرب يسوع بهذا المثل باب التوبة والرجوع إلى حضن الآب... فتح هذا الباب بدون أدنى تحفظ، فتحه على مصراعيه أمام الخطاة والأثمـة و... ولجميع الناس وجعلـه باب رجاء مهما تعاظمت الخطايا، لأنه حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا.

والمثل يوضح عمل التوبة في المسيحية، وكيف أن التوبة والرجوع تقلب الأوضاع رأسا على عقب. فأحزان الابن في الكورة البعيدة انقلبت أفراح ومسرات، ووحشة الغربة والمعاناة النفسية والبعد تغيرت بالتوبة إلى حضن سرور الأب وقبلات وعواطف يصعب التعبير عنها، والثياب الرثة التي جاءت عليها كراهة رائحة رعي الخنازير تبدلت بالتوبة إلى الحلـة الأولى، وصك العبودية للخدمة المرذولة والدخول تحت نير سيد قاس، كل هذا تغير إلى خاتم البنوة في اليد للتصرف بحرية

وسلطان. ناهيك عن الأفراح التي صارت في بيت الأب بحسب مسرته إذا قبل ابنه صار فرح يشبه فرح السماء بقبول خاطئ واحد يفرح قلب الله بعودته.

البنوة أساس التوبة:

لقد احتوى هذا المثل أنبل المشاعر التي يهتز لها كيان الإنسان... (فتعطفات) أبوي‌ـة رحيمة وشفقة حانية وغفران فائق للعق‌ـل وحركات الأحشاء الأبوي‌ـة الت‌ـي ص‌ـوره‌ـا لن‌ـا الرب يسوع عندما رسم لنا صورة الأب " إذ رآه من بعيد تحنن وإذ لم يكن بعيدا ركض إليه ووقع على عنقه وقبله....

وبنوة راجعة نادمة، رافضة في التراب تشتهي أن تضع نفسها موض‌ـع العبي‌ـد م‌ـن أج‌ـل م‌ـا ارتكبت‌ـه ف‌ـي ح‌ـق الأب والسماء معا. ولكن الذي يرتفع بهذا المثل إلى هذا المستوى الرفيع من المشاعر هو أن العلاقة والرباط بين الاثنين هو رباط بنوة وأبوة، لأنه لو كانت العلاقة التي تربطهما دون هذا المستوى لاختلف الحال بالطبع.

فلو أن خادما جحد سيده ومضى إلى الكورة البعيدة ثم عاد نادما لاختلف الأمر تماما. أو لو كان الأمر يتعلق بوكيل يعمل كموظف ثم بعد أن عزل من الوكالة رجع مستعطفا لاختلف الأمر أيضا.

ولكننا بالمسيح ارتقينا إلى هذا المقام السامي وحصلنا على نعمة البنوة... نحن الذين كنا قبلاً في الظلمة أما الآن فن‌ـور ف‌ـي ال‌ـرب ال‌ـذين كن‌ـا غي‌ـر م‌ـرح‌ـومين أم‌ـا الآن فمرحومون. على هذا الأساس - أساس البنوة - يصير الرجوع إلى الآب هو الوضع الصحيح والطبيعي.

إذ لا توجد قوة في الوجود تستطيع أن تقف أمام ابن يريد الرجوع إلى حضن الأب.

إن الابن الراج‌ـع ص‌ـرخ قائلا: أخطأت ي‌ـا أبتاه، فحالما سمع الأب هذه المناداة المحبوبة إلى قلبه جذا لم يدع ابنه يكمل عبارات الاعتذار والندم، ولسان حال الأب يقول: من حيث أني مازلت أبيك... فلا تندم ولا يحزن قلبك وطالما أنت تناديني أبتاه... فلا توجد عقبة أو مشكلة... كل شيء هين وكل المشاكل لها حلول يكفي أنك مازلت تشعر أنك ابني وأسمع صوتك ينادني يا أبتاه.

فنحن نرجع نطلب غفرانا، عفوا عن أزمنة الجهل... قلبنا يتجه نحو الآب وعيوننا نحو مسكننا الذي في السماء الذي فقدناه وقتا سالكين بحسب شهواتنا ومنقادين للجسد.

وأساس رجوعنا وركيزته الأولى هو الخطوة والدالة التي لنا عند الآب بالمسيح إذ صرنا أولاد الله بالمعمودية المقدسة.

قلب الأب من نحونا:

كشف المسيح بهذا المثل مقدار م‌ـا لن‌ـا م‌ـن م‌ـك‌ـان ف‌ـي قلب الآب، ومركزنا الذي صرنا فيه مقبولين في كل يوم وفي كل ساعة إن اقتربنا إلى الأب باسم يسوع المسيح الابن الوحيد.

وكلمات المسيح - كابن وحيد للآب... وواحد مع الآب في الجوهر - هي في الواقع إعلان وكشف عن حقيقة ليس من سبيل إلى معرفتها بدون المسيح... لأن المسيح كشف لنا سر الاب الذي لم يعرف ب‌ـه بني البشر، ولم يعلن لحكماء ولا لفهم‌ـاء...

" أحمـدك أيهـا الآب رب السماء والأرض، لأنـك أخفيـت هـذه عـن الحـكمـاء... وأعلنتهـا للأطفـال. نعـم... هـكـذا صـارت المسرة أمامك " (مت ١١: ٢٥ - ٢٦).
" اللـه لـم يـرة أحـد قـط. الابن الوحيـد الـذي هـو في حضن الآب هو خبر " (يو ١: ١٨).
" لا أحد يعرف الآب إلا الابن " (مت ١١: ٢٧).
فالمسيح إذن حينمـا يكشـف لنـا قلـب الأب مـن نـحـونـا بحسب معرفة المسيح كابن وحيد للأب وواحد معه وفيه... معناه أنه يعرفنا بالآب ويصالحنا معه في شخصه. وحركات الأب وعواطفه نحو الابن الراجـع كما ترجمها المسيح في المثل عميقة غاية في العمق.

فلما رآه أبوه تحنن:
هذه الحركة القلبية والأحشاء الرحيمـة نـدركها ونحسها ونتلامس معها على مستوى النفس والعاطفة في حياتنـا اليومية، ولكن عندما تكون كلمة " تحـنن " مختصة بالآب فالفرق شاسع ورهيب إذ يكون إدراك كمالها مستحيل، لأن كل ما لله هو لا نهائي غير محدود. إذن المسيح كشـف أمـام الإنسان الراجـع حنان الأب غير المحدود وغير الموصوف حين قال " لما رآه أبوه تحنن "، هنا نرى أن أول ما يتقبله الابن الراجع وهو يلج دائرة الترائي أمام الأب... يتقبل دفق من الحنان نحوه، إذ هو راجع ليتراءى أمام الله كابن بالمسيح لله الآب.
ولكن يلزم أن يتراءى التائب الراجع أمام الآب... لما رآه أبوه راجعا من الكورة البعيدة فتح له أحضان القبول، لما رآه نادما على الشر رافضا الخطية أظهر له حبه الحاني، لما رأه في ثيابـه الرثـة وحالته البائسة استجلب المـراحم وحـرك الأحشاء، لما رآه تحنن... إنها أمور لا ينطق بها.
وهذا معناه أننا لا يجب أن يحجبنا الخجل أو يمنعنا عن المثول أمام الآب، وليس من المعقول أن ننتظر حتى يتغير حالنا وتتبدل ثيابنا... هذا مستحيل... إنما نحن نقبل إلى الآب بنفس حالنا التعس وخطايانا ودنس ثيابنا... نقترب إليه في هواننا وعار خطايانا... وهو أمين في محبته، صادق في مواعيده...
فلا يستنكف أحد من أن يعترف بخطاياه مهما تعاظمت، وليس بغريب منظر الازدراء الذي صرنا إليه... ولكن الغريب والمستغرب لدى الآب وصـفوف السمائيين هو بقاؤنا في الكورة البعيدة متغربين عن الرب.

وركض... ووقع على عنقه:
هل يجوز لنا أن نتأمل هذا المنظر ليس بمقاييس الجسد ولكن بعمق الروح قارنين الروحيات بالروحيات.
فإن كان الابن الراجـع يخطـو نـحـو الأب، فمسرة الأب بالرجوع ترجمها المسيح هكذا: أن الآب يركض لملاقاتنا، أي أن مسرة الآب وفرحه بلقائنا يفوق أضعاف مضاعفة فرحنا ومسرتنا برجوعنا. فـإن كنـا نس ـر نـحـوه بخطـوات متثاقلة من جراء الجسد والخطايا نجـر وراءنـا ثقل ماضينا وضيق حاضـرنـا فـإن الآب يركض نحونا يسـند الضعف، ويشجع صغار النفوس ويطلب ويخلـص

مـا قـد هلك، أي المحسوب في عداد الهالكين.
فالذي يسير نحو الله خطـوة سيجد أن الله يركض نحـوه مائة خطـوة، أه لـو تفطنت النفس ووعـت حركـة الآب مـن نحوها وهي في حال خطاياها؟!
الله يسعى دائما نحو الخطاة... " مددت يدي طول النهار " أل ـم يس ـع الله نح ـو الإنسان بك ـل وسيلة متكلمـا مـع الآباء، بالأشياء بطرق متنوعة.
ألم تدركنا مراحم الله حين سعى نحونا، فأرسل ابنه الوحيد في الجسد يطلب الضال ويسترد المفقود ويحمل خطايا العالم ويقبل الموت حتى الصليب عوض الخطاة... ماذا تنتظر بعد هذا؟ إن كل ما يدور حولنا كل يوم من أحداث وملابسات وظروف مدبرة تقودنا للتوبة والرجوع هي في الواقع حركة أبوي ـة لا تك ـف ع ـن طـل ـب الض ـال هـل يس ـر الله بم ـوت الخاطئ؟! " الله لا يشاء ذلك مطلقا ولكنه يسر برجوعه لكي تحيا نفسه... إنه يطلبنا بكل طريقة حتى يجدنا... يحرك قلبنـا ومشاعرنا لنقبـل دعوته للرجـوع... حقـا مـا أرق قلبـه نحونا.

ووقع على عنقه وقبله:
من يستطيع أن يصور لنا مشاعر هذا الابن الراجع حينما احتواه حضن الأب؟!!
ما أبشعك أيتها الخطية لأن بسببك يحرم الإنسان من حنان الأبوة الرحيمة.
لق ـد ظـن ف ـي ب ـادئ الأمر أن الوج ـود ف ـي ظـل الأب والخضوع لوصاياه قيود وعبودية، واشتهى الابن أن ينفك من هذا الرباط بأي ثمن وقد بلغ الزيف والخديعة غايتها حينما زينت الخطية نفسها وأغوت هذا الابن وسحبته بعيدا عن بيت الأب لكي تفترسه وهو منفرد ووحيد في أرض غربته، ولكن الحقيقة كانت على خلاف ما ظن... فالخطية خاطئة جدا وكريهة جدا. وقد اختبرنا مرها وأجرتها المميتة.
الحقيقة أن الراحة والسلام والفرح الحقيقي كائن في الوجود في الآب وفي عمل مشيئته الصالحة الطوباوية.
ولقد ظهر البعد المخيف للخطية في هذا المنظر حينما وقع الأب على عنق ابنه... هذا العنق الذي خضع لقي ـود العبودية... الخطي ـة رب ـاط يحيط بعن ـق الإنسان فيستعبد ويصير عبدا للخطية... " من يفعل الخطية هو عبد للخطية ". وقوع الأب على هذا العنق وقبلات محبته هي التي تف ـك النفس من نير العبودية المرير، الذي يسلم نفسه للشيطان والشر والخطي ـة يص ـير حتمـا عب ـدا للشيطان والخطي ـة... ويصير ذليلاً كل أيامه.
الكنيسة تسمي الشيطان في صلواتها " الغير الرحيم " هذه حقيقة... من يقع تحت نير الشيطان لا يجد رحمة.

وقبله:
سرت قبلة الأب في أحشاء الابن الراجع كقوة خلاص تجدد القوة وتمسح آثار الدنس... أحس الابن الراجع بأنه يستعيد بهذه القبلة كرامة بنوته للأب... لقد تغرب كثيرا عن قبلة الأبوة الحانية حين استبدلها بقبلات الغش والشهوات الكاذبة.
إن قبلات الآب فيها شفاء للنفس... كم تغربت النفس... كم صارت مثل أرض عادمة الماء... كم عطشت واشتهت وعادت عطشى. أيضا حينما توسلت ومدت

يدها تستعطف الآبار المشققة، كم جاعت إلى خبز العبودية وراحت تطلب حتى الخرنوب... ولكن لم يعطها شبع ولا ملأ فراغها... لقد كانت نفس الابن بهـا ج ـوع مبهم وعطش خفي نحو شيء فقدته زمانا ولكن لا يعوضه شيء من أمور هذا العالم... كان جائعا إلى قبلة الأب. ما أبغضك أيتها القبلات الغاشة التي فرحت بها حينا متلذذا بالخطية... ما أقبحك يا قبلات الشهوات الغبية. ما أحقرك يا محبة الذات ورفقاء السوء...
الآن ارتفع القناع وظهرت شناعة الدنس خبز الخطية الذي كان لذيذا ولكن لا يمكن أن يظهر قبح هذه الأشياء إلا في النور، ولا تسقط من نظر الإنسان إلى الأبد إلا حينما يقبل قبلات الآب الطاهرة وحب قلبه الإلهي الذي لا يعبر عنه.

افرحوا معي:
إن الفرح هو فرح الأب برجوع ابنه الذي كان محسونا ميتا فعاش وضالاً فوجد.
أمـا فـرح الملائكة والسمائيين فهـو نـابـع مـن فـرح الآب، مستمد منه... يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب... إن رجـوع الابن يمثل تكميل مسرة الآب ومشيئته الطوباوية الصالحة نحو الإنسان، لأنه لا يسر بموت الخاطئ ولا يشاء ذلك، ولكن عندما يتمسك الإنسان بمشيئته الذاتية ويسلك ضد إرادة الله ويتبـع أهـواءه ويسلم نفسه بذاته لإرادة عدو الخير يصير بعيدا ومنفيا ورافضا لمشورة الله... واللحظة التي يرجع الإنسان فيها إلى نفسه ويهجر كورة الخطية ويتجه بقلبه نحو أورشليم يكون قد تلاقت مشيئته بمشيئة الآب فيفرح قلـب الآب.

ميتا فعاش، وضالاً فوجد:
الخاطئ في عرف الروح ميت، والتوبة هي الحياة.
التوبة إذن هي اختبار القيامة من الأموات... بدأها الابن الضال بهذه الكلمة " أقوم وأرجع إلى أبي ".. دخل الموت إلى العالم.. ومن قبل الخطيـة صـار المـوت، بالمخالفة انفصل الإنسان عن مصدر الحياة، وبإرادته الذاتية جلب على نفسه حكـم المـوت... وفـي آدم مـات الجميـع... سـقط الجـنس البشري. المسيح جاء ليقيم الساقطين ويحل المربوطين.
وكما ملك الموت بالواحد صارت الحياة بالمسيح الواحد. وكمـا فـي آدم يموت الجميع هكذا بالمسيح يحيا الجميع. وكمـا بإنسـان واحـد صـار المـوت كذلك بالمسيح كانـت القيامة.
التوبة إذن ليست جهـدا بشريا أو تقـوى وبـر إنسـان أو أعمال نسك... كل هذه الأعمال في ذاتها لا تحسب شيئا بل تحسب على الإنسان على سبيل دين.
كل هذه الأعمال في ذاتها لا تقيم من الأموات ولا تحيي من عدم. ولكن التوبة هي قبول روح قيامة من الأموات في المسيح يسوع، إذن خارج المسيح لا توجد توبة.
الإنسان اليهودي كان يعمل بالناموس ويكمل الوصايا، ولكنـه كـان محكوما عليـه مـن النـاموس كمتعـدي ولـم يكـن للناموس أن يقيم من الأموات... بل حكم الناموس وأغلق على الكل تحت الخطية... إن كان روح المسيح ساكنا فينا فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيينا أيضا بروحه القدوس الساكن فينا. التوبة

إذن هي ثمرة عمل روح الله فينا.
هو يبكت على الخطية ويدفعنا إلى البر ويؤهلنا لكي لا ندان مع العالم. الحياة حسب الروح والخضوع لمشيئته ومرضاته هي التوبة المقبولة لدى الآب.
إذا استجاب الإنسان لمطال‌ـب ال‌ـروح وأخض‌ـع مش‌ـيئته لتبكيته فإنه يقوم للحال يتراءى أمام الله الآب مدفوعا بحرارة التوبة التي هي من صميم عمل الروح القدس.
الإنسان يموت إذا اتبع أهواء الجسد... الخضوع لمشيئة الجسد محسوبة موتا... من يزرع للجسد فمن الجسد يحصد موتا، الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرض‌ـوا الله. اهتمام الجسد ه‌ـو م‌ـوت. الروح القدس هو الذي يحيي... يشفع فينا بتنهدات لا ينطق بها... يرشدنا إلى جميع الحق... يأخذ مما للمسيح ويعطينا.

اخرجوا الحلة الأولى وألبسوه:
هكذا قال الآب الحنون لعبيده الواقفين حوله فرحين معه باستقبال ضالتهم... والعبيد يصنعون إرادة الآب عند سماع صوت كلامه. ألوف أل‌ـوف وقوف قدامه... وربوات ربوات يقدمون له الخدمة... عندما تذكر الابن منظره وهو في منفى الخطية بعيدا عن حظوة الوجود في حضرة الأب... رجع إلى نفسه قائلاً: كم من أجير عند أبي يفضل عنه الخبز... لقد جعلهم الآب خداما وأرواحا متقدة بالحب من نحونا.
لقد صاروا يخدمون خلاصنا بل صاروا خداما للعتيدين أن يرثوا الخلاص.
إن الحلة الأولى تلبسها النفس بيد الملائكة... أوليس الكهنة خدام العهد الجديد محسوبين ملائكة الكنيسة؟!!
عندما نادي الرب يسوع لعازر من داخل القبر... قال لتلاميذه الأطه‌ـار: " حل‌ـوه ودع‌ـوه ي‌ـذهب "، لق‌ـد أعطاهم السلطان أن يحلو رباطات الموت ويفكوا الخطاة...
ويعمدوا باسمه لمغفرة الخطايا ويخلعوا الإنسان العتي‌ـق الفاسد ويلبسوا الجديد الفاخر " أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح " أليست التوبة هي معمودية ثانية؟ إذن هي لبس الحلة الأولى الفاخرة... إنها لبس المسيح، بيد كهنة المسيح (ألبسوه).
ماذا حدث في الغربة؟ لقد تعرت النفس من النعمة... خلعت ثي‌ـاب التنعم فانكشفت وتع‌ـرت ف‌ـي ض‌ـياع وخ‌ـزي ما بع‌ـده خ‌ـزي، وماذا يحسب الرجوع إلى حضن الآب إلا الدخول في ستر العلي وفي ظل الإله القدير.
إن ثبوتنا في حال التوبة هو بمثابة اختفاء بشريتنا داخل المسيح فلا يظهر خزي عرينا. كما قال الرب لملاك كنيسة اللادوكية " أشير عليك أن تشتري مني ذهب‌ـا مص‌ـفى بالن‌ـار لكي تستغني، وثيابا بيضا لكي تلبس، فلا يظهر خ‌ـزي عريتك ".
إن النفس التي تكم‌ـل توبته‌ـا ورجوعها على هذا الأسلوب وبهذه الروح تستحق أن تأخذ المكانة الأولى والخطوة الأولى لدى الآب.
واجعلوا خاتما في يده... وحذاء في رجليه لقد كانت حلي الذهب توضع في يد

العروس كعلامة للخطبة أنها صارت لرجل كدليل للملكية أن العريس خطبها لنفسه واشتراها فصارت له.
وهكذا كان ختم البنوة يوضع في يد الأمراء أبناء الملوك لإظهار مركز البنوة أنهم أبناء للأب وورثة للملك..
هل أتت الخطية على الميراث؟ هل ضيعت أيام الغربة حق التمتع بالأب؟ حاشا فالخطية مهما حطمت وأفسدت فالنعمة متفاضلة جدا " حيث كثرت الخطية ازدادت النعمـة جدا ".
لقد قال الرب قديما بفم إشعياء النبي للكهنة " عزوا، عزوا شعبي، يقول الهكم. طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عفى عنه، أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عـن كـل خطاياهـا " (إش ٤٠: ١ ـ ٢). النعمة لا تسدد أجـرة الخطية فحسب ولكن النعمة تعطي ضعفين فتعوض عن السنين التي أكلها الجراد بسنوات شبع وسرور وفيض.
ما أجمل النفس عندما تسترد ما فقد منها أزيد مما كان، ما أبهاها وقد لبست المسيح كأنه حلـة جديدة وما أجملها حينما تتحلى بخاتم سلطان البنوة " الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله " وقد حذت أرجلها التي أدمتها أشواك الخطية باستعداد إنجيل السلام.

العجل المسمن:
" وقدموا العجـل المسمن واذبحـوه فنأكـل وتفـرح... فابتدأوا يـفـرحـون " (لو ١٥: ٢٣ - ٢٤).
ها قد حرمـت النفس من الوليمـة أيامـا هـذا عـددها... والي‍ـوم... يـوم خـلاص ووقـت مقبـول... أن الأوان للتمتـع والفرح وتبدلت ثياب الحزن والحداد لأن الابن كان محسوبا ميتا...
إن الكنيسـة تـدفع بالـذين يقبلـون التوبـة إلـى حـضـن الآب... تدفع بهم إلى وليمتها والذبيحة الإلهية حتى تشبع نفوسهم مـن دسـم النعمـة ويفرحـون بالسرور وتنعمـات القديسين.
فالتناول يتبع سر التوبة والاعتراف... ما أحوجنا أن نمارس هذه الأمور بالروح فندرك مقدار غنى العواطف الأبوية الرحيمة ومقدار كرامة التوبة وبهاء مائدة الأفراح الإلهية.
ها أن الآب الحنـون ينتظـر رجوعنـا القلبـي كـل يـوم، ها ذراعيه ممدودتان طول النهار " مددت يدي طول النهار " ها إن روحـه يـدفعنا دفعـا نحـو الارتماء في أحضان الآب مبكتا على الخطية مشجعا على البر محذرا من الدينونة.
ها إن وليمة الآب تنتظرنا وثياب البر مغسولة بدم المسيح بيد الملائكة وآباء الكنيسة تنتظر رجوعنا ليلبسونا إياها بفرح لا ينطـق بـه ومجيـد، فـلا عـذر لا فـي التأجيـل ولا نجاة إن أهملنا خلاصا هذا مقداره.

رقة المشاعر الأبوية نحو الابن المفقود:
نقرأ في سفر التكوين عن يعقوب أب الأسباط حينمـا أرسلوا إليه قميص يوسف

ابنه ملطخا بدم تيس وقالوا، وجدنا هذا حقا أقميص ابنك هـذا هـو أم لا، فحق ـق وق ـال قميص ابني، وحش رديء أكله افترس يوسف افتراسا، فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على حقويه وناح على ابنه أياما كثيرة، فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال إني أنزل إلى ابني نائحا إلى الهاوية وبكى عليه أبوه، ثم بعد سنين طويلة نقرأ أيضا كيف استقبل يعقوب الخبر العجيب يوسف حـي يعـد " فجمد قل ـب يعقوب لأن ـه ل ـم يصدقهم...فعاشت روح يعقوب... فقال إسرائيل كفى يوسف ابني حي بعد... أذهب وأراه. ثم نقرأ عن هذا اللقاء بين الابن الذي كان محسوبا ميتا فعاش وبين الأب الذي ذهبت عيناه من كث ـرة البك ـاء، " ولم ـا ظه ـر ل ـــه وق ـع عل ـى عنقه وبكى على عنق ـه زم ـان ـا. فق ـال إسرائيل لي ـوس ـف: أم ـوت الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حي بعد " (تك ٤٦: ٢٩ - ٣٠).
يعجز الإنسان عن متابعة هذا المنظر لكثرة ما ينقل به القلب من مشاعر وما تمتلئ به المآقي من غزير الدموع.
ومن العجب أن الكلمات تأتي متطابقة بين ما ورد في سفر التكوين وبين كلمات المثل في (لو ١٥).:
يوسف حي... ابني كان ميتا فعاش.
وقع على عنقه وبكي زمانا.. وقع على عنقه وقبله.
لكن ترى من يستطيع أن يترجم هذه الكلمات " أنزل إلى ابني نائحا إلى الهاوية "... ثم عند سماع الخب ـر أن ـه ح ـي " عاشت روح يعقوب ". " كفى ابني يوسف حي بعد ".
إنه لا يريد من الدنيا شيئا، يحتقر كل شيء احتقارا، لا مركبات ولا خيل ولا خيرات... ولا شيء آخر يكفي أن يراه وكفى.
وهكذا رسم الكتاب منذ القديم أمامنا هذه الصورة الجبارة لعلها تلق ـي ض ـوءا باهتا على الحقيقة العظمى أن الله أب، ونح ـن بالمسيح ص ـرنا أولاد الله، والآب يف ـرح برجوعن ـا إذ نحسب عنده أننا كنا أمواتا بالخطايا وأقامنا بالمسيح إلى جدة الحياة.

مثل من سفر الخروج:
" هكذا يق ـول ال ـرب: إسرائيل اب ـني البكر، فقل ـت ل ـك: أطل ـق اب ـني ليعب ـدني، فأبيت أن تطلق ـه. هـا أن ـا أق ـتل ابن ـك البكر " (خر ٤: ٢٢)، لم يكن فرعون ليفهم مشاعر الله كأب نحو إسرائيل الذي كان يدعوه الله " ابني البكر "، لأن إبراهيم كان باكورة الاختيار، أول من دخل في عهد مع الله كعربون للبنوة الحقيقية بالمسيح يسوع.
وك ـان إسرائيل في قبض ـة ف ـرع ـون يسقيه ال ـذل ويش ـقيه العذاب في طين السخرة والعبودية القاسية فتقسى قلب فرعون وقال " إسرائيل لا أطلق ".
وكان في الضربة العاشرة وهي كمال الضربات، أراد الرب أن يشعر فرعون بعمق الألم المتسبب في غياب الابن عن أبيه فضرب الرب أبكار المصريين من بكر فرعون لبكر الجارية التي خلف الرحى، فصار نحيب وبكاء في كل بيت وكان الرب

بهذه الصورة أراد أن ينير بصائرنا، لكي ندرك مركزنا الذي ص‌ار ل‌ن‌ا عن‌ده ك‌أولاده " إن‌ه ف‌ي ك‌ل ضيقنا يتضايق وملاك حضرته يخلصنا ".
قد لا يفهم العالم ذلك، وقد يتقسى فرعون، ولكن مشاعر الآب نحونا لا تطيق أن يقع أولاده تحت سخرة (عبودية) شيطان أو حبس خطايا أو مذلة نجاسة. ولا يطيق أن يسمع أنين أولاده معذبين من جراء أسواط المسخرين تلهب ظهورهم وهم منحنين تحت أثقال الجسد والعمل لحساب التراب. فإن كانت هذه هي مشاعر الآب في القديم تحت ظلال الرموز وأشباه السماويات، فكم يكون نصيبنا من حب الآب بعد ما صرنا بالمسيح في نعمة البنوة وسمعنا صوته القائل: " الآب نفسه يحبكم ".

مثل من سفر صموئيل الثاني (ص ١٨):
قلب داود نحو أبشالوم ابنه:
كان أبشالوم بن داود النبي والملك... كان رجلاً عنيفا سفاكا للدماء، بدأ بقتل أخيه أمنون، ثم هرب من وجه أبيه مدة من الزمان عاد بعدها إلى أورشليم، وابتدأ بحيل شيطانية وعطف زائف على الشعب فاستمال قلب الشعب وراءه ثم دبر مؤامرة لخلع داود النبي عن الملك ليتسلم هو مقاليد الأمور، وهكذا كان، فهرب داود من وجه أبشالوم حافيا مغطى الرأس باكيا، وزاد أبشالوم في شره فصنع الإثم مع نساء أبيه، وفوق كل هذا طلب أن يقتل أبيه واستشار أخيتوفل الحكيم، وكاد أن يفعل لولا أن الرب حمق مشورة أخيتوفل وأبطلها فنجا داود من الموت، ولما صارت حرب فاصلة بين رجال داود وقواده والشعب الذين مع‌ه ض‌د أبشالوم وتابعي‌ه وق‌ف داود النب‌ي يوصي ق‌واده وهم خارجين للحرب قائلاً: " ترفقوا ل‌ي ب‌الفتى أبشالوم "، يا لقلب الأبوة العجيب!!!
هل تنسى كل هذا الشر الذي لأبشالوم؟ إن‌ه يطل‌ب أن يترفق‌وا ل‌ه، إنه ابن‌ه رغ‌م ك‌ل الش‌رور والفظائع التي أتاها... إن البنوة لا تغلبها الخطايا...!!
ثم بعد أن سمع داود خبر موت أبشالوم يقول الكتاب: أن الملك انزعج " وصعد إلى علي‌ة الب‌اب وك‌ان يبكي ويق‌ول هكذا وه‌و يتمشى: يا ابني أبشالوم، يا ابني، يا ابني أبشالوم! يا ليتني مت عوضا عنك! يا أبشالوم ابني، يا ابني ".
هذه هي مشاعر الأبوة الصادقة في قلب إنسان قديس قال الرب عنه: " فتشت قلب داود بن يسى فوجدته رجلاً بحسب قلبي ". فإن كان هكذا يكون قلب الإنسان فكم وكم يكون قلب الآب السماوي؟
شيء لا نهائي، أغوار لا يمكن وصفها، لجج حب أقوى من الموت.
وبعد هذا هل تقف قوة في الوجود تحول دون رجوع ابن إلى حضن أبيه.
إن كل حيل الشيطان تفشل وكل عقباته التي يصنعها في طريقنا ونحن راجعون إلى حضن الآب لا تساوي شيء.

الابن الأكبر:
يقول بعض المفسرين أن الابن الأكبر يمثل إسرائيل... " إسرائيل الابن البكر " فهو لم يفرح بقبول الأمم ورجوعهم إلى الله إذ قد كانت الأم‌م محسوبة كابن مي‌ت

فعاش وضـالاً فوجد، وقد أوضح القديس بولس الرسول موقف إسرائيل في رسالته إلـى أهـل رومي ـة (ص ١١)، وأكد أن رفض ـهم كـان مصالحة للأمم فكم يكون اقتبالهم...
وأكد أن إسرائيل لا بد أنه سيخلص بعد عصيانه، إذ أن العداوة قد حصلت جزئيا لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم.
وهذا يبدو واضحا من مشاعر الابن الأكبر الجافة وتمسكه في عناد بحقوقه وغيرته التي ليست بحسب المعرفة، انظـر مـاذا يقـول لـلأب "لـم أتجـاوز وصيتك قـط"، إنـه الإحساس اليهودي بالبر الذاتي، إحساس الفريسـي الـذي يصوم مرتين في الأسبوع ويعطي عشر كل ماله، إحساس التمسك بالحرف الناموسي.
ثم روح الأجير لا روح الابن إذ يقول: " وجديا لم تعطني قط "إذ ينتظر مكافأة عن أعماله لأبيه مع أن الأب يقول: "أنت معي كل حين وكل ما هو لي فهو لك ".
هذا ما لم يدركه إسرائيل إلى الآن... بل مازال في فكر العداوة والقساوة والجحود.
وعلى أن كلمات الأب " كان ينبغي أن نفرح ونسر..... "
تصير مكبتة لهذا التصرف البغيض الذي عاشه الابن الأكبر. ألا يبكت عمل ـه هـذا فـرح الـخـدام حـول سيدهم!؟ إذ ابتدأوا يفرحوا ويذبحوا العجل المسمن ويلبسوا الابن الراجع ثياب الخلاص وجدة الحياة!!
ولكن قلب الأب الحنون ما أعجبه.
إنه خرج إلى الابن الأكبر يبحث عنه هو الآخر لا يسر الأب إلا عندما يحتوي في حضنه الكبير والصغير وهو لا بد أن يفعل هذا. لقـد نـزل المسيح يبحث عن الضـال ويرد المطرود، يجبر الكسير ويعصب الجريح... وبذل نفسه عن الخراف، وكل الخراف. وقدم نفسه ذبيحة عن العالم كله ختان وغرلة، عبد وحر، بربري وسكيثي، فالمسيح جاء ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد.
فإن كان اليهود قد حصلوا في العداوة ولكنه سيأتي الوقت الذي فيه يستفيقون من غفلتهم ويميلوا آذانـم إلـى صـوت الآب الحنـون ويقبلوا ابنه المرسل من السماء ويعودوا إلى الحضن الأبوي والفرح الحنون الأبدي داخل البيت الذي هو كنيسة الله التي اقتناها بدمه.

تأمل في الابن الشاطر الأسبوع الثالث

تأمـــــل في الابــن الشــاطر كمـا قـال الإلــه القــادر
ونص المثـل عنـدك حاضـر اسمـع قــول رب القـــوات
فكـــــر في عقلــه وتقطـن وقال بيت أبي كان لي وطن
والآن ديار الشر صارت لي سكن أخدم فيهـا وأصـنع السيئات
أصابتني الخطايـا والآثــام والآن سأسرع لأبي بلا إحجام
ضليت ونسيت لـك أحـكام ولا استحق أن أدعى ابنك بثبات
طبيب النفوس والأجسـاد احتضنه وفي حبـــــــه زاد
عندما رجـع لـه باستعداد أنعـم عليــه بـكـل البركـات
قوموا يا كهنة هيئوا الحلـة ليلبـسـهـا ابـــني ويتحلـي

المعمودي ـة هـي الحل ـة وهـــــــي أول الخـــــــيرات
كلل ــوا اب ـني بأكاليل الن ـور وألبسوه خاتما من ذهب أوفير
ليك ـون بخ ـتم السروح مستور محروس ـا م ـن ك ـل ال ـزلات
الم ـرد: طوبي للرحما على المساكين.

مثل الغني الغبي (لو ١٢: ١٦ - ٢١)

" وضرب له‌م م‌ث‌ل ق‌ائلاً: إنس‌ان غ‌ني أخصبت كورته، ففكر في نفس‌ه ق‌ائلاً: م‌اذا أعم‌ل، لأن ليس ل‌ي موض‌ع أجم‌ع في‌ه أثم‌اري؟ وقال: أعم‌ل ه‌ذا: أه‌دم م‌خ‌ازني وأب‌ن‌ي أعظم، وأجم‌ع هن‌اك جمي‌ع غلات‌ي وخيرات‌ي وأقول لنفسي: ي‌ا نف‌س ل‌ك خيرات كثيرة، موض‌وعة لسنين كثيرة، استريحي وكل‌ي واشربي وافرح‌ي! فق‌ال ل‌ه الل‌ه: ي‌ا غ‌بي! ه‌ذه الليل‌ة تطلب نفسك من‌ك، فه‌ذه ال‌تي أع‌ددتها لم‌ن ت‌ك‌ون ه‌ك‌ذا ال‌ذي ي‌كن‌ز لنفس‌ه ول‌ي‌س هو غنيا لله " (لو ١٢: ١٦ - ٢١)

لقد ضرب الرب يسوع هذا المثل على أثر مجيء أحدهم إلى السيد قائلاً: قل لأخي أن يقاسمني الميراث، فقال له يا إنسان من أقامني عليكما قاضيا أو مقيما؟ وقال لهم: انظروا وتحفظوا من الطمع فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله، ثم ضرب لهم هذا المثل.

قل لأخي أن يقاسمني الميراث:

هذه قضية كل جيل وكأنها جزء من تكوين الإنسان وطبيعته البشرية الساقطة... كم من نزاعات وعداوات صارت ب‌ين الن‌اس بس‌ب‌ب ه‌ذا الموض‌وع... ك‌م أن‌ه‌ى حياة أن‌اس وك‌م انتهى بالإخوة إلى المحاكم... ك‌م أفسد قلوب وحطم المحبة بين الأشقاء... إذن ما هو السر وراء كل هذا؟! لقد كشفه الرب لتلاميذه وللذين حوله قائلا: " انظروا وتحفظ‌ا م‌ن الطم‌ع " (ل‌و ١٢: ١٥).

إن الطبيع‌ة البشرية الساقطة ليس فيها شيء من الص‌لاح... فكأنما هذا الطمع غريزي في تكوين البشر... قد تجده في طفل رضيع... الطبيع‌ة طماع‌ة ت‌ؤثر الأخ‌ذ على العط‌اء... تفرح بالأخذ وتجزع من الخسارة... تحب الأثرة والامتلاك وهي حينم‌ا تفع‌ل ذل‌ك تك‌ون ال‌ذات والأن‌ا وراء ك‌ل ه‌ذه الأفعال.

لأن الذات البشرية تتضخم في كثرة الممتلكات وتتحصن وراءها، المنفعة الذاتية تعلو كل شيء في طبيعة البشر حتى لو كان على حساب الأخ أو القريب أو الصديق، والطبيعة تفعل كل شيء لأجل الربح والاستحواذ حتى ولو على رقاب الناس ومصالح أقرب الأقربين. الذات تتفاخر بكثرة الماديات، والطبيعة البشرية تعز المقتدرين وتتملق الأغنياء كنوع من تأليه ال‌ذات، وهكذا وقف هذا الإنسان أمام المسيح بذات‌ه المجروحة من جراء الطمع والإحساس بالظلم لأنه لم يقاسمه أخوه الميراث.

المسيح له المجد لم يأت مصلحا اجتماعيا ولا قاضيًا على مستوى الأمور المادية... حاشا... المسيح لم يأتي ليجعل رقعة جديدة في ثياب الطبيعة البشرية البالية لقد جاء ليخلص ويجدد ويعتق.

منهج المسيحية هو إنكار الذات وجحد المشيئة... كأن كان منظر الطبيعة البشرية

كما ذكرنا هكذا كئيبا ومكروها فإن المسيح المبارك جاء لكي يعطي طبيعة جديدة " إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة " (٢ كو٥: ١٧).
وأما النعمة التي سكبها الرب بروحه في إنساننا الباطن. أي طبيعتنا الجديدة... فه‌ـي م‌ـن ف‌ـوق نازل‌ـة م‌ـن عن‌ـد أب‌ـي الأنوار.
لذلك فإن النعمة والطبيعة يقفان على طرفي نقيض لأنهما يصدران عن مصدرين مختلفين تماما.
فحركات النعمة نازلة من فوق - أي أنها سماوية - بينما حركات الطبيعة تنشأ من أسفل من الذات البشرية الساقطة.
الطبيعة طماعة، أما النعمة فإنها سخية ترتاح في العطاء أكثر من الأخذ بل تفرح بالعطاء.
النعم‌ـة تقن‌ـع بالنصيب الأصغر ولا ترتاح في التعزيات الخارجية لأن مصدر عزاءها هو الله وحده وفيه تستريح.
النعمة تزدري بالأمور الزمنية وما كان لها ربحا محسوبا في العالم تحسبه خسارة.
الطبيعة تطلب لتمجيد الذات بينما النعمة ترجع كل شيء إلى الله مصدر كل عطية صالحة.
إذن يمكننا أن ندرك وصية الرب يسوع " انظروا وتحفظ‌ـوا من الطمع " (لو ١٢: ١٥)
إن كن‌ـا ننح‌ـاز لل‌ـذات ونسلك بحسب الإنس‌ـان الخ‌ـارج ومشيئة الجسد فسنسقط حتما في فخ الطمع وعل‌ـة الدينونة، ولكن إن كن‌ـا ب‌ـالروح نمي‌ـت أعمال الجسد ونخضع نفوسنا للنعمة التي يؤتى بها إلينا بيسوع المسيح، فإننا نتمتع ببركات الخلاص وعمل الله فينا.
الطبيعة تجذبنا إلى العالم بينما النعمة ترفعنا إلى الله، ولكن لينظر كل واحد منا إلى نفسه فإنه كما أن النعمة تتوسل إلى أشر الخطاة لتستهويهم بطرقه‌ـا ك‌ـذلك الطبيعة تحاول أن تجذب إليها أكبر القديسين لتعزيهم بشهواتها.
فطريق الجهاد إذن يحفظنا بالنعمة من السقوط في الطمع ومحبة النصيب الأكبر الذي قد يحرمنا من ميراثنا الأبدي.

المثل

إنسان غني أخصبت كورته...
إن رائحة الذات البغيضة تفوح من أول كلمات المثل. وقد اختفى الله تماما من سيرة هذا الإنسان الغني... فالخصب الذي أصاب كورته منسوب إلى ذاته وإلى قدراته وراجع في النهاية إلى ذاته ولذاته ومتعته. وعوض أن يقدم الشكر لله مصدر الغني وإله كل عطية صالحة وعوض أن يقدم باكورة كورته إلى الله ليشتم الله رائحة سرور، وعوض أن يفكر في الأرملة واليتيم والمسكين فيشعر أن الله أعطاه ليعطي ويدخل السرور إلى آخرين، وعوض أن يفرق ويعطي ويقتني له برا فكر أن يخزن ويحبس الخير عن أهله، وعوضا عن أن يتأمل إنه إن كانت أزمنة للشبع فهناك سنوات للجوع... وعوض عن أن يتفكر في الله الذي ينمي والذي

يثمر... عوض كل هذا فكر في نفسه وفي تمجيد الذات وخزين الخيرات.
ماذا أعمل لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري.
لقد ضاقت مخازنه عن وفرة الثمر والخير الذي أصاب في هذه السنة وأراد أن يوسع المخازن لتجمع فيها الخيرات.
ومن عجيب الأمر أن هناك بعد آخر غير منظور ولكنه مدرك للسالكين بالروح، فكلما انفتحت الذات بكثرة الخيرات انحصر الإنسان في الأنانية وتقوقعـت نفسـه فـي الضـيق ودخل إلى مخابئ الكآبة وصغر النفس، وعلى العكس كلما بذل الإنسان وسكب ذاتـه وافتقر وفرغت مخازنـه الأرضية اتسع قلبـه ليسر الآخرين ودخل الإنسان إلى دائرة النـور والفرح.
عندما كسرت المرأة قارورة الطيب كثير الثمن وأفرغتها عـن آخرهـا علـى رأس الــرب يســوع وهـو متكئ... كـان يبدو حسـب الظـاهر أنهـا افتقرت وخسرت وسكبت وكانـت بحسـب أعين الناظرين أنهـا أضـاعت وأتلفت ولكـن حسـب فـكـر المسيح حفظتـه وخزنتـه لـحـيـاة أبدية واقتنت وكسبت لها صيتا فاخرا. وحينما يكرز بالإنجيل فـي المسكونة كلهـا يـذكر مـا فعلتـه هـذه المـرأة تذكارا لها.
على هذا القياس بدأ الرجل يخزن ويكنز ويوسع دائرة الذات ويبني مخازن أكبر وأوسع.... وهو في نظر الروح كان يضمحل ويتضاءل وينزوي.
لقد ظن هذا المسكين أنه في خصب كورته خصب لذاته ونمـو لكيانـه، وظن أن الغنـى الخـارجـي هـو كـل شـيء!! وللأسف أن هذا الفكر كثيـرا مـا ينمو فينـا ويظهـر بينـا وقد غاب عنا منظر ربنا " فإنكم تعرفـون نعمـة ربنـا يسـوع المسيح، أنـه مـن أجـلـكـم افتقـر وهـو غـني، لكي تستغنوا أنتم بفقره " (٢ كو ٨: ٩)
وغاب عنا أن الرسل الأطهار أرسلهم الرب فقراء من كل شيء من كيس ومزود وأحذية وثوبين حتى عصا الطريق.
وقد غاب عنا أيضا أن الرب اختار فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان وورثة الملكوت.
وغـاب عنـا أيضـا قـول الرسـول " أوص الأغنيـــاء في الـدهر الحاضـر أن لا يستكبروا، ولا يلقـوا رجـاءهم علـى غـير يقينية الغني، بل على الله الحي " (١تي ٦: ١٧). وما قالـه أيضا: " وأمـا الـذيـن يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطـون في تجربة وفخ " (١تي ٦: ٩).
لقد عاش آباؤنا القديسون كفقراء ولكنهم أغنوا كثيرين. لقد استغنوا بفقر المسيح والآن صاروا أغنى من العالم بأسره...
إن القديس بطرس الرسـول لـم يكـن لـه فـضـة ولا ذهـب ولكنـه قـال: الـذي لـي فإياك أعطيـه باسم يسوع المسيح قم،
" فوقف الرجل الأعرج الذي كان له أكثر من أربعين سنة".
ليس الغنى إذن في كثرة المقتنيات وليس أمرا من أمور هذا العالم الزائل.
لقد خدع هذا الرجل الغني المسكين بمنظـر الخيـرات الزمنية وأغرته أباطيل

كاذبة... هذا الغني المتمثل في خصب الكورة كزهر العشب يزول كما يقول الرسول: " لأن الشمس أشـــرقت بـالحر، فيبسـت العشــب، فسـقط زهـره وفنـي جمال منظره. هكذا يذبل الغني أيضا في طرقه " (يع ١: ١١)، كذلك راجع (إر ٤٨: ٣٦)

أهدم مخازني وأبني أعظم منها:

هل علمت أيها الإنسان الباطن ماذا تفعل؟ تأمل طيور السماء أنها لا تحصد ولا تجمع في مخازن وأبوكم السماوي يقيتها... كما أنكم أفضل من عصافير كثيرة؟ فلا تهتموا... لأن أباكم يعرف ما تحتاجون إليه...

أليس هذا ما يشغل بالنا في كثير من الأحيان... نذهب إلى تلك المدينة وهناك نقضي سنة نتجر ونربح... عوض أن تقولوا إن شاء الرب وعشنا نفعل كذا...

الرسول لم يمنع الإنسان من العمل أو التجارة أو الربح... كلا ولكنه ينبه ذهن الإنسان الذي يرسم للمستقبل ويخطط للأيام والسنين وقد نسى ما هو إنه بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل، ولكنه أسقط الله من حساباته وقدم مشيئة نفسه ولم يطلـب مشيئة الله، أما أولاد الله فإنهم يدركون ذلك تماما ويمارسونه في حياتهم عالمين أنهم موضوعون لهذا. فإن الله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة... ولذا يقولون في نهاية الأيام " أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته " (يو ١٧: ٤)، إنهم لم يعيشوا لذواتهم بـل للـذي أحـبهم ومـات عـنهم وهم يتفرغـون لتنفيذ إرادتـه ويسرون بها.

وفي المقابل هناك مخازن أخرى تجذب انتباه السالكين بـالروح. إنهـا المـخـازن السـمائية حيث يكنـزون خيـراتهم

" لأنه حيث يكون كنزك هنـاك يـكـون قلبك أيضا " (مت ٦: ٢١).

هنـاك حيـث لا يفسـد سـوس ولا صـدأ ولا ينقـب السارقون ويسرقون.

أما هذا الغني المسكين فقـد حبس قلبـه فـي مخازنـه الأرضية حيث السوس والصدأ وحيث ينهب السارقون.

قال الرب هاتوا العشور إلى الخزانة وجربوني... أجمع وأضع في خزانة الرب ستفتح كوى السماوات وتوسعك بركات وعطايا روحية حتى تقول كفانا... كفانا... كفانا.

تأمل المرأة الأرملة الفقيرة عندما ألقت الفلسين في خزانة الهيكل... ألقت كل ما لها. كل معيشتها. لقد خزنت لنفسها نصيبا صالحا إلى أبد الدهور.

أقول لنفسي يا نفس لك خيرات كثيرة، موضوعة لسنين كثيرة :

من أعلمك أيها الجاهل أنها سنين كثيرة، إن من ينظر إلى المستقبل هكذا يكون كمن يتكل على رصيد وهمي... يا للأسف عندما يقع الإنسان فريسة تسويف العمـر بـاطـلاً ويطمئن للعالم والزمن الخادع!!

ألست تعلم أن ذلك اليوم وتلك الساعة قد اختفيت عن عيوننا لنسهر ونستعد كل يوم وكل ساعة.

أل يس مكتوبـا أن أهـل العـالم حينمـا يقولـون سـلام وأمـان يـفـاجتهم

هـلاك بغتـة كالمخـاض للحبلـى فـلا ينجـون... أليس مكتـوب أن يـوم الـرب سـيأتي كلـص فـي الليل...
ألـم ينبـه الـرب ذهننـا قـائلا: اسهروا وصـلوا لأنكـم لا تعرفون اليوم ولا الساعة.
ألم يقل أنه ربما يأتي مساء، أم نصف الليل، أم صياح الديك، أم صباحا. وقال ما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا لئلا يأتي فيجدكم نياما. أما ذلك الغني فقد اطمأن أن لـه سنين كثيرة.
ربمـا نظـر إلـى صحة جسده وأنـه فـي مقتبل العمر... ولم يعلم قول الرسول: ما هي حياتكم إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل.
ألم يعبر قول يعقوب أب الآباء عن أيام سني غربته أنها قليلة رغم طول مدتها.
إنها غشاوة يضعها عدو الخير على العين فلا تبصر ولا تدرك في حين أن الإنسان في هذه الحالة يثق في نفسه أنـه حـكـيـم ومتبصـر بـالأمور وهـو بـائس مسكين وأعمـى وعريان.
لقد افترض أن الخيرات باقية لسنين كثيرة وأنه هو باق أيضا لسنين كثيرة ونسى فساد وزوال خيرات العالم... ألـم تذهب ثروات أيوب كلها في لحظة من الزمان!! كـم مـن أغنيـاء تبـددت ثـرواتهم كغيـوم الصـيف... وملوك وأباطرة دارت عليهم الدوائر فافتقروا إلى كسرة خبز.
ما هذا الخداع الرهيب؟... خيرات وفيرة لسنين كثيرة! إنها باطل الأباطيل كما قال سليمان الحكيم وقبض الريح، ليس جيد أن يتكل الإنسان على هذا الوهم الواهي... طوبى لمن إله يعقوب معينه واتكاله على الرب إلهه. أما أن يبقى هو سنين كثيرة فقد سمع من فم الرب هذه الكلمات المخيفة... يا غبي، الليلة تطلب نفسك منك.
فلا سنين كثيرة ولا حتى أياما قليلة... كانت الليلة التي يتكلم فيها بينه وبين نفسه كانت هي نهائية.

استريحي وكلي واشربي وافرحي:
هذه هي غايتـه فـي وجـوده في هذا العالم... كمثل الحيوانات غير الناطقة أو كما قيل عن أهل العالم الذين جعلوا منهجهم لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت.
إنه يعيش لهذا الهدف التافه الترابي راحة الجسد وأكل وشرب وفرح زائل... مـا أصـدق قول الرسول: " مـن يـزرع لجسده فمن الجسد يحضد فسادا " (غل ٦: ٨).

استريحي:
هل توجد راحة حقيقية في أرض جهاد وتعب ومشقة؟ إن أفخر أيام الأرض تعب وبليـة والإنسان مولود المـرأة قليـل الأيام وشبعان تعب... إذن كيف يستريح الإنسان؟! قال الرب مناديا تعالوا إلـي يـا جميـع المتعبين والثقيلـي الأحمال وأنا أريحكم. في المسيح وحده راحـة التعابي حيث يلقي الإنسان كل خطاياه وآلامه وتعبه على حمل الله حامل خطية العالم.
لقد ظن هذا الغني أن يرتاح متكلاً على خيراته ومستندا إلى غناه مرفها نفسه بالبز

والأرجوان والثياب الناعمة... وقد قال الرب عن مثل هذا الغني " مات الغني ودفن ورفع نظره وإذا هو معذب في الجحيم؟! " أين الراحة الوهمية التي تمناها وخدع قلبه بها... لقد تبخرت.
قال النبي في القديم: " قوموا وانطلقوا فليست هذه هي الراحـة" قـال أحـدهم: " يا نفسي استريحي دائمـا فـي الـرب فـوق كـل شـيء لأنـه هـو راحـة القديسين الأبدية ". هبني يـا يسـوع العـذب والمحبـوب جـدا أن أستريح فيـك فـوق كل خليفة... فـوق كـل عافيـة وجمـال... فـوق كـل مـجـد وكرامـة... فـوق كـل اقـتـدار... فـوق كـل علـم وحذاقـة... فـوق كـل غنـى وصناعة... فـوق كـل فـرح وبهجـة... فـوق كـل رجـاء وموعـد... فـوق كـل استحقاق ورغبـة... فـوق كـل المواهـب والعطايـا التـي تستطيع أن تمنحـا وتفيضها... فوق كل سرور وتهلل يمكن العقل أن يدركـه ويشعر به... وأخيرا فوق الملائكة ورؤساء الملائكة... فوق جميع ما يرى وما لا يرى... فوق كل ما ليس هو إياك يا إلهي.

كلي واشربي وافرحي!!
ألم يقل الكتاب " آلهتهم بطونهم "... الذين يفتكرون في الأرضيات أما الملكوت فهو ليس أكل وشرب بل بر وسلام وفرح في الروح القدس. لأنه إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص.
لقد صارت سيرتنا في السماويات، وصرنا نطلب بإلحاح في الصلاة خبزنا الذي للغد... خبزنا الآتي نطلبه كل يوم، صار المسيح نفسـه هـو أكلنا وشربنا وفرحنا وسلامنا بل وصار لنا الكل في الكل.

هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنيا الله:
أخيرا بعد أن ضرب الرب هذا المثل ختم أقواله الإلهية بهذه الكلمات المفعمة بالحكمة الإلهية لينبـه ذهنـا لكـي نستفيق من غفلتنا ولكي تنكشف الأمور أمام ناظرينا هذا هو مصير من يكنز لنفسه، وهذه هي النهاية للذين يعيشون لذواتهم.
وقد فرق الرب بهذه الكلمات بين نوعين من الأغنياء، فمنهم مـن هـو غـنـي لنفسـه ومـن هـم مـن هـو غـنـي الله، والفرق بين الاثنين جسر خطير. فأمـا مـن هـو غـنـي الله فهـو غـنـي فـي أعمـال صالحة، سـخـي فـي العطـاء كـريم في التوزيع، غير متكل على الغنى غير اليقيني بل على الله الحي.
قلبه ثابت... كنزه في السماء... يفتخر باتضاعه، كل هذه الصفات الإنجيلية والفضائل الروحية يعيشها ويتمتع بها غير ناظر إلى نفسه بل مزينا بأعمال الرحمة التي قال عنها الرب " أريد رحمة لا ذبيحة " مثل هذا الغني الله سوف يسمع كلمات الرب في النهاية " كنت أمينا في القليل (على الأرض) فأقيمك على الكثير (في السماء).
أي شكر نستطيع أن نقدم الله الذي فتح بصيرتنا لنتحقق زوال غني العالم وكل مجده بل وأعطانا بصيرة لنرى الغنى المذخر لنا في ميراثنا فننقل سيرتنا وكنزنا إلى فوق حيث المسيح جـالس. وأعطانا وصيته المقدسة لنسهر ونصـح لابسين

درع الإيمان حتى لا يفاجئنا ذلك اليوم بغتة كمتوانين بل ننتظر ونتوقع ظهوره واستعلان ملكوته.
له المجد في كنيسته إلى أبد الدهر... آمين.

مثل الفريسي والعشار (لو ١٨: ٩ - ١٤)

" وقال لق‌وم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار، ويحتق‌رون الآخ‌ري‌ن ه‌ذا المث‌ل: إنسانان صعدا إلى الهيك‌ل ليص‌ليا واح‌د فريسي والآخ‌ر عش‌ار. أم‌ا الفريس‌ي ف‌وق‌ف يص‌لي في نفس‌ه ه‌ك‌ذا: اللهم أن‌ا أشكرك أن‌ي لس‌ت م‌ث‌ل ب‌اق‌ي الن‌اس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشار. أص‌وم م‌رتين في الأسبوع، وأعش‌ر كل ما أقتنيه، وأما العشار فوقف من بعيد، لا يشاء أن يرفع عيني‌ه ن‌ح‌و السماء، ب‌ل ق‌رع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني، أنا الخاطئ، أقول لكم: إن هذا نزل إلى بيته مبررا دون ذاك، لأن كل من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع " (لو ١٨: ٩ - ١٤).

يسوع المخلص:

إن الرب يسوع في تعليمه الإلهي يلمس مواضع أوجاع البشرية كمخلص، فه‌و يكش‌ف أغ‌وار ال‌نفس لأن عين‌اه تخترقان أستار الظلام، وهو قابل الصلاة الذي إليه يأتي كل بشر، وهو العارف بقل‌ب ك‌ل واح‌د، وكل شيء مكشوف وعريان أمامه وتصعد إليه من قلوب أصفيائه كلمات الصلاة مختلطة بعواطف زكية تستقيم كالبخور الصاعد إلى عنان السماء، بينم‌ا تك‌ون ص‌لاة الأشرار مكره‌ة قدام‌ه إذ تك‌ون مختلطة بدنس القل‌ب ول‌و زينت بأجمل الكلمات، فالله يقبل الصلاة لا من اللسان والكلام بل من القلب حيث يكمن كنز الإنسان... " يا ابني أعطني قلبك "... " ليس كل من يقول لي يارب يارب "... " لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم، فإنهم يظن‌ون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم " (مت ٦: ٧).

إذا لنحذر ونقدم الصلاة دائما من القلب ولا تكن صلواتنا ترديدات وكلمات، ولنتعلم أنه في حال وقوفنا أمام‌ه يحك‌م على صلاتنا إما للبر كالعشار وإما بالرفض مثل الفريسي الذي صارت صلاته دينونة وحسبت صلاته عليه وليست له.

البار في عيني نفسه:

" قال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ".

ه‌ذا ه‌و أص‌ل ال‌داء، الذي أراد ال‌رب بهذا المث‌ل أن يخلصنا منه ويطهر قلوبنا وأذهاننا من هذا العيب القاتل.

والحقيقة أن هذا المرض والانحراف ف‌ي الحي‌اة الروحي‌ة يصيب ب‌الأكثر الم‌واظبين على العبادة والص‌لاة وق‌د تك‌ون الثق‌ة ف‌ي ال‌ذات م‌ن حي‌ث المعرف‌ة أو الحكم‌ة أو الإمكانيات الذاتية أو القدرات والمهارات. وقد نبه الكت‌اب المقدس " فإني لست أري‌د أيها الإخ‌وة أن تجهل‌وا ه‌ذا الش‌ر لئلا تك‌ون‌وا ع‌ن‌د أنفسكم حكم‌اء " (رو ١١: ٢٥). " ليمدح‌ك الغريب لا فمك " (أم ٢٧: ٢).

وقد يثق الإنسان في فهمه فيضل طريقه ويتعثر كثيرا لأن الكتاب يقول: " توكل على ال‌رب ب‌ك‌ل قلب‌ك، وعلى فهمك لا تعتمد " (أم ٣: ٥).

ويقول: " لا يخدعـن أحـد نفسه. إن كـان أحـد يـظـن أنـه حكيم بينكم في هذا الدهر، فليصر جاهلا لكي يصير حكيما "(اكو ٣: ١٨)
ويقع الإنسان في غباوة الذين إذ كانوا حكماء في أعين أنفسهم فإنهم لا يفهمون مكنونات الحكمة الإلهية، أما أن يثق الإنسان في بره وتقواه وصلاحه فهذا أمر مخيف حقا.
فالمثل قاله الرب لأناس واثقين بأنفسهم من جهة البر... يا للغباوة التي أصابت الذهن، والعمى الروحي الدافع إلى الهلاك إن هذا المرض الخطير صار ظاهرة متفشية في أيامنا تحتاج إلى مراجعة كثيرة.
من أين تأتي الثقة بالنفس بأن يكون الإنسان بارا في عيني نفسه؟!
الواقع أن ذلك يرجع لانطماس البصيرة الروحية! فلم يعد الإنسان يرى خطاياه ولا ضـعفاته بل يرى أنه غنـي وأنـه استغنى ولا حاجة له إلى شيء وهو كما يقول سفر الرؤيا: " لأنك تقول: إني أنا غني وقد استغنيت، ولا حاجة لي إلى شيء، ولسـت تعلــم أنـك أنـت الشــقي والبــئــس وفقـــير وأعمى وعريان (رؤ ٣: ١٧). أنه إنسان نسى تطهير خطاياه السابقة، نسى أن الله ينظر إلى السماء ذاتها وكأنها غير طاهرة قدام عينه وإلى ملائكته ينسب حماقة " هوذا عبيـده لا يأتمنهم، وإلى ملائكته ينسب حماقة " (أي ١٨: ٤). غاب عن ذهن هذا الإنسان موقف الآباء القديسين الذين كان منهجهم الإنجيلي واضحا " كذلك أنتم أيضا، متى فعلتم كـل مـا أمرتم به فقولوا: إننـا عبيـد بطـال ـون، لأننـا إنمـا عملنـا مـا كـان يجـب علينا " (لو ١٧:١٠). الذين وضعوا أمامهم قول الرب " فإني أقـول لـكـم: إنكم إن لم يـزد بـركم على الكتبـة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات " (مت ٥: ٢٠).
إن البار في عيني نفسه لا يرى سواها هذا نوع من تأله الذات... بل إن العبادة كلها تتحول إلى مظاهر تعود بالمدح على الذات وإثبات برهـا أمـام الناس وتضخمها في عين صاحبها... يصوم لينظره الناس، يصلي ويتصدق سعيا وراء تمجيد الذات، ويمارس عبادات ونسكيات كثيرة لتأكيد البر الذاتي... وكل هذا يعمله بحبكة وحرفية رهيبة، وعندما تقع على هذا المسكين جيل الذات الخبيثة يصدق زيفها ويقتنع بإتقان دورها الذي أخذت فيه الصدارة في مجال أعمال البر وحفظ الوصايا والواقع المر. إن الإنسان يكون أبعد ما يكون عن البر في عيني الله إذ يكون قد استوفى أجره كاملاً مدحا من الناس ومدحا من نفسه لنفسه.
ويحتقرون الآخرين: إن البار في عيني نفسه لا يرى في غيره فضيلة، ولكن عينه تبحث عن نقائص الناس، وإذ يقيس غيره على ذاته المتعظمـة المتأله ـة يتضاءل شـأن الناس جميعا في نظره من ناحية البر والفضيلة مهما كان شأنهم.
ولو أن الفريسي اكتفى بمدح نفسه وإظهـار بـره الكاذب أمام الله لهان الأمر، ولكنه تعدي ذلك إلى ذم الناس عامة ثم تعدى بالأكثر إلى احتقار العشار الواقف بجواره.
على العكس تمامـا كـان الآباء القديسـون مـا نظـروا إنسـانا قـط إلا ورأوا فيـه فضـيلة وتعلمـوا مـنـه درسـا وما قارنوا أنفسهم بأحد إلا ووجدوا أنفسهم

في الموازين إلى فوق.

العين البسيطة:
قبل أن أحد الأباء ذهب إلى أبيه الروحي في البرية حزينا متألما، فلما سأله أبوه عن سبب حزنه قال له: لقد جلست في قلايتي أعدد فضائل أخي فوجدتها ثلاثين فضيلة ولما بحثت في نفسي بالمقارنة لم أجد فضيلة واحدة... فعزاه أبوه الروحي قائلاً: أن رؤيتك لفضائل أخيك بينما لم تر في نفسك غير النقص هذا في حد ذاته يعتبر فضيلة الفضائل، يا للعين البسيطة النقية التي ترى فضائل الناس وحين تبحث عن العيوب لا تجدها سوى في نفسها.

محتقر الآخرين:
كيف يصل الإنسان إلى احتقار الآخرين؟
لا شك أن العين إذا امتلأت شرا لا ترى سوى من خلال شرها... فترى شرا في كل أحد.
لماذا تنتظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينيك فلا تفطن لها (مت ٧: ٣).
المحتقدر الآخرين يقود الناس إلى الرجم كبريء ولكن مـاذا يفعـل حينمـا يـواجـه الـرب بالكتابة أي سجل خطايـاه السالفة ويقول من منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر؟
المحتقر الآخرين هو مخدوع مأخوذ في حفرة... من اعلمه بقلوب الناس وسرائرهم... من أنت يا من تدين عبد غيرك... هو لمولاه...
المحتقر الآخرين لا يلتمس عذرا لأخيـه فـي خطيتـه... لا يرحم ولا يعرف سبيلا للمحبة بحسب المسيح.
الآباء القديسون عندما رأوا خطايا آخرين ستروها بالمحبة وتوبـوا أصحابها بمسـلك روحــاني " أيهـا الإخـوة إن انسبق إنسان فأخـذ في زلـة مـا، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثـل هـذا بـروح الوداعـة، ناظرا إلى نفسك لئلا تجـرب أنـت أيضا "
(غل ٦: ١)
وعندما رأوا أخا يخطئ اعتبروها خطيتهم الخاصة وبكوا وناحوا وصلوا وتضرعوا ولم يحتقروه!!
" وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار، ويحتقرون الآخرين هذا المثل " (لو ١٨: ٩)

المثل

إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا...
هذه بدايـة كـلام الـرب... شـافي نفوسنا... فالفريسي والعشار أولا وآخرا هما إنسانان أمام الله... والإنسان ضعيف مهما عظم شأنه، صغير مهما كبر، إنهما أمام الله إنسانان، عندما نقـف للصـلاة نصـير أمامـه مجـردين تمامـا لا اسم ولا رتبة

ولا وظيفة ولا تعب ولا شكل، لا شيء بالمرة. فأنت قبل وبعد كل شيء الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعبا (أي ١٤: ١) وما أجمل العبارة التي قالها إشعياء النبي: " كفـوا عـن الإنسـان الـذي في أنفـه نسمة، لأنـه ماذا يحسب؟ " (إش ٢: ٢٢)
القديسون العظـام حينمـا وقفـوا أمـام الله مـا وجـدوا شيئا يتقدمون به إلى الله فوقفوا أمامه عراه وضعفاء لم يضبطوا قوة كدانيال، وكإبراهيم أب الآباء حين قال: " إني قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد " (تك ١٨: ٢٧)، وأيوب الصديق يقول: " لذلك أرفض وأنـدم في التراب والرماد " (أي ٦:٤٢)، وداود النبي يقول: " يارب، أي شيء هو الإنسان حتى تعرفه، أو ابن الإنسان حتى تفتكـر بـه؟ " (مز ١٤٤: ٣)، ويقول: " لصقت بالتُراب نفسي، فأحيني حسب كلمتك " (مز ١١٩: ٢٥).
الإنسان عرضة للتغير، عرضة للضعف، عرضة للسقوط لولا نعمة الله معه، فكم من إنسان بدأ بالروح وكمل بالجسد، كم من إنسان سما في الفضيلة ثم سقط من رتبته!! وعلى العكس، كم من إنسان رفعه الله من المزبلة ليجلس مع رؤساء شعبه (راجع مت ١٩: ٣٠).
ولكن الفريسي نسي في صلاته أنه إنسان!! يا للحسرة نسى أنه نفخة وتراب وبخار!!
وضع الرب أمامنا هذا النموذج " اللهـم أنـا أشكرك أنـي لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشار. أصوم مرتين في الأسبوع، وأعشر كل ما أقتنيه ".
ترى هل تسمى هذه صلاة؟!
إنه واقف أمام الله لا ليأخذ بل كأنه يعطي
!! إنه الشعور بتكميل الواجبات نحو الله، ماذا يريد الله مني بعد ذلك؟ ليس له عندي شيء!! إنه شعور مؤسف حقا، كأن الإنسان يتفضل على الله. ما هي صلواتنا وما هي أصوامنا وما هي عشورنا في حد ذاتها؟ هل الله محتاج إلى هذه كلها؟ حاشا هل الله معوز لعبادتنا؟ ماذا لو لم يقدم إنسان كل هذه الأمور... هل ينقص الله شيء؟
إن الله هو مصدر النعم، وأصل كل بركة، ومنه وله كل الأشياء. نحن حينما نصلي نأخذ من الله، وحينما نصوم نأخذ من الله، وحينما نعطي نأخذ من الله. هو المنعم دائما المعطي بسخاء، الكـريـم فـي التوزيـع... " كـل عطـيـة صالحة وكـل موهبـة تامـة هـي مـن فـوق، نازلـة مـن عنـد أبـي الأنوار، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران " (يع ١: ١٧).

مقارنة مغلوطة:
تلك المقارنة في كلمات الفريسي تحوي خداعا قاتلاً.. قد يكون في كلام الفريسي شيء من الصدق أنه ليس مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة.
والسؤال لمـاذا قـاس نفسه بهذه العينات الساقطة مـن الناس؟ لماذا لم يقارن نفسه بالقديسين والأبرار والشهداء الذين أحبوا الرب حتى الموت؟!

لماذا لم يقارن صلواته بصلوات إيليا الذي أغلق السماء بسلطان وصلى أيضا فأعطت السماء مطرا... لماذا لم يقارن صلواته بصلوات الأبرار التي تقتدر كثيرا في فعلها كصلاة نحميا وعزرا ودانيال والثلاثة فتية القديسين في أتون النار؟؟
لم‌اذا ل‌م يق‌ارن ص‌ومه بأص‌وام الأبرار؟ كموسى وإيليا الذين صاما أربعين يوما كاملة ولا بصوم أستير بتذللها حتى استدرت مراحم الرب، ولا بص‌وم أهل نينوى الذين رفع الله غضبه عنهم!؟ ولكن‌ه وض‌ع أم‌ام‌ه أمثل‌ة ض‌عيفة ساقطة منحرفة لكي يزكي ذاته.
إنه يصوم مرتين كل أسبوع.
وهك‌ذا م‌ن جه‌ة العط‌اء إن‌ه يعش‌ر ك‌ل م‌ا يقتني‌ه...
أل‌م يكش‌ف ال‌رب أغ‌وار الفريسيين حين قال: " وي‌ل ل‌ك‌م أيه‌ا الكتب‌ة والفريسيون المراؤون! لأنك‌م تعشرون النعن‌ع والشبت والكمون، وتركتم أثق‌ل الن‌اموس: الح‌ق والرحم‌ة والإيم‌ان ك‌ان ينبغي أن تعمل‌وا ه‌ذه ولا تترك‌وا ت‌ل‌ك " (مت ٢٣: ٢٣).
تعش‌رون النعن‌ع والبق‌ول وت‌أكلون بي‌وت الأرام‌ل، أيه‌ا الفريس‌ي الأعم‌ى تص‌لي قائم‌ا ف‌ي زواي‌ا الش‌وارع لكي ينظرك الناس مزكى من الخارج وبواطنك مملوءة غش مثل قبر مبيض؟ ما أكره الرياء ما أحقرك أيتها الفريسية التي حجبت وج‌ه الله ف‌رددت ص‌لاة الفريسي الأعمى إلى حض‌ن‌ه ورجعت كلمات‌ـــه بع‌د أن أغلق‌ت السماء دونها.

القياس السلبي:

القياس إل‌ى أن‌اس فاس‌دي ال‌رأي وع‌ادمي الذهن، والمقارنة بالمستويات الدون والسلوكيات البغيضة تؤله الذات وتجعل الإنسان بازا في عيني نفسه، أليس هذا هو منطق كثيرين حين تبلغ إليهم كلمات الإنجيل منبهة.
فيقول قائل: " أنا إنسان لا أؤذي أح‌دا ولا أض‌ر أح‌دا ولا أضمر لإنسان شر ولا أحلف ولا أش‌تم ول‌م أس‌رق ول‌م أزن... " وهكذا ببساطة شديدة يبرر الإنسان ذات‌ه ويبدو وكأنه غير ناقص وغير محتاج أو قل أنه قد وصل إلى الكمال الروحي... لقد وقع المسكين ف‌ي الف‌خ وق‌ام نفسه بمقياس مغلوط إن قياسنا الصحيح هو ملء قامة المسيح والسعي إلى أن نبلغ الذي من أجله قد أدركنا المسيح لعلنا نبلغ إلى قيامة الأموات.
وال‌رب ت‌رك لن‌ا مث‌الاً لنقتفي آث‌ار خطوات‌ه... ف‌إن عرفنا هذا فلنخرج على آثار الغنم لكي لا تض‌ل أقدامنا سبل الحي‌اة... لنخ‌رج عل‌ى آثار الآب‌اء ف‌ي الفض‌يلة والسعي وراء المسيح وإنكار الذات والحب الحقيقي والاتضاع الكام‌ل " كون‌ـــوا متمث‌ـــلي‌ـن ب‌ـــي كم‌ا أن‌ـا أيض‌ا بالمسيح " (اكو ١١: ١).

ولا مثل هذا العشار:

يا ليتك كنت مثل هذا العشار... الكنيسة وضعت في أفواهنا كلمات العشار نكررها كل يوم في الصلاة، وص‌ار العشار في قرع صدره وتنكيس رأسه وخفض نظره

في خوف ورعدة كثيرة... صار كل هذا نموذجا رائعا يحتذى به في كنيسة الله!!
أما الفريسي فلم ير شيئا في هذا العشار سوى خطايا منظره الخارجي ألم يصر العشار متى واحدا من الإثنى عشر رسولا الأطهـار تلاميذ الـرب الـذين صاروا أساسـات سـور أورشليم السمائية.
إيـاك يـا أخـي مـن إطـلاق لسـانك بالجيـد والـرديء على الناس، العبرة بالنهايات دائما...
قال الرب للفريسيين: " إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله " (مت ٢١: ٣١).

صلاة العشار:
أما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، قال أحد الآباء أن صلوات العشار غلبت الله الذي لا
يغلب.
لمـاذا وقـف مـن بعيد؟ إنـه شـاعر أنـه لـيـس لـه جـرأة ولا جسارة ولا قدوم بسبب خطاياه. إنه يشعر في أعماقه ببعد
المسافة بينه وبين الله القدوس... لذلك وقف من بعيد.
أية خلطة للبر مع الإثم؟ بأي استحقاق يقف أمام قدوس القديسين الساكن في النور الذي لا يدنى منه؟ كيف يقترب إليه إنسان خاطئ. هو ذات الشعور الذي سكن قلب المرأة الخاطئة فجاءت من وراء الرب عند قدميه باكية.
الخوف والرعـدة هما الإحساس الطبيعي للقلب المتضع عندما يتراءى أمام الله.
إشعياء النبي اعتراه خوف عندما رأى السيد الرب جالسا على كرسي عـال ومرتفع وأذيالـه تمـلأ الهيكل فصرخ قائلاً: " فقلت: ويل لي! إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين " (إش ٦: ٥)
ذات الشعور اجتاح قلب بطرس عند صيد السمك الكثير فطلب إلى الرب قائلاً: " اخرج من سفينتي يا رب، لأني رجل خاطئ " (لوه: ٨)
مـن يستطيع أن يقترب إلى غير المقتـرب مـنـه... إن اجتراء الفريسي وجسارته مبغوضة ومكروهة لأن دافعها هو الكبرياء والثقة بالنفس، إنه بار ماذا يمنعه من الوقوف أمام الله، لقـد تطهـر بغسـلات خارجيـة وصـار واثقـا فـي نفسه، أنـه لـيس مـا يعيبـه أو يخفيـه فـاجترأ بغيـر معرفة كمن يدخل إلى النار الآكلة بغباوة وثقة في النفس، فإنه في الحال يحترق، لأنـه مـاذا يكون الإنسان في مثل هذه المواجهة.
أما العشار فقد غرف نفسه واثقا أنه خاطئ وضعيف وليس له أن يقف في الهيكل. ولكن احتياجه يدفعه وشعوره بالهلاك والضياع بعيدا عن الله جعله يهرب إلى الله... إنه يتقدم بشعور المحتاج لا بشعور المستحق، لذلك وقف من بعيد كمن يتوسل ويستجدي.
الدالة على الله تكون قوية إذا كانت مصحوبة بالاتضاع لا بالكبرياء... بالبر الحقيقي لا بتزييف البر وتصنع القداسة.

لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء:
هكذا كانت عيني العشار منكسرة في اتضاع عجيب، من الذي يرى هذا المنظر ولا يرق له!! إنه بوقفته هذه وعينيه الذابلتين قد استجلب المراحم الإلهية، صارت عينيه كعيني العبيد إلى أيدي مواليهم ومثل عيني الأمة إلى يد سيدتها. يقول المرنم: كذلك أعيننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا (مز ١٢٣: ٢). قال الرب لعروس النشيد: " حـول ـي عن ـي عيني ـك فإنهما قد غلبتاني " (نش ٦: ٥).

بل قرع صدره قائلاً: اللهم ارحمني أنا الخاطئ:
ما أن تسلمت الكنيس ـة م ـن ف ـم ال ـرب هذا التعليم عن الصلاة حتى جعلته منهجا للتوبة في كل مناسبة، فصار قرع الصدر والوقوف في خشوع وخفض النظر إلى أسفل... صار كل هذا يسلم من جيل إلى جيل كتعبي ـر ص ـادق للتوبة والرجوع والإحساس بوجع الخطية وطلب المراحم.
ففـي ص ـلاة الغروب تقول: " فم ـا أجسر أن أنظ ـر ن ـح ـو السماء لكني أتكل على غنى رحمتك ومحبتك للبشرية صارخا قائلا: اللهم اغفر لي أنا الخاطئ وارحمني "، وكذا في صلاة النوم نقول: " لكني أتخذ صورة العشار قارعا صدري قائلاً: اللهم ارحمني أنا الخاطئ ". هنا تضع الكنيسة حركات توبة العشار كأيقونة دائم ـة للوصول إلى وقفة صحيحة مقبولة. فأوضاع الجسد مقترن ـة م ـع خل ـج ـات النفس ك ـأن انسحقت النفس ولص ـقت ب ـالتراب ص ـار الجس ـد ش ـريكا ومعب ـرا ع ـن حركات التوبة.
فدموع المرأة الخاطئة، وقبلاتها التي لم تكف على قدمي المخلص، وارتماء الابن الراج ـع عن ـد ق ـدمي أبيه، وسجود سمعان في سفينته " خ ـر عن ـد ركبتي يس ـوع قائلا: اخ ـرج م ـن سفينتي ي ـارب... " (لوه: ٨)، إلى آخر هذه الأمور صادقة التعبير صارت أساسا من أساسات العبادة المقبولة والمرضية لدى الرب إلهنا.
والكنيسة تضع أيضا صلاة العشار في أفواهنا ك ـل ي ـوم لننال ذات التبرير إذا نطقناه ـا بانسحاق العش ـار وش ـوقه للخلاص، ففـي ذوكصولوجية الص ـوم المق ـدس نستعرض عينات التوبة والتذلل المقبول أمام الله، والذين نالوا نعم ـة الخلاص بالصلاة المنسحقة مث ـل الم ـرأة الخاطئة والل ـص اليمين وأهل نينوى.
وفي مقدمة هؤلاء تجيء صلاة العشار فنقول: " اجعلني مثل العشار الذي أخطأ إليك وترأفت عليه وغفرت له خطاياه.
وفي ختام الثيؤطوكيات الآدام نقول: " فإن العشار اخترته والزانية غفرت لها واللص اليمين يا سيدي ذكرته ".
وفي مديح ـة عل ـى إبصالية يوم الأح ـد نق ـول: " أص ـرخ بصوت العشار وأنا بوجه مطاطي... اللهم اغفر لي الأوزار فإني عبدك خاطي ".

في القداس:
بل إن الكنيسة كلها وهي في قمة صلواتها في القداس تقف من الرب موقف العشار المغبوط، ففي نهاية القداس بعد صلوات القسمة حين ينادي الشماس قائلا: " أحنوا رؤوسكم أمام الرب أي قفوا مثل العشار الذي لم يشأ أن يرفع عينيه

نحو السماء وتجاوبه الشعب قائلين: " أمامـك يـارب " فيقول الشماس: " انصتوا بخـوف الله "، وهنـا يقـرأ الكاهن التحاليل ويطلب الغفران للشعب " الذين أحنـوا رؤوسهم تحـت يـدك ارفعهم في السيرة وزينهم بالفضائل "، هنا ندرك أن الكنيسة ترجمت الإنجيل المكتوب إلى حياة، وحولت حركات العشار إلى واقع في حياة أبنائها واستلهمت كلمات التوبة عينها لكي تبلغ بها إلى بر المسيح.

نزل إلى بيته مبررا:

" مـا أبعـد أحـكامـه عـن الفحـص وطرقـه عـن الاستقصـاء!
لأن من عرف فكر الرب؟ أو من صار له مشيرا؟ " (رو ١١: ٣٣ - ٣٤). كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي.
الفريسي في عين الناس ممدوح وممجد، معروف ومشهور بالتدقيق وحفظ الناموس، مميز بين الجميع، يشيرون إليه في كـل مكـان كإنسـان بـار ومـتـدين، ملابسـه تمي ـزه، وشكله وتصرفاته الظاهرة، يصلي قائما في زوايا الشوارع، يصـوم معبسا وجهه لكي ينظره الناس، يعطي العشور بتدقيق بالغ حتى عيدان النعناع والشبث والكمـون. وهكذا على العكس بحسب حكم الناس ونظرتهم يكون العشار... مكروها مهانا من الجميع معروف بخطاياه وظلمه... إلخ.
هذه هي أحكام الناس، بحسب المظهر الخارجي... فإن صلى الفريسي والحال هذه مدحه الناس على صلاته وقيامه وتدقيقه، وإن صلى العشار انتقده الناس وظنوا أنه لا يمكن أن يكون مقبولاً لدى الله، ولكن الرب يشهد في هذا المثل لصلاة العشار يقبلها ويتقبلها ويتنفسها رائحة رضا وسرور بينما يرفض صلاة الفرنسي فيخـرج مـن لـدن الرب صفر اليدين خالي.
هكذا فاز اللص بالفردوس وهـو فـي آخـر لحظـة يلفظ أنفاسه محكوما عليه من الناس كمذنب وفاعل شر، لكنـه صلى صلاة فقبلت وطلب إلى الرب المصلوب أن يذكره في ملكوته فكان أول الداخلين إلى الفردوس. وها المرأة الخاطئة محكوما عليها في المدينة كلها أنها خاطئة... صلت بدموع فسمعت دقات قلبهـا المحترق، ونزلـت مـن بيـت الفريسي مغفورة الخطايا حاصلة على السلام. وها السامرية مشهورة في مدينتها أنها لها خمسة أزواج سابقة والذي معها ليس رجلها، جلست مع الرب عند بئر سوخار فعادت مبررة تكرز بالمسيا مخلص العالم.
نزل العشار من الهيكل مبررا من فم الرب، وإن كان في نظر الناس إنسان خاطئ، بينما نزل الفريسي راضيا واثقا في نفسه أنه بار وهو في نظر الرب مرائي مرفوض.
الذي سعى في إثـر الب ـر بطريقته الناموسية... سقط. والذي طلب الغفران بنفس منسحقة استحق أن يتمتع بالبر وكمل قول الرب: " من يرفـع نفسـه يتضـع، ومن يضـع نفسـه يرتفع " (مت ٢٣: ١٢).

مـثـل الـزارع (مت ١٣: ١ - ٩)

" في ذلـك اليـوم خـرج يسـوع مـن البيـت وجلـس عنـد البحـر، فاجتمع إليـه جـمـوع كثيرة، حتى إنـه دخـل السفينة وجلـس. والجمـع كـلـه وقـف على الشاطئ، فكلمه‍ـم كـثيرا بأمثال قائلاً: هـوذا الـزارع قـد خـرج لي‍ـزرع، وفيمـا هـو يـزرع سقط بعـض على الطريق، فجاءت الطيـور وأكلته. وسقط آخـر على الأماكن المحجـرة، حيث لم تـكـن لـه تـربـة كثيرة فنبـت حـالاً إذ لم يكـن لـه عمـق أرض، ولكـن لـمـا أشـرقت الشمس احترق، وإذ لم يكـن لـه أصـل جـف، وسقط آخـر على الشـوك، فطلـع الشـوك وخنقه، وسقط آخـر على الأرض الجيدة فـأعطى ثمـرا، بعـض مـئـة وآخـر سـتين وآخـر ثلاثين.
من له أذنان للسمع، فليسمع " (مت ١٣: ١ - ٩).

مـثـل الـزارع

الكنيسة تقرأ إنجيـل الـزارع في الأحد الأول والثاني من شهر هـاتور وهـو موسم الزراعـة فـي مصـر، لتنقل ذهـن الإنسان من العمل المادي إلى مستوى الروح ليعيش واقعه اليومي عندما كان يعمل بزراعة الأرض ليس بحسب الجسد ولكن بحسب الروح.
فالمسيح طلب من أجلنا - " لست أسأل أن تأخذهم مـن العالم بل أن تحفظهم من الشرير " (يو ١٧: ١٥) - فليس المطلوب من الإنسان المسيحي أن يهجر العالم أو يهرب من العالم، ولكن يعيش في العالم ليقدس العالم ويمارس الأعمال وبحياته الروحية يقدسها وينقلها من مستوى التراب والمادة ليرتقي بها إلى مستوى الروح.
" فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلـون شـيئا، فافعلوا كـل شـيء لمجـد اللـه " (اكو ١٠: ٣١). الإنسان المسيحي لا يكـف عـن تحويل المادي‍ـات إلـى روحي‍ـات، ولا يكـف عن الارتقاء بالأمور الزمنية ليدخلها دائرة الأبديات... وذلك بتقديس نفسـه كـل يـوم وكل ساعة بالتوبة والصـلاة القلبية والـدخول فـي شـركة روحيـة حقيقيـة مـع المسـيح فيتحقق قول الرسول: " فأحيـا لا أنـا، بـل المسيح يحيـا في " (غل ٢: ٢٠)، فيمـارس أعماله اليوميـة لـيس بذاته وقدراتـه إذ يشـعـر مـن أعماقـه أنـه لا شيء..." أنـا مـا أنـا "... في حـيـن أنـه يلقـي رجـاءه بالتمـام علـى النعمـة ويثـق أن المسيح عامل به وفيه فيقول: " بـل نعمـة اللـه الـتـي معـي " (اكو ١٥: ١٠)، فمعروف أن الأكل والشرب والمباشرات اليومية والأعمال اليدوية والوظائف... كلها أفعال مادية والإنسان المسـيحي المتقـدس بـــالروح يـدخل فعـل الصـلاة إلى جميع أعماله فيقدسها... لأن كل شيء يتقدس بكلمـة الله والصلاة.
ومن ناحية أخرى، يشعر الإنسان المسيحي في أعماله أنه يعمل كل شيء من أجل

خاطر المسيح الذي أحبه وأسلم ذاته عنه، فهو يحيا للمسيح مديون محبته ويموت للمسيح... ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته... إن عشنا للرب نعيش وإن متنا للرب نموت، إن عشنا وإن متنا فللرب نحن، أي أن كل شيء يفعله لأجل يسوع... حتى أخص الأعمال المادية من أكل وشرب... " من يأكل فللرب يأكل ويشكر الله... ومن لا يأكل فللرب لا يأكل لأنه يشكر الله '.
هك ـذا تتق ـدس ك ـل الأفع ـال، فه ـو إذ يمارس ـه ـا ب ـروح الص ـلاة الدائمة... يجد نفس ـه م ـؤازرا من النعم ـة مس ـنودا بالأذرع الأبدية فينجح في كل ما يعمله، وأولا وأخيرا ينسب الفضل لله العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة.
هذا هو تدبير الكنيسة المقدسة حينما تحول المناسبات الموسمية التي يعيشها الإنسان على الأرض لتجع ـل ف ـك ـره وسيرته في السماويات " فإن سيرتنا نح ـن هي في السماوات " (في ٣: ٢٠).

المثل:
ه ـذا الم ـث ـل م ـن الأمث ـال ال ـت ـي ف ـس ـره ـا ال ـرب بنفس ـه للتلاميذ وقال في معرض حديثه إذ كان يفسر لهم المثل " لكم قد أعط ـى أن تعرف ـوا أس ــرار ملكوت الله " (لو ٨: ١٠)
المث ـل إذن يح ــوي أس ـرار ملك ـوت الله، ولتلامي ـذ ال ـرب الح ـق، ك ـل الح ـق، أن يعرف ـوا وي ـدركوا ه ـذه الأس ـراروي طلعوا عليها بالروح ليدركوا الذي من أجله أدركهم المسيح.

الزرع هو كلام الله:
كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته.
هذه هي طبيعة الكلمة قوية وحية ولها سلطان إلهي... خالقة ومبدعة.
والله تكلم منذ البدء... كلم الآباء بالأنبياء قديما بطرق متنوعة وكلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه.
المسيح هو الكلمة الذاتي... الكائن في الحضن الأبوي كل حين... الذي به خلق العالمين... العالم والمصنوعات خلقت كله ـا بالكلم ـة... بكلم ـة في ـه أسس ـت السماوات.
" في البدء كان الكلمة، والكلم ـة ك ـان عن ـد الل ـه... " (يو ١: ١)، الكلم ـة ليست مستحدثة ولا منفصلة عن الله... المس ـيح
كلمة الله الأزلي الأبدي... ليس عنده تغيير ولا ظل دوران.
إذن كلمة الله ليس فيها مواربة ولا مجاملة ولا تؤخذ على هوى الإنسان ليعلل نفسه بعلل في الخطايا. لذلك وصفت بأنها سيف ذي حدين... وقيل للكارز أن يفصل كلمة الحق بالاستقامة... بلا محاباة الوجوه وب ـلا شبه ظل دوران الذي هو طبيعة الشيطان الذي يغير شكله بحسب الظروف ليخدم قصده السيئ الشرير.
كلمة الله تحمل في طياتها ذات العمل الذي عملته في القديم " قال الله ليكن ن ـور، فك ـان ن ـور... وفصل الله بين الن ـور والظلمة "، هنا فعل الكلمة في الخلق

وهو ذات فعلها في القلب، حينما تشرق في القلب فإنها تبدد الظلمة ويشرق نور وجه يسوع المسيح " الله الذي قال: أن يشرق نور من ظلمة هـو الـذي أشرق في قلوبنا، لإنارة معرفـة مجـد اللـه في وجـه يسوع المسيح " (٢ كو ٤: ٦).
إذا اقتحمت الكلمـة قلـب الإنسـان فـلا وجـود للظلمـة فيما بعد، " أنتم الذين كنتم قبلا ظلمـة أما الآن فنـور فـي الرب ".
الكلمة في الخليقة صنعت مسرة الآب وأكملت مشيئته...
فرأى الله كل ما عمله أنه حسن جذا، ولما سقط الإنسان وتغيرت هيئتـه وسـقط في الغوايـة أعـاد الله خلق الإنسان بالكلمة - بالمسيح - عندما أخذ جسد الإنسان ومات به وقام وأكمل مشيئة الآب ومسرته في خلق الإنسان الجديد في نفسه " أنـا مجـدتك على الأرض، العمـل الـذي أعطيتني لأعمـل قد أكملته... أنا أظهرت اسمك للناس " (يو ١٧: ٤، ٦).
الكلمـة تعمل فينـا مسـرة الآب وتكمل مشيئته مـن جهـة خلاصنا وتمتعنا بالميراث الذي دعينا إليـه الـذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل... الكلمة لا ترجع فارغة بل تعمل عملها...
لم تأت كلمة في القديم أو الجديد بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين بالروح القدس... لا دخل لمشيئة الناس في الكلمة إذ هي مرسلة من الله.
الله هو المتكلم وحده... لذلك قال الرب يسوع في تفسيره للمثل: الزارع الزرع الجيد هو ابن البشر. لقد أرسل تلاميذه يكرزون وينادون بالكلمة " لأنه قد اقترب ملكوت السماوات... " (مت ٣: ٢)، وأعطاهم سلطان الكلمة في أفواههم مؤيدا ومؤازرا الكلام بالآيات التابعة كقوة كلمة الله... ولكن بقي أن ندرك أن المسيح هو المتكلم وهو الزارع وهو العامل في الزرع وهو الساقي وأخيرا هو الذي ينمي ويتعهد لأنه ساهر على كلمته ليجريها.
المسيح يعطي الكلمة في سخاء مطلق... يلقي بذاره على الطريق والأرض المحجرة والأماكن التي ينبت فيهـا الشـوك والأرض الجيدة على السواء... يعطي فرح الخلاص وفاعلية الكلمـة للجميـع، لـم يستنكف الـرب يسوع أن يدخل بيـت الفريسي رغم أنه يعلم مسبقا قلبه ودواخله، وأعطى له فرصة لعله يرجع وتحيا نفسه وتكلم الرب يسوع بكلمات الملكوت مع جميع الناس كهنة وفريسيين وكتبة، ومع الذين كانوا يعاندونه ومع الذين جاءوا يصطادونه بكلمة من فمه ومع الذين ألقوا عليه الأيادي ومع الخطاة والأثمة ومع العشارين والخطاة... مع الجميع جلس وتكلم وألقى بذار الملكوت.

رحلة البذار المزروعة:
لقد ألقى الرب ضوءا شديدا على موقف أصناف الناس من الكلمة المزروعة القادرة أن تخلص النفس.
فقال: إن الكلمة التي ألقيت على الطريق جاءت طيـور السماء وخطفتهـا... وقـال الـرب عـن هـؤلاء أنهـم حينمـا يسمعون الكلمـة يـأتي إبليس وينزع

الكلمـة مـن قل-وبهم لئلا يؤمن-وا فيخلص-وا... الشيطان يع-رف ق-وة الكلمـة وأثره-ا وامتدادها... لذلك فهو يحارب بكل قوته يقصد أن يحول دون وصول الكلمة أو تلامسها مع القلوب التي تملك عليها... هذا العمل خطير جدا... هنا تكون الكلمة مسموعة بالأذن وكأنها لم تسمع على الإطلاق... وقد تفهم بالعقل ولكنها لا تم-س ال-روح ولا الوج-دان لا من قريب ولا من بعيد. إن الشيطان يحرص كل الحرص أن يضع هذا الحاجز الرهيب وكان هناك بعدا شاسعا بين ما يسمعه الإنسان وبين واقع حيات-ه... فلا هو قبل الكلمـة ولا أعطي-ت ل-ه فرص-ة للعم-ل بها...
قال الرب... إن إبليس ينزع الكلمة من قلوبهم كما تخطف الطيور الحبوب الملقاة على الطريق... هذا معناه النسيان المطل-ق لكلمـة الحي-اة لا تخط-ر للإنس-ان عل-ى ب-ال ولا يتذكرها ولا للحظة وكأن لا وجود للكلمة أي أن الإنسان يعيش حياته بدون كلمة الحياة أي يبقى في الموت.

ولكن هل من رجاء؟!!
إن باب الرجاء في المسيح لا يوصد دون الإنسان إلى آخر نسمة... فالمسيح فاتح ذراعيه على الصليب بلا أدنى تحفظ وهو لا يسر بموت خاطئ ولا يشاء ذلك... بل يفرح برجوعه إليه، وهذه النوعية من القلوب التي شبهها الرب بالطريق في وسط الأرض الزراعية قد صارت هكذا بسبب المشي عليها، لقد ديست من كثيرين فائدكت تحت الأقدام وفقدت طبيعتها المسامية وفقدت كل ليونتها ورطوبتها ويبست تماما، هذا ما يحدث تماما لقلوب انفتحت على العالم فداستها الأقـــدام أفسدت طبيعته-ا ف-ل-م تع-د تناس-ب الكلمـة ولا تستقر فيها بل يخطفها الشيطان في الحال.
لقد ركب هذا القلب إنكار من هنا ومن هناك... وجاز في هذا الطريق كل أقدام الشيطان من أهواء فاسدة وأطماع في العالميات... ومحبة للعالم وغرق في مباهجه وشهوة الجسد وتعظم المعيشة... ل-م يمن-ع أح-د م-ن الم-رور.... لقد صار القلب مشاعا وطريقا لأي أحد لا تمييز ولا إفراز لقد تبلدت المشاعر تماما ومات الضمير واختفت الوصايا التي قالها الرب من القلب...

بداية التوبة:
إن بداية التوبة لمثل هؤلاء... هي وقفة حازمة مع النفس يقطـع فيه-ا الإنسان الطري-ق ع-ن الم-رور... بك-ل ق-وة وجبروت... يسد المداخل والمخارج بكل استحكام قبل أن يبدأ في إصلاح الأرض... يغلق أبوابه بكل حكمة وفطنة لئلا يعود إلى ما كان عليه.
ولا يخفى أن هذا الطريق كان يوما ما جزءا من الأرض المنزرعة بذات الطبيعة وذات الإمكانيات... ولكن لكثرة ما انداس بالأق-دام ص-ارت ل-ه ه-ذه الصلابة وع-دم الليونة، فالفرصة أمامه سانحة والإمكانية موجودة والطبيعة جيدة في أصلها.
معظم هؤلاء الناس كانت لهم قلوب طيبة ونفوس طيعة ج-ذا ربم-ا له-ا م-اض من الثمر ومعاملات قديمة تشهد بجودتها وحيويتها.

الطريق الوحيد للرجوع هو إغلاق المنافذ، ثم تبدأ أعمال المحراث في تقليب الأرض من جديد... يزيل قشرة قساوتها وتفتيت كبريائها وتماسكها المميت، ويعرض أعماقها لشمس البر مرة أخرى ويسمح لمياه النعمة أن تتخلل جزئياتها وتعيد إليها ليونتها الأولى، حينئذ تلقى البذار فتتخللها وتجد في عمقها بيئة طيبة للنمو فتثمر لحساب المسيح...
وكـم مـن نفـوس بعدما عاشـت سـيرة عالميـة مخيفة وانفتحت على العالم بكل طاقاتها واستهلكها العالم بلا رحمة فصارت كأنهـا بـلا إلـه وبـلا كلمـة حيـاة، ولكـن فـي زمـان الافتقاد رجعـت إلـى الـرب بقـوة وأخصبت بكلمـة الحيـاة وأنضجت للروح ثمر بر للسلام... والأمثلة على ذلك كثيرة أو قل أنها بلا حصر...، فحياة التائبين والتائبات في الكنيسة في عصورها القديمة والحديثة هي أكبر شهادة حية لعمل النعمة.

ضمان استمرار التوبة:
ولكن الركيزة الأولى للتوبة في حياة هؤلاء كانت الوقفة الأولى القاطعة من ناحية سد الثغرات ومنافذ العالم. لقد كان صدق النية في البداية هو ضمان التوبة إلى النهاية، فبعدما أغلقوا قلبهم من جهة الشر، قبلوه مرة أخرى. فأماكن الشر أو الرذيلة وأصدقاء السوء وكل ما ينتسب إلى ذلك قطعوه بكل قوة، فها إحدى القديسات ترفض بعد أن خرجت من بيت الخطية أن تعود إليه حتى لأخذ ثيابها...
ولا شك أن تقلـب الأرض حتـى إلـى باطنهـا وتكسير صلابتها استنفذ من القديسين جهذا شاقا واستلزم جهادا هذا مقداره. وسهروا يحرسون أسوارهم حتى لا يطأ العدو قلبهم فيصيبهم بالبلادة الأولى.

ثانيا: الأرض المحجرة:
الذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح، وهؤلاء ليس لهـم أصـل فيؤمنون إلـى حـين، وفي وقت التجربة يرتدون. الشيطان يمنع المتشبهين بالطريق من أن تلمـس الكلمـة حيـاتهم فيؤمنـون ليخلصـوا، أمـا هنـا فقد كان نصيب البذار أوفر حظا، ولكن بحسب الظـاهر فالأرض تخفـي تحـت مظهرهـا الـذي يبـدو طيبـا قسـاوة حجر في قلبها يعوق حركة البذرة ويصد فعلها بقوة وقساوة... المظهـر هنـا هـو كـل رأسمال هذه الأرض... حسـب الظاهر... حسب عين الناس تبدو فيها ملامح الروحانيين...
حسب التفاعل السريع والتلقائي تتجاوب مع الوصايا وتنفعل بانفعالات كأنهـا تبشر بالخير ووفرة المحصول. ولكـن يـا لخيبة الأمل فهؤلاء هم الذين شبههم المزمور " مثـل عشـب السطوح الـذي ييبس قبـل أن يقطـع الـذي لم يملأ الحاصـد منه يده، ولا الذي يجمع العمور حضنه (مز ١٢٩: ٦ - ٧).
قال الرب ليس لهم أصل... لا عمق... خطورة الحفاظ على المظهرية الكاذبة وطلب مديح الناس هي ضربة هذه الأرض... مظهر الوداعة وثياب الحملان يلبسونها فوق قلب الذئاب والافتراس، لهم مظهر الطهارة والعفة وفي الداخل كل نجاسة ونتن الكبرياء الذي هو أب الزنى... مظهر التعفف في الخارج ليخفي حقيقة

قلب متدرب في الطمع... منظر العيون البسيطة شكل الحمام تخفي في الداخل عيون غربان في القلب لا تكف عن طلب الخطية... منظر النسك في الخـارج وفـي الـداخل جشع ومحبـة لكـل خـلاعـة... تبـدو الظواهر مثل الصديقين وفي الداخل شر مخفي... مظهر المحبة الروحية كرداء خارجي لقلب يصنع خصومات ويزرع الشر... مظهر الكلام اللين الطيـب كـأولاد الأفاعي الذين تكلموا أمـام الـرب بالصالحات وهم أشرار... مظهر مسوح التوبـة وحـزن القديسين وفـي الـداخل مسـرات الخطيـة والانحلال... وقس على ذلك في الكلام والتصرف والروح... ما أخطرها أحوال حينما تصبح هذه الملامح شائعة بيننا.

يؤمنون إلى حين؟!

إن الذي يكشف أغوار هذه النفوس هي شمس التجارب وأتون الضيقات حينما تشرق الشمس مع الحر ييبس العشب ويفنى جمال منظره... في وقت التجربة يرتدون.

قال الرب عن الذي بنى بيته على السطح أنه لا يقوى على الأمطار حين تسقط ولا على الرياح حين تهب بل يسقط ويكون سقوطه عظيما.

الحياة الروحية ليست مظاهر خارجية ولا مباني ترتفع فوق السطح، الحياة الروحية هي عمق قبل كل شيء... كنز مخفي... أساس مبني على الصخر بعد الحفر والتعميـق والوصول إلى المسيح في الأعماق الداخلية...

طريق التوبة:

التوبة لمثل هذه النفوس لا تحصل إلا بالمصارحة وكشف الريـاء وزيـف الحيـاة ونبـذ تمثيـل دور القداسـة، مجرد إزاحة القشرة الرقيقة من التربة يبدو الصخر واضحا، هنا تكون مواجهة النفس بحقيقة حالها شيء ضروري للغاية، وهذا يبدأ بنبذ المظاهر الكاذبة والدخول إلى العمق مع النفس لمواجهة صلابتها وقسوتها الداخلية وأخطر عقبة لمثل هذه النفوس هي مديح النـاس للمظهريـة وإطـراؤهم المستمر عليها... لأن الناس يحكمون دائما بحسب الظاهر.

فالذين يقبلون الكلمة بفرح وتظهر نبتات الكلمة في سطح حياتهم بسرعة عجيبة فينالون مديح الناس ويلفتون أنظارهم بهذا التقدم الروحي السريع... هنا خطر التملق والمداهنة والأحكام السريعة...

الله وحده فاحص القلوب ومطلع على مكنونات الأسرار... الإنسان ينظر إلى العين أما الرب فينظر إلى القلب.

النفس الأمينة الراغبة في التوبة وإصلاح سيرتها تبدأ بنزع القشرة الخارجية ورفضها وجحدها تماما، والابتعاد عن كلام الناس وأحكامهم وتملقـهـم لـهـا ومـديحهم إياهـا... ثم تواجـه الصخور المخيفة في داخلها بكل شجاعة لتكشفها. هذا يكون بالاعتراف الصريح... إظهار الصخور المخيفة هو الخطوة الأولى للتخلص منها... الشيطان يعمل بكل قوته في حروبه مع هذه النفوس أن يبقي الصخور مخفية في الداخل ويغريها أن تتغطى من الخارج برداء الروح وقشرة التربة الصالحة لكي يبدو منظرها حسنا أمام الناس... هذا هو الرياء القاتل الذي حذر منه

السيد الرب قائلاً: تحرزوا من خمير الفريسيين الذي هو رياؤهم.
لا سبيل إلى التوبة سوى كشف عيوب النفس الداخلي ـة أمام أب حكيم ملهم من الله لكي يعمل مع هذه النفس بالنعمة في تنقية الحجارة.
لقد قال الرب في نشيد الكرم (إش ٥: ١): أنه نقبه ونقى حجارته. التنقيب أولاً ثم تنقية الحجارة...
الدخول إلى أعماق النفس أي التوبة بالص ـلاة القلبية ومواجهة النفس على حقيقتها ثم كشفها ووضعها عريانة في الاعت ـراف. يتب ـع ذل ـك التخلص من الحجارة بإلقائه ـا بعيدا.
السيد المسيح قادر أن ينزع قلب الحجر ويعطي قلبا لحميا (حز ١١: ١٩)، هنا عمل الله في الإنسان المخلص... هنا قدرة التوبة على التغيير الجذري بعيدا عن الرياء والتمثيل، التوبة في هذه الحالة تكون كأنها خليقة جديدة... أليست التوبة هي قوة فاعلية معموديتنا وإنساننا الجديد الذي أخذناه... التمتع بالتوبة وإصلاح الأرض الحجرية ورجوعه ـا إل ـى خص ـبها وعمقها عمل جبار يضطلع به الروح القدس من حياة الكنيسة فيعينها كل يوم، ليس مستحيلا أمام الله أن يقيم من الحجارة أولادا لإبراهيم...

ثالثا: الذي بين الشوك:
وسقط آخ ـر ف ـي وس ـط الش ـوك... فنب ـت مع ـه الش ـوك وخنقه... والذي سقط ب ـين الش ـوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنق ـون م ـن هم ـوم الحي ـاة وغناه ـا ول ـذاتها ولا ينضجون ثمرا.
الش ـوك ه ـو ش ـوك الخطية... "... ش ـوكا وحسكا تنبت لك " (تلك ٣: ١٨) هذا ما سمعه الإنسان من فم الرب الإله إثر سقوط الإنسان من مرتبته الأولى بغواية العدو الشيطان.
الشوك هو إذن مخلفات الطبيعة القديمة وأج ـرة الخطية ونتاجها، المسيح جدد طبيعتنا وكسر شوكة الخطية بموته، ولكن مادمنا في الجسد فالفرصة موجودة لنمو الش ـوك في أجود أرض...
المسيح المبارك قال عن الشوك أنه هموم الحياة، غرور الغنى وشهوات سائر الأشياء. والقديس يوحنا الحبيب يقول: كل ما في العالم شهوة العيون وشهوة الغنى وتعظم المعيشة هذه ليست من الآب ب ـل م ـن الع ـالم والعالم يمض ـي وك ـل شهوته.
وهذه الأمور قال عنها الرب أنها تخنق الكلمة فتصير بلا ثمر. ومن الأسف أن الكلمة تكون أوشكت على الإثمار أي اجتازت مراحل كثيرة وقاربت على النضج... وإذ بالش ـوك ينمو معها فيخنقها، والأمر الخطير والمخيف جدا أن هذه النفوس تعطي فرصة للنمو لكل من الكلمة والشوك في آن واحد... فالكلمة تنمو والشوك ينمو...
إنها ليست طريقا فتخطف منها الكلمة طيور السماء.
وليست محجرة بلا عمق وبلا رطوبة. بل على العكس الكلمة تجد أرضا كأنها

جيدة... يسمعون الكلمة فتدخل إلى الأعماق وتجد مجالاً للعمل وللإخصاب وتجد فرصا للنمو والازدهار.
الكلمـة والوصــايا وسير القديسين... القداسـات والممارسات... التنـاول والاعتــراف... الخـوض فـي الأمـور الروحيـة وحفـظ الأيـات والمناقشـات... والتعمـق في الدراسة والمقارنات والحصول على الدرجات... الحقائق الإيمانيـة ومواقــف الــدفاع والحـــــرص والتمســك بالتقاليـد وفـرص الأصـوام والصـلوات والأعيـاد والتواجـد في الكنيسة والترائي أمام الله... التأمل وأقوال الأباء والكتابات إلـى أخـر هـذه الأمـور كـل هـذا يمارسـه الإنسان ويقتنـع بـه ويسعى إليـه. والضـربة العظمـى أنـه بينمـا يـركض فـي هـذا الميدان بحرص أيضـا أن يـركض في ميدان العالم بـذات المستوى... فمـن الوجـه الآخـر تجـد ذات الإنسـان منكبـا علـى العالميـات ينهـل منهـا كـل يـوم والأمـور العالميـة تجـد لهـا مكانـا فـي قلبـه وفـي عمقه.
فمسرات العالم وملذاته وشهوات الغنى والطمع والارتباك امور المستقبل وهمــوم الحيـاة كلهـا أشـواك الخطيـة تنمو بسهولة فـي قلبـه وتجـد مجـالاً خصبا وتربة صالحة.
فهـو روحـي فـي مجـال الـروحيين، وعالمي أكثـر مـن العالميين أنفسهم في مجال العالميين، يجمع النقيضين في نفسه ويرعى مطالب الله والعالم ويحتفظ بالنور والظلمة وينمي الشوك والكلمة في آن واحد، إنها ثنائية عجيبة حقا وعرج بين الفرقتين...
أليس هذا هو واقع الكثيرين منا!!
انظر إلى ولائم المسيحيين والمعتبرين متدينين وخاضعين للكلمة... تأمل أفراحنا وحفلاتنا ووسائل تسليتنا... انظر إلى غرور الغني والافتخار الباطل...
انظر عندما تفرخ الكبرياء والاعتداد بالذات والتجبر. انظر كيف تستحكم أشواك العداوة في قلوب الروحيين، لقد تركنا فرصا للأشواك لتنمو وأهملناها بجهل فخنقت الكلمة فينا وقتلتها.
الشيطان هو زارع الشـوك... هـو زارع الـزوان في وسط الحنطة... هو عدو كل بر وكل فضيلة.
النتيجة الحتمية والمحزنة التي ذكرها الرب في هذا المثل عن هؤلاء أنهم لا ينضجون ثمرا.
مـع كـثـرة الممارسات والنشاط والوجـود فـي الكنيسـة أو الحصول على المتكات الأولى... لكنهم لا ينضجون ثمرا.
مثل أشجار خريفية... نجوم تائهة... أمواج بحر هائج.
إن مثل هذه النفوس تسبب عثرة رهيبة لكثيرين حينما يشدهم منظـرهم المـورق أحيانا فيقتربون إليهم ليطلبـوا ثمـرا فـلا يجدون... تماما مثل التينة التي لعنها الرب فيبست من أصولها.
ثمر الروح في حياة هؤلاء ميت تماما لا وجود له على الإطلاق...؟!!
فلا محبة حقيقية ولا فرح روحاني ولا سلام إلهي يفوق العقل ولا لطف ولا وداعة

ولا تعفف ولا طول أناة ولا صبر ولا احتمال ولا اتضاع ولا قداسة... لا شيء... لا شيء.
أن يعيش الإنسان كأنـه ي ـخ ـدم س ـيدين هـذا مستحيل... مستحيل... أن يتصور الإنسان أنه ممكن أن ينضج ثمـر ال ـروح وينض ـج أش ـواك الخطي ـة... يمارس الحياة الروحي ـة ويج ـاري الحياة العالمي ـة ف ـي ذات الوق ـت هـذا مستحيل... وتكون النتيجة المؤسفة أن كل تعب الإنسان الذي ظن أنه تعبه من أجل الله يصير باطلاً وكلا شيء.
إن توبة مثل هذه النفوس تتطلب أن يقف الإنسان كأنه على مفارق الطرق وعليه أن يحدد طريقه من جديد "ها أنا وضعت أمامك طريق الحياة وطريق الموت... اختر الحياة فتحيا "، إما للكلمة الإلهية واستيفاء مطالبها حتى تنضج ثمر الروح، وإما للعالم والشوك والنهاية معروفة للحريق.
إم ـا لل ـروح وم ـن ي ـزرع لل ـروح فم ـن ال ـروح يحص ـد حي ـاة وسلام. وإما للجس ـد وم ـن ي ـزرع للجسد فمن الجسد يحصد موتا. مثل هذه النفوس تحتاج إلى روح إيليا ويوحنا المعمدان إن كان الرب هو الله فاعبدوه... وإن كان البعل فاتبعوه ". اجعلوا الشجرة جيدة وثمره ـا جيدا أو اجعل ـوا الشجرة ردي ـة وثمرها رديا ".
ولكن جيد للإنسان أن يجلس ويحاسب نفسه في موسم الحصاد ماذا أنضج وماذا جمع خبزا للأكل أو شيئا من جهة إشباع البشرية... لأن النار ستمتحن عمل كل واحد...
أن يجلس الإنسان ويراجع نفسه... سنوات هذا عددها وهو يأخذ زرع الكلمة... وأين الثمر؟
لقد طلع الشوك مع الكلمة فلم تنضج ثمرا...
هيا بنا يا إخ ـوة نقتلع الأش ـواك قب ـل ف ـوات الأوان م ـن حقولنا.
إن قلع الأشواك صعب وموجع ولكن لا مفر من ذلك لمن يريد أن يرضي الله ويثمر ثمرا للحياة الأبدية.
قلع هموم العالم من القلب، وقلع أشواك غرور الغني التي تتغذى عليه ـا ال ـذات وتتضخم، وقل ـع أش ـواك شهوات سائر الأشياء... ليس كل هذا بالأمر الهين. الجهاد الموض ـوع أمامنا عظيم. استنفد من آبائنا القديسين صبرا كثيرا.
هيا بنا نسهر تنقي أرضنا ونقتلع أش ـواك الخطي ـة م ـن جذورها... فنقتن ـي لأنفسنا ميراث ـا حس ـنا ويك ـون لن ـا ثق ـة ولا نخجل من الرب عند مجيئه ليطلب ثمر كلمته فينا.

رابعا: الأرض الجيدة:
وسقط آخر في الأرض الصالحة فلما نبت صنع ثمرا مئة ضعف... والذي سقط في الأرض الجيدة هم الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر.
اه عندما تصادف كلمة الحياة قلبا نقيا طاهرا، ما أعمق الأسرار، أمور لا يسوغ

لإنسان أن يتحدث عنها. هذا هو فعل الكلمة هناك في الأعماق... بعيدا عن عيون الناس، بعيدا عن متناول اليد... ف ـي ق ـدس أقداس القل ـب تستريح الكلمة وتستقر... ما أبعدها عن الفحص العقلي هناك تعطي الكلمة سر الحياة حينما تموت لتحيا... لأن حبة الحنطة إن لم تقع في الأرض وتمت لا تأتي بثمر ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير.
هنا سر الحياة... سر البركة والنمو والتكاثر... وصراع البذرة في أعماق التربة... ما أرهبه عمل الكلمة في داخل القلب، وصفه القديس بولس الرسول هكذا قائلاً: " لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضي من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته ". هذا العمل الإلهي العميق اختبره تماما الذين خبأوا كلام الحياة الأبدية في القلب ووفوا مطالبها وحفظوها.
أما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف.
هنا الكلمة تأتي بثمار الروح بلا عائق ولا مانع، فالمحبة، والفرح وكل ثمار الروح تأتي نتيجة طبيعية لاستقرار كلمة الحياة في القلب النقي، قال الرب للرسل الأطهار أنتم أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به، فحينما استقرت الكلمة فيهم وقبلوها داخل ـه ـم عملت فيهم عملها الإلهي، فصاروا أنقياء أطه ـــــــــار كثمر ل ــزرع الكلمة الإلهية.
ثم، الكلمة شهية جدا، كثمر الفردوس قبل السقوط. تأمل كلمة سمعها القديس أنطونيوس فانغرست في قلبه الصالح. يا لعظمة ثمار حياة أنبا أنطونيوس، كم هي شهية ومختارة. إن نفوس كثيرة شبعت من هذه الثمار التي فاضت بوفرة منقطعة النظير.
تأمل فعل الكلمة في حياة الأبرار، ك ـم ص ـاروا أغنياء ويغنون كثيرين، كم جمعوا ثمرا لحساب ملكوت المسيح مائة ضعف، ولكن كيف أنضجوا ثمرا؟
بالصبر وطول الروح سهروا الليالي، صلوا بلا فتور وبلا ملل وبلا كلل.
صمدوا أمام التجارب... بل إن شمس التجارب كانت الوسيلة لنضج الثم ـر. ل ـم يتذمروا في الضيق ب ـل ك ـانوا صابرين في الضيق كقول الرسول.
تأنوا وانتظروا بلا قلق وبلا هم متأكدين أن الرب هو الذي ينمي، وكانوا كالفلاح الذي ينتظر ثمر الأرض بصبر كثير.
تميزت حياتهم بالوعي والإفراز فلم يتركوا نبتة صغيرة للشر مهما كانت أو أثر للشوك في حياتهم، نبذوا البغضة والحقد وشبه الشر، وحتى الثوب المدنس من الجسد. وكانوا حريصين أن يقتنوا قلبهم في قداسة ولم يتوانوا عن قلع أشواك العالم وغروره من جذورها.

ثلاثين وستين ومائة:
لقد قسم الله لك ـل واح ـد نصيبا من الإيمان، وك ـل واح ــد بحسب قامته يعطى، والله يقبل ويفرح بالكل.

ولسنا نجانب الصواب حين نقول أن ما جادت به الأرض الجيدة من ثمر تنوع في مقداره يعزى إلى ما يسمى بجهد الأرض، أي قدر استطاعتها أعطت. على أننا لا بد أن تؤكد أن الأرض التي أعطت الثلاثين هي أرض جيدة بحسب تقييم الرب لها بعينه الصالحة. وليس خفيا أن الثمر يك‌ـون م‌ـن ذات نوع البذار، فبذار الملكوت تعطي ثمارا متكاثرة لحساب الملكوت.
فمن قبل بذرة غفران الخطايا وتمتع بها وخبأها في قلب صالح وتعهدها بالسهر والصلاة، يثمر أضعافا مضاعفة من الغفران لحساب الملكوت، فيستطيع بالنعمة أن يغفر سبع مرات سبعين مرة إذ تكون البذرة قد أثرت حياته بهذه العطية.
وهكذا من قبل إليه بذرة المحبة والطهارة والفرح الروحاني والسلام الفائق للعق‌ـل والتعفف والزه‌ـد ف‌ـي أباطي‌ـل ال‌ـع‌ـالم والصلاة والسهر والفضيلة والاتضاع والمسكنة بالروح وكلمة الحياة وروح الإيمان والرجاء إلى آخر هذه البذار الحية.
الثمر معناه امتداد الملكوت وإكثار عطايا المسيح.
الثمر يكون بمثابة الربح في الوزنات، أي الذي عنده وصايا المسيح ويحفظها بمحبة، تتكاثر كل يوم خيرات الروح ف‌ـي داخل‌ـه وتف‌ـيض. ولك‌ـن م‌ـن المعل‌ـوم أن الثم‌ـر ينضج بح‌ـرارة الشمس لأيام متوالية، هن‌ـا ص‌ـبر القديسين، الذين احتملوا شمس التجارب وآلام وضيقات وأحزان كثيرة، بصبر وطول أناة حتى أنضجوا ثمر الفضائل الروحية بعد سنين هذا عددها لم يتعجلوا الثمر ولا استثقلوا الصليب.
لذلك جاءت الثمرات في حياتهم نتيجة طبيعية لحياة جهاد وثبات في النعمة.
لذلك قال الرب: " يثمرون بالصبر " وقال الرسول بولس في رسالته إلى العبرانيين: " لأنكم تحتاجون إلى الصبر ".
قد يظن الإنسان أن‌ـه يقتني الفض‌ـائل في لحظ‌ـة، هذا ضرب من الخيال، فالثمر لا يدرك إلا بالجه‌ـاد المتواصل وتكميل السعي وحفظ الإيمان، لأن الثمر هو إكليل كل هذه الأعمال... والإكليل هو آخر تكميل الأعمال " وأخيرا وضع لي إكليل البر ".
فمدح الثمر يكون في يوم الحصاد، وما أبعد الفرق بين من يمدحه الله ومن يمدحه الناس، اجتهدوا أن يكون مدحكم من الله

مثل المتكا الأخير

فماذا رأى الرب في المدعوين الذين اختاروا المتكـآت الأولى؟
رأى كيف تترك شهوتهم في دواخلـم تدفعهم دفعا إلى المتكات الأولى.
كل واحد يزكي ذاته، يرى في نفسـه أنـه أحـق بالمكـان الأول والمكانة الأولى.
قد يمدح الإنسان من آخرين، وقد يتزكى من الناس، يقبل مديحهم وينتفخ بتزكياتهم ويغتر في ذاته ويتعظم، وهذا في عرف الروح مرفوض، لأن ليس من يمدحه الناس هو المزكي.
أما أن يزكي الإنسان ذاته ويشعر في نفسه أنه الأول والأكبر والأعظم، فهذا قمة الكبرياء التي هي أصل الشرور.
والرب يسوع لا يترك مناسبة يرد فيها الإنسان إلى طريق الحيـاة ويعيـده إلـى النـور إلا وينتهزهـا وينطـق بكلمات الحياة. لعل الإنسان يرجع عن طريقه الردية ويفيق من غفلته، إن كلمـة المسـيح حيـة وفعالة، تنبـه وتصحح المسار، تدعو إلى الحق وتقود إليـه، تجرح وتعصـب فـي آن واحد.
فلم يرد الرب بهذا المثل أن يكشف أغوار هؤلاء المدعوين في تصرفهم بقدر ما أراد أن يقودهم إلى التوبة وإلى الشفاء الروحي من هذا المرض العضال.

اسمع ما قاله الرب:
" متى دعيـت مـن أحـد إلى غرس فـلا تتكئ في المتكا الأول، لعل أكرم منك يكون قد دعي منه، فيأتي الذي دعاك وإياه ويقـول لـك: أعـط مـكـانـا لهـذا. فحينئذ تبتـدئ بخجـل تأخذ الموضع الأخير " (لو ١٤: ٨ - ٩).
المسيح في وداعته بعاتب بلطف شديد وفي قدرته يخلص كجبار فيقول: " لعـل أكـــرم مـنـك يـكـون قـد دعـي منه ".
فهو لا يحط من قدر الإنسان بل بلطفه الشديد ينبه الذهن إلى حقيقة واقعة ولكنه يقول ما معناه لعله يوجد من هو أكرم منك منزلة عند الذي دعاك.
فهو يضع هذه الحقيقة مبدئيا كاحتمال قائم حتى إذا ما تفطن لها الذهن يبتدئ يتقدم في طريق الكمال.
فالواضح أن كلاً من المتكئين لم يكن يرى سوى ذاته. العين مركزة على الذات، فلا ترى ما عداها، يستطيع الإنسان أن يتعلم دروسا نافعة إذا ما عبر مارا بحياة الأكثرين الذين سبقوه. وسجل الكتاب المقدس تاريخ نجاحهم أو فشلهم على السواء، فيتتلمذ على أيدي الذي أرضوا الرب ويتحذر لنفسه آخـذا عبـرة مـن حيـاة الآخرين. خـذ مـثلاً هـامـان الـوزير المتغطرس في أيـام أحشويروش الملك، حين سأله الملك قائلاً: " ماذا يعمل لرجل يسر الملك بأن يكرمه " (أس ٦: ٦) ففي الحال قال هامان في قلبه: من يسر الملك بأن يكرمه أكثر مني؟ وفي الحال إذ كان قد اغتر في نفسه وصار يدور في دائرة عبادة الذات البغيضة، نسج في فكره الداخلي كيـف يمجـد ذاتـــه بـكـل أنـــواع المجـد، فقـال للملـك "

إن الرجـل الـذي يـسـر المـلـك بـأن يكرمـه يـأتون باللبـاس السلطاني الذي يلبسه الملك، وبالفرس الذي يركبه الملك، وبتاج الملك الذي يوضع على رأسه، ويدفع اللباس والفرس لرجـل مـن رؤساء الملك الأشراف، ويلبسون الرجل الذي سر الملـك بـأن يـكـرمـه ويركبون‌ـه عل‌ـى الفرس في ساحة المدينة، وينادون قدامـه: هكذا يصنع للرجـل الـذي يـسـر المـلـك بـأن يكرمه " (أس ٦: ٧ - ١٠).
" فقال الملك لهامان: أسرع وخذ اللباس والفرس كما تكلمت، وافعـل هـك‌ـذا لمردخاي اليهودي الجالس في باب الملك، لا يسقط شيء من جميع ما قلته... " (أس ٦: ١٠).
أي خجل وأي حزن وأي هوة سحيقة انحدر إليها هامان في هذه اللحظات!!
ظن في نفسه أنه أعلى من الكل، واحتقر مردخاي وجهز له خشبة ليص‌ـلبه عليه‌ـا ف‌ـي ذات الي‌ـوم، فانقلب‌ـت الـدوائر عليه... حقا إن قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح. وعلى العكس تماما تجد رجال الله القديسين يضعون أنفسهم دائما في آخر المتكآت إذا دعاهم الرب إلي وليمته وعرس‌ـه الحقيقي، أو دعاهم إل‌ـى ش‌ـرف خدمت‌ـه وال‌ـتكلم بكلامه... أو دعاهم ليرسلهم فيكونوا معه وله... اسمع ماذا يقولون وكيف في إنكار الذات يعتذرون.
فها موسى رئيس الأنبياء يعتفي ويقول: " لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس، ولا مـن حـين كلمت عب‌ـدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان " (خر ٤: ١٠).
وقد رأى نفسه آخر الكل وليس مستحقا لهذه الدعوة بل أن أي أح‌ـد آخ‌ـر ي‌ـك‌ـون أكثر استحقاقا. فق‌ـال لل‌ـرب " أرسل بيد من ترسل " (خر ٤: ١٣).
وها إرميا النبي يعتذر في اتضاع للرب الذي دعاه فيقول: " آه ي‌ـاس‌ـي‌ـد الـرب، إن‌ـي لا أعرف أن أتكل‌ـم لأن‌ـي ولد " (إر ١: ٦).
إن‌ـه ي‌ـرى نفس‌ـه أن‌ـه ص‌ـغير، ولا يرى ذات‌ـه متضخمة ومستحقة لهذه الإرسالية، وهذا المتكا الأول، بل يرى أنه إن جاز له أن يتكئ ففي المتكا الأخير... آخر الكل لأنه ولد.
وقد كان جواب الرب لإرميا النبي " لا تقل أني ولد " وقواه وآزره وكان الرب معه ومد يده ولمس فمه وقال له ها قد جعلت كلامي في فمك.
وقال: " وكلتك ه‌ـذا الي‌ـوم على الشعوب وعلى الممالك، لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس " (إر ١: ١٠)، فكان
لم‌ـا اتض‌ـع إرمي‌ـا واخت‌ـار آخ‌ـر المتك‌ـآت أن ال‌ـرب رفع‌ـه وجعله في المتكا الأول. وجعله كارزا للشعوب.
وهك‌ـذا ج‌ـدعون ال‌ـذي ص‌ـن‌ـع ال‌ـرب ب‌ـه خلاص‌ـا عن‌ـدما قال ل‌ـه م‌ـلاك الرب " الرب مع‌ـك ي‌ـا ج‌ـب‌ـار الب‌ـأس "، أن‌ـه ق‌ـال في اتضاع عجيب " أسألك يا سيدي، بماذا أخلص إسرائيل؟ ها عشيرتي ه‌ـي ال‌ـذلي في منسى، وأنا الأصغر في بيت أبي. فقال ل‌ـه ال‌ـرب إني أكون معك " (قض ٦: ١٥ - ١٦).
والقديس يوحنا المعمدان عندما رأى في نفسه أنه غير مستحق أن ينحني ويحل سيور حذاء الرب، واختار لنفسه هذا المتكا الأخير دعاه الرب إلى المتكأ الأول

وجعله يضع يده عليه ويعمده في نهر الأردن.
وفوق الكل القديسة العذراء والدة الإله عندما أعلنت أنها أمة الرب بأعلى مقاييس الاتضاع رفعها الرب لتكون فوق السماوات وأعلى من الشاروبيم لأنهـا صـارت أمـه وعرشـه وسماءه الجديدة.
وبولس الرسول، انظـر كيـف كـان يـدعو نفسه " وآخـر الكل - كأنه للسقط - ظهر لي أنا، لأني أصغر الرسل، أنا الذي لست أهلا لأن أدعـى رسـولا، لأني اضطهدت كنيسة اللـه... " (اكو ١٥: ٨ - ١١) إلى آخر هذه الأوصاف التي تدل على الانسحاق الكامـل وأنـه لا يحسب نفسـه شـيئا وأن نفسـه غير ثمينـة عنـده، هـذا قـد مـجـده الـرب وشـرفه بآيـات وعجائب وأصـعده إلـى السـماء الثالثـة وأراه أمـورا لا يسوغ لإنسـان أن يتحدث عنهـا، وكمـا اخـتـار لذاتـه المتكـا الأخيـر أجلسـه الـذي دعـاه فـي المتكـآت الأولـى ومجده أمام جميع المتكئين في وليمة عرس عشاء الخروف.

ولكن ما هو سر المتكأ الأخير؟
إن النفس التي تسعى في اتضـاع إلى المتكـا الأخيـر تحظى بمجـد لا ينطـق بـه إذ أنهـا تجـد رب المجـد يـسـوع ينتظرها هناك.
لقد اختار الرب يسوع هذا المتكأ بالذات وجلس فيه منتظرا النفوس المتضعة ليكللها هناك ويمجد اتضاعها ويرفعها.
ففي أيام تجسده مجد هذا المتكأ وجعله منهجا روحيًا وسلما منصوبة من الأرض للسماء.
فهو قد ولد في مزود، كآخر الكل، وقال أحدهم أنه تنازل عن آخر موضع في الفندق لآخر ورضي هو بالمزود.
وقال عن نفسه: " للثعالب أوجـرة ولطيـور السـماء أوكـار وأما ابن الإنسان فليـس لـه أيـن يسند رأسه " (مت ٨: ٢٠). وعـاش حياته على الأرض بعيـدا عـن بيـوت الملـوك وقصور الرؤساء وحرير التنعم العالمي.
ورفض أن يجعلوه ملكا وجاز في وسطهم ومضى وقال: مجدا من الناس لست أقبل.
وجلس يغسل أقدام تلاميذه وينشفها وقال: أنا بينكم كالذي يخـدم... " ابـن الإنسـان لـم يـأت ليـخـدم بـل ليـخـدم
وليـبـذل نفسه فـديـة عـن كثيرين " (مت ٢٠: ٢٨).
وأخيرا قبل عار الصليب وارتضى بالخزي واستهان بالعار من أجل السرور الموضوع أمامه.
فهل يوجد متكأ أخير بعد هذا المتكا؟
فمن يطلب بعد هذا المتكآت الأولى فـلا يـكـون تلميذا ليسوع... " لأن ليس العبد أفضل من سيده ولا التلميذ أعظم من معلمه.....".
هذا هو روح المسيح وهذا هو سر المتكأ الأخير الذي جعل الآباء القديسين يسعون في أثر خطواتـه ويرفضون المتكات الأولى بإصرار حتى الموت.

فهـا القديس بـاخوميوس أب الشـركة يهـرب مـن درجة الكهنوت وكرامتها فيطوبه القديس أثناسيوس الرسولي وترفعه الكنيسة إلى أعلى المراتب والمتكآت الأولى.
ويشهد تـاريخ الكنيسة أن كثيـرا مـن الأبـاء البطاركـة والأساقفة كانوا يهرب ـون مـن هـذه الكرامة العظمى ويرون أنفسهم غير مستحقين. فكانوا يأتون بهـم مقيدين بسلاسل ويرسمونهم قسرا رغما عن إرادتهم وهم يزرفون دموع الاتضاع وعدم الاستحقاق وكان الرب يرفعهم في زمان الاقتقاد ويظهر مجده في ضعفهم.
قال القديس مارإسحق: أن من يجري وراء الكرامة تهرب منـه، ومـن يهـرب منهـا بمعرفـة تتبعـه وترشـد الكثيرين إليه.

ماذا بعدما يختار الإنسان المتكأ الأخير؟
يأتي الذي دعاك ويقول لك يا صاحب ارتفع إلى فوق فيكون لك مجدا أمام المتكئين معك. شتان بين من يمجده الناس أو يمجد نفسه أمام الناس وبين من يرفعه الله ويمجده أمام المتكئين معه.
إن الـرب يسـوع سـوف يمجـد قديسيـه فـي المحفـل السماوي عندما يأتي في مجيئه الثـاني المخـوف وجميـع الملائكة القديسين معه، متى جاء ليتعجب منه في المجد سوف يكلل قديسيه بالكرامة، الذين احتملـوا مـن أجـلـه، الذين حملوا الصليب وطافوا في جلـود غنم وجلـود مـاعز مكروبين مذلين وسكنوا الجبال والمغاير وشقوق الأرض محبة فـي الملـك المسـيح، الـذيـن لـم يكـن الـعـالـم مس ـتحقا لهم.
الـذين لـم ينـكـروه بـل اعترفـوا بـه وأحبـوه وحفظـوا وصــاياه وصـاروا كغربـاء عـن العـالم واتخـذوا المتكـأ الأخيـر بكامـل إرادتهـم وارتضـوا بالضيق وصبروا على الألام... الخ.
سوف يعترف بهم ابن الإنسان أمام ملائكة الله.
وعـوض الأتعـاب والضيقات فـي هـذا الـعـالم وعـوض مـا عاشـوا مجهولين مـن الن ـاس سـيمجدون أمام الملائكة وربوات القديسين.
" لأن كـل مـن يرفع نفسه يتضـع ومـن يضـع نفسه يرتفع " (لو ١٤: ١١).
هكذا قال ربنا في ختام المثل ليقود نفوسنا في دروب الاتضاع بالإرادة لكي يرفعنـا بالنعمة ويمتعنا بمعيته إلى أبد الأبد. آمين.

المدعوون إلى العشاء:
قال الرب وهو في بيت الفريسي للذي دعاه: " إذا صنعت غداء أو عشـاء فـلا تـدع أصـدقاءك ولا إخوتك ولا أقربـاءك ولا الجيران الأغنياء، لئلا يدعوك هم أيضا " (لو ١٤: ١٢).

المتكأ الأخير (لو ١٤: ٧):
" وقـال للمـدعوين مثلاً، وهـو يلاحـظ كـيـف اخـتـاروا المتكات الأولى قائلا

لهم... ".
يجـب أن ننتبـه أولاً أن ربنـا يسـوع قـائـم فـي كـل مكـان يلاحـظ تصـرفاتنا ويرصـد حركاتنـا، إذ لـيس شيء يخفى عليـه، بل عينـاه تجـولان فـي كـل الأرض، وكـل أعمالنـا مكشـوفة وظـاهرة. بل إن مـا نظـن أنـه يجري في الخفاء معلن أمامه لأن عيناه تخترقان أسـتار الظلام.
فيا ليتنا نفطن إلى وجود يسوع بحاستنا الروحية، ونعمل حسابا لكونه يلاحظ تصرفنا، فنتصرف كما يليق بوجـوده، وكما يحق للدعوة التي دعينا إليها إذ إننا مدعوون لا إلى عرس أو حفل من هذا العالم بـل إلـى عـرس أبـدي وفـرح لا يزول.
ولتعلم يقينا أن عينا الرب يسوع تلاحظان حركتنا الباطنية قبل أن ترصد تصرفاتنا الخارجية، فسريرتنا وقصدنا ونيتنا التي تخفى على الناس غير خافية عليه.

مثل وكيل الظـلـم (لو ١٦: ١ - ٩)

"
وقال أيضا لتلاميذه: كان إنسان غني لـه وكيـل، فوشي به إليه بأنه يبذر أمواله، فدعاه وقال له: ما هذا الذي أسمع عنك؟ أعط حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون وكيلا بعـد. فقال الوكيل في نفسه: ماذا أفعل؟ لأن سيدي يأخـذ مـني الوكالة. لسـت أستطيع أن أنقـب، واستحي أن أستعطي. قد علمـت مـاذا أفعل، حتى إذا عزلـت عـن الوكالة يقبلـونـي في بيوتهم. فـدعـا كـل واحـد مـن مـديوني سيده، وقال للأول: كـم عليـك لسيدي؟ فقال: مئـة بـث زيت. فقال له: خـذ صـكك واجلس عاجلا واكتب خمسين، ثم قال لآخر: وأنـت كـم عليـك؟ فقال: مئـة كـر قمـح. فقـال لـه خـذ صـكك واكتـب ثمانين. فمدح السيد وكيل الظلم إذ بحكمة فعل، لأن أبناء هذا الدهر أحكـم مـن أبناء النور في جيلهم، وأنا أقول لكم: اصنعوا لكم أصـدقاء بمـال الظلم، حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظـال الأبدية " (لو ١٦: ١ - ٩).

لنعط الكلمة مكانا:
للكلمة الإلهية سلطان قوي ونور جبار عندما يلقي شعاعه يكشف مستورات ويعلن أسرار ما أبعدها عن الفحص.
ونحن هنا أمام كلمة المسيح قالها بمثل ليفتح بها عيون العميان ويرسـل بـهـا المسحوقين إلى الحريـة ويـنـادي بهـا للمأسورين بالعتق، وحالما تدخل النفس إلى سر الكلمـة المكتوبـة أو بـالحري تدخل الكلمـة إلـى أعمـاق الـنفس فإنها تعمل عملهـا ولا ترجـع فارغـة. كثيـرا مـا تفكـر فـي هـذا المـثـل بطريقة عقلانيـة تـدخلنا إلى متاهـة الأسـئلة الكثيرة والردود الكثيرة ولكن هذا يحرمنا من أن تمس الكلمة بفعلها العجيب واقع حياتنا أو تحرك قلبنا الساكن... فعندما نناقش ونفكر عقليا في الكلمة تحرم قلوبنا من حركات الروح إذ نكون أغلقنا على أنفسنا في دوائر مماحكات الكلام.
لنعط الكلمة مكانا في القلب وننفعل بها ولنترك نـور الكلمـة يتخلل ظلمـة عقلنـا وينير بصيرتنا حينئذ نجاهد أن نصلح طريقنا المعوج ونتغيرعن شكلنا بحسب ما تقتضيه مطالب كلمة الحياة.

كان إنسان غني له وكيل:
هذه البداية تدخلنا للحال إلى أن ندرك واقعا طالما غاب عن الإنسان فانحرف إلى متاهات ومسالك معوجة... ترى هل تيقن الإنسان أنه فعلاً لا يملك شيئا في ذاته وأن كل ما أؤتمن عليه في حياته هو مجرد وكالة؟!! وإذا كان ذلك كذلك فهل دخلت هذه الحقيقة إلى صميم الحياة اليومية والسلوك والتصرفات.
إن معرفة الحقيقـة شـيء ولكـن تطبيقهـا فـي الحيـاة شيء آخر، أن جميـع النـاس... أبـرار وأشـرار، حكمـاء وجهـلاء... يعرفـون زوال هـذا العـالم،

ويعرف ـون ح ـق المعرفة أنهم راحلون عن هذا العالم. ولكن هذه مجرد معرفة عقلي ـة... ولكنه ـا لا تم ـس واق ـع الحي ـاة... فال ـذين نراهم يرتمون في أحضان العالم والذين يغرقون في شهوات الجسد، والذين يترنحون سكاري من خمار هذا العالم وغرور الغنى والكبرياء والذين أسلموا ذواتهم للحقد والضغينة وكل أنواع الخطايا ترى هل غابت عنهم حقيقة زوال العالم؟!
لا ل ـم تغ ـب الحقيقة... إنه ـم يعرفونه ـا بعقولهم ولك ـن قلما أفسحوا لها مجالاً لتعيش فيهم فتصلح شيئا من حياتهم، إن المعرفة العقلية لا تغي ـر م ـن الواق ـع ش ـيئا ولا تستطيع ذلك، لأنه ـا ب ـلا ق ـوة... كلم ـات تبقى في الذاكرة يتذكرها الإنسان في بعض المناسبات ولكنه يعيش بعيدا عنها أو هي تعيش بعيدا جدا لا مكان لها في قلبه ولا أثر لها في تصرفاته.
ولكن تبقى الحقيقة التي أعلنها السيد المسيح ثابتة تزول دونها السماء والأرض.
إنني بمثابة وكيل فقط!!!
الله الغن ـي ف ـي المواه ـب الس ـخ ـي ف ـي العط ـاء والك ـريم في التوزي ـع أعط ـى ال ـبعض أن يكونوا رس ـلا وال ـبعض أنبياء ومعلمين والبعض رعاة ومدبرين وأعطى البعض مواهب شفاء والبعض عمل قوات... وبقى هو صاحب الكل، جميع الذين أرضوا الرب وكانوا أمناء على المواهب... بقوا كل أيام حياتهم يسلكون مسلك الوكيل الأمين الذي ينسب لله كل خير وبقى الله في حياتهم مالكا للكل، وكانوا يقولون دائما " لنا هذا الكنز في أوان خزفية، ليكون فضل القوة لل ـه لا منا " (٢ كو ٤:٧)
وكان لسان حالهم " فم ـن ه ـو ب ـولس؟ وم ـن ه ـو أبل ـوس؟ بل خادمان آمنتم بواسطتهما، وكم ـا أع ـط ـى ال ـرب ل ـك ـل واح ـد: أن ـا غ ـرس ـت وأبل ـوس س ـقى، ل ـك ـن الل ـه ك ـان ينم ـي إذا ليس الغ ـارس شيئا ولا الساقي، ب ـل الل ـه ال ـذي ينم ـي " (اكو ٣: ٥ - ٧)
وكانوا يثقون دائما أنهم صاروا مجرد وكلاء على نعمة الله المتنوعة، وكانوا بأرواحهم يدركون تماما أنه يسأل في الوكلاء أن يكون الوكيل أمينا.
فإن كان يقال هكذا عن المواهب الروحي ـة ف ـك ـم ب ـالأولى يقال عن العطايا في أيام غربة هذا العالم النعمة الإلهية الغالية. أقام الرب عليها وكلاء ووزعها وأجزلها بكل حكمة وفطنة، فالفضائل في حياة القديسين معتبرة وزنات ائتمنهم الرب عليها، وهكذا يبدو واضحا وبجلاء شديد أن الأمور الأقل نفعا التي كلها للاستعمال المؤقت والموضوعة لزمان قليل تحسب هي أيضا وكالة يأتمن الرب عليها من يحسبه أمينا بحسب تدبيره الإلهي.
فما من عطية روحية كانت أو مادية إلا وأعطاها الرب للإنسان ليكون وكيلاً عليها.
ألم تكن البداية في الخلق أن يكون الإنسان على صورته ومثاله... يحمل سلطانا على الخليفة لا بذاته ولكن لكونه وكيلا يحمل صورة سلطان خالق الكل، حقا إن كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي نازلة م ـن ف ـوق م ـن عن ـد أب ـي الأنوار.
ت ـرى م ـاذا ل ـو تأم ـل الإنس ـان ه ـذه الحقيق ـة وأخض ـع قلب ـه وف ـك ـره ل ـه ـا وجعله ـا دس ـتورا لمعاملات ـه م ـع الله والناس؟!!

أين الافتخار إذن... سيبطل.
أين الذات المتكبرة التي تسلب كل شيء ليؤول لها لتتمجد به كأنها هي مصدره...؟ ستنكشف حيل الذات وهي متلبسة بسرقة الوكالة لتكون لخدمتها ولحسابها. أين الطمع والغش والخداع والرياء... وكل رذيلة سينظر الإنسان إلى نفسه بنظرة واقعية... عارفا قدر نفسه حتى إذا استومن على كثير فإنه يطالب بـــالأكثر أو حتـى إذ اســـــتؤمن علـى ما لم يؤتمن عليه غيره فليس له فضل في ذاته.
سيرجع الفضـل كلـه والمجـد كلـه للـذي لـه المجد والغنى والعظمة والسلطان.
آه لـو أفاق الإنسان إلى حقيقة الوقوف يومـا بـين يـدي سيده؟ آه لو علم الإنسان أنه سيعطي حسابا عن وكالته يوما؟ وأن كل ما يملك أو يقتني وما يظنه أنه له هو ليس له!!

فوشي إليه أنه يبذر أمواله!
إن سيرتنا التي نظن أحيانا أنه لا يعرفها أحد... وأمورنا غير المنظورة للناس... معلومة عنده ومعروفة حتى مكنونات الأســـــــرار وخـــــــواطر القلـــــــب ونيات_____ه... إذ ليس شيء خفـي بـل الكـل مكشـوف وعريـان أمـام ذلـك الـذي بيده أمرنـا. حقـا لـيـس خفـي إلا ويظهـر ولـيس مكتـوم إلا ويستعلن والذي يقـال فـي الأذن فـي المـخـادع الأرضـية ينـادى بـه علـى السـطوح فـي السـماء. إن الملائكـة الموكلـون بحراسـتنا... كـحــراس للمقـادس إذ نحـن محسوبون كهياكـل الله... يصعدون سيرتنا إلـى فوق كل حين.
هذا الوكيل بلغ عنه إلى مسامع رب العمـل أنـه يبذر أمواله ويبدد مواهبه... كمثل الابن الذي ذهب إلى الكورة البعيدة وبذر أموالـه بـعـيـش مـسـرف وحسـب أنـهـا ملكـه وهـو حـر التصرف فيهـا فـي حـيـن أنـه كـان هـو وأموالـه ملكا للأب.
عندما نسي الإنسان كونـه وكيلا يبدد ويبذر ويتصرف باستهتار، في هذا يكون الوكيل قد أسقط وجـود سيده من الحساب، كأنـه لا وجود للسيد. هـذا مـا نـراه فـي أنـاس يتصرفون كأنهم في غيبة من وجود الله المالئ كل الزمان والمكان.
الوكيل الأمين يربح ويكسب وينمي المواهب المعطـاة له من الله، أما الظالم فهو يبذر ويبدد ولا يبالي بأموال سيده، والــرب فـي جميـع الأحـوال يـــرى ويسمع ويكتـب في سفر تذكرة ويطـالـب فـي حينـه... إنـه يتممـل كـثيـرا ولكن لا يهمل.

فدعاه:
ماذا هل يملك الوكيل إلا الطاعة للدعوة؟
حين يدعوه السيد فلا مفر من المثول أمامه!! يا لفرح الوكيل الأمين عندما يقف أمام سيده يرفع وجهه لأجل أمانته فإن سيده يقيمه على جميع أمواله، لقد اختاره

السيد وعينه... وقد أثبت الوكيل بتصرفه الحسن أنه جدير بالاختيار. ولكن يا لحزن الوكيل الظالم مبذر الأموال ومبدد العطايا والمواهب حـين يقـف بـخـــزي أمـام ســـــيده يستـد الفـم فلا يستطيع الكلام... يغطيه الخجل فيقول للجبال اسقطي علي وللآكام غطيني... نعم مخيف هو الوقوع بين يدي الله الحي.

أعط حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد:

كم من وكلاء أخذت منهم الوكالة ولم يقدروا أن يكونوا وكلاء بعد؟ كم من الذين استؤمنوا على مواهب الروح... نزعت عنهم الوكالة. وكم من أمثال في العالم كانوا وكلاء على الكثير والكثير جدا من غنى وأموال ومراكز وسلطان وقوة وشباب وجبروت... وظنوا أنهم ملكوا ناصية الأمور... عزلوا عن الوكالة في لحظة من الزمن... لم يوجدوا أمناء في مال السيد.

من جهة أخرى فإن مدة الوكالة على الأرض لا تـدوم فالكراسي يتخلف عليها الخلف بعد السلف... الواحـد يعـد الآخر إنها مدة قصيرة يكون فيها الإنسان وكيلاً في الموقع الذي حدده له السيد... ولا بد أن يأتي الوقت ليتولى وكيل آخر.

لقد تمنيت يومـا لقطـعـة مـن الأرض أن تتكلم فتحكـي قصتها مع الإنسان... كم واحد امتلكها لنفسه وكم من أفراح بسبب ملكيتهـا وكـم نزاعـات قامت عليهـا وكـم مـن مـحـاكم وقصص وروايات... ألوف ألوف من الناس وأجيال أجيال... وكلهم رحل وظلت قطعة الأرض في مكانها... إنها مأساة أن يظن الإنسان أنه يمتلك... وما يقال عن الأرض يقال عن باقي الملكيات والمقتنيات والمراكز التي في العالم... سل أحد الكراسي التي جلس عليها رؤساء هذا العالم والقواد الذين أخضعوا الشعوب والبلدان... لقد كانت وكالتهم إلى زمان... بعدها عزلوا عن الوكالة ليجلس غيرهم... وهكذا أنه وكيل مؤقت أما الملكية الحقيقية فهي لمالك الكل وضابط الكل وحده.

هل تفكرت أيها الإنسان الزائل في قضاء مدة وكالتك... فـي يـوم... بـل فـي لـحظـة مـن الزمان يدعو السيد وكيلـه فيلبي نداءه... يترك الكل ليتراءى أمامـه ليعطـي حسـاب وكالته.

تصرف الوكيل الظالم:

فقال الوكيل في نفسه ماذا أفعل لأن سيدي يأخذ مني الوكالة؟ تفكر الوكيل غير الأمين في نفسه، وحاول جاهدا تأمين مستقبله ولـو بطـرق الظلم والغش التي تعودها في حياته.

لقد أحس في لحظة أنه مقبل على النهاية وأنه منحدر إلى الضياع فهرع يعمل بكل طاقته لإنقاذ ما يمكن انقاذه. إنها نظرة للمستقبل ما بعد العزل من الوكالة.

إن كان قد صار هكذا مع وكيل ظالم... أفلا يجدر بنا أن نخلد إلى نفوسنا نواجهها بهذا السؤال الحرج... ماذا أفعل لأن سيدي يأخذ مني الوكالة؟

عاد الوكيل إلى أعمال الظلم وتبديد أموال سيده... فدعا المديونين لسيده وخفض لهم قيمة مديونياتهم لسيده، فالمديون بمئة مكيـال زيـت مـزق صـك دينـه واستكتبه إيصالاً آخـر بخمسين، وقـال لآخـر كـم عليـك لسـيدي؟ فقـال مئة

كر قمح فقال له: خذ صكك واكتب ثمانين.
لقد اقتنى له أصدقاء بهذه الطريقة الظالمة والغاشة... حتى متى عزل من الوكالة يقبلونه في بيوتهم ليجد مكان راحة يأوى إليه ونفوس تستقبله وتريح نفسه المثقلة، لقد غرف أن يعمل حساب المستقبل وهو في عمق شره وخطاياه فصنع لنفسه بيوتا وأصدقاء.
فمدح السيد هذا التصرف الحكيم من جهة النظر إلى مـا هـو قـدام... إن هذا الوكيل محسوب مـن أبـنـاء هـذا الدهر... أبناء ظلمة العالم وروح الظلمة العامل في أبنـاء المعصية...
حقا كم صار أهل العالم حكماء... يخططون للمستقبل البعيد ويعملون الحسابات لسنوات قادمـة... ومـا أحـوج بنـي النـور اليوم إلى مثل هذه الحكمة التي بها يتبصرون ويتفكرون في المستقبل الأبـدي وموقفهم متى عزلـوا عـن الوكالة وانتهت أيام خدمتهم على الأرض.

خذ صكك واجلس عاجلاً:
هكذا قال وكيل الظلم " اجلس عاجلا... " لا وقت للضياع، الوقت منذ الآن مقصر والأيام شريرة... فإن لم يعمل حساب المستقبل، وبسرعة، فقد لا يجد زمانا آخر يكون موجودا في مركزه ووكالته، ألا يجدر بنا أن ننتبه بالأكثر إلى عنصر الوقت لئلا نخسر جعالتنا.
قـال بولس الرسول: عظـوا أنفسكم كـل يـوم، مـادام الوقت يدعى اليوم، وقال أحدهم أن نفوسا كثيرة في الجحيم تتمنى لو تعود إلى الأرض ولو دقائق معدودة تقدم فيها توبة ولكن قد مضى الزمان، وعزلوا عن الوكالة قبل أن يعملوا حسابا لمستقبلهم... إن وكيل الظلم لم يهمل... بل بنشاط استدعى المديونين وقـال لـكـل مـنهم اجلـس عـاجلا... يا للحكمـة ويـا لسرعة التصرف إنقـاذا للنفس، فإن مدح هذا التصرف في وكيل الظلم فكم يمدح تصرفنا في السماء إن افتدينا الوقت.
" فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء، مفتدين الوقت " (أف ٥: ١٥).
مسكين " فيلكس الوالي " حين نخس بكلام الحياة والتعفف قال للقديس بولس الرسول وهو مرتعب: " اذهب الآن ومتى حصلت على وقت أستدعيك "، ولكن للأسف لم يحصل على وقت آخر وخسر نفسه.

من هم الأصدقاء في المظال الأبدية؟
لقد طالبنا الرب قائلاً: اصنعوا لكم أصدقاء بمـال الظلم حتى إذ فنيتم (من هذا العالم) يقبلونكم في المظال الأبدية، ترى من هم الأصدقاء في المظال الأبدية؟ وكيف يقتنيهم الإنسان...
ربما كان هؤلاء الأصدقاء هم إخوة الرب بيننا... الفقراء والمحتاجين والمتعبين... الذين يشفعون فينا أمام الديان حيث تفتخر الرحمة على الحكم...
تأمل كيف وقفن الأرامل يشفعن لدى بطرس الرسول في لدة ويرينه الأقمصة

وشغل اليدين دليل عمل الرحمة التي كانت تعملـه طابيثا... على هذا المثال يكون في السماء أصدقاء المظال الأبدية يفسحون أماكن الراحة للنفوس التي صنعت الرحمة أفضل من الذبائح، بل كانوا يعملونها كمن يقدم ذبيحة لله " ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله " (عب ١٣: ١٦).
وربما كان أصدقاؤنا في المظال الأبدية هم النفوس التي يقتنيها الإنسان ويربحها للمسيح بالتعب والسهر والكرازة والصلاة... هؤلاء سيكونون سندا في السماء حيث يقال " ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله " (عب ٢: ١٣).
وربما كان أصدقاؤنا في المظال الأبدية هم القديسون الذين صارت بينهم وبينـا دالـة ونـحـن بعـد على الأرض وتوددنـا لهـم وصاروا قريبين إلى قلبنـا كمـا صـرنا محبوبين لديهم... فمتى خلعنـا جسد بشريتنا وانطلقنا إلى المظـال الأبدية يتلقوننا بالفرح ويقبلوننا في الأحضان الأبوية، حضن إبراهيم وإسحق ويعقوب.

لمـاذا دعـاه السيد الـرب " مـال الظلـم ' قائلا: " اعملـوا لـكـم أصدقاء بمال الظلم؟" .
إننا لا نملك شيئا حقيقة " لأننا لم تدخل العالم بشيء، وواضح أننا لا نقدر أن تخرج منه بشيء " (١ تي ٦: ٧). وكما قال أيوب الصديق " عريانـا خـرجـت مـن بـطـن أمـي، وعريانا أعود إلى هناك " (أي ١: ٢١). فكل ما هو في حوزتنا من أموال ومقتنيات مادية ومعنوية وأدبيـة... هو ليس لنـا وإن كـان ينسب إلينا بل هو للاستعمال إلى حين... أما ملكيته المطلقة فهي لمالك الكل وضابط الكل.
فحين تعطي أو نوزع فإنما نوزع ليس مما لنا لأننا دخلنا
إلى العالم عراة لا نملك شيئا على الإطلاق... حتى الأقمطة التي قمطونا بها ونحن أطفال لم تكن ملكنا... دخلنا العالم عـراة مـن كـل شـيء عـادمين القوة والقدرة والمعرفة... ثم أعطونا فصار لنا، والواقع أنهم أعارونا فصرنا كأننا نملك ونقدر.
فإن أعطينـا آخـرين أو زرعنا بسخاء فإننـا نـكـون كـمـن يتصرف في مال غيره... كمن يأخذ من سيده ليعطي، لذلك فإننـا عـن دما نصـل ـي فـي الكنيسـة مقـدمين لله قرابينـا نقـول " قرابينك مما لك " وهذا صدق.
وقد وعى الآباء القديسون هذه الحقيقة فهـا داود النبي عندما صلى وبارك الرب أمام كل جماعة بني إسرائيل وهو يقرب إلـى الله تقدمـة الشـعب لبـنـاء الهيكـل... يعلـن أنه كل شيء من يد الله وهو يقدم لـه " مـن يـدك أعطينـاك " (ا أخ ٢٩: ١٤).
نحن نضـع صـلاة داود النبي هذه كنموذج كامل لـروح العطـاء مـع الفـهـم الكـامـل والإدراك الروحـانـي مـع الصـلاة المصاحبة للعطاء، " وبـارك داود الـرب أمـام كـل الجمـاعـة وقال داود: مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينـا مـن الأزل وإلى الأبد. لـك يـارب العظمة والجبروت والجلال والبهـاء والمجد، لأن لك كل ما في السماء والأرض. لك يارب الملك، وقد ارتفعت رأسا على الجميع، والغني والكرامة من لدنك، وأنـت تتسلط على الجميع، وبيدك القوة

والجبروت، وبي ـدك تعظيم وتشديد الجميع. والآن، يا إلهنا نحمدك ونسبح اسمك الجليل، ولكن من أنا، ومن هو شعبي حتى نستطيع أن ننتدب هكذا؟ لأن منك الجميع وم ـن ي ـدك أعطيناك، لأنن ـا نح ـن غ ـرب ـاء أمامك، ون ـزلاء مث ـل ك ـل آبانن ـا. أيامن ـا كالظ ـل عل ـى الأرض وليس رج ـاء. أيه ـا ال ـرب إلهن ـا، ك ـل ه ـذه الثروة التي هيأناه ـا لنبني ل ـك بيتا لاسم قدسك، إنم ـا ه ـي م ـن ي ـدك، ول ـك ال ـك ـل. وقد علمت يا إلهي أنك أنت تمتحن القلوب وتسر بالاستقامة. أن ـا باستقامة قلبي انتدبت بك ـل ه ـذه، والآن شعبك الموج ـود هنا رأيته بفرح ينتدب لك. يارب إله إبراهيم وإسحاق وإسرائيل آبائنا، احف ـظ ه ـذه إلى الأبد في تص ـور فك ـار قل ـوب ش ـعبك، وأعد قلوبهم نحوك " (١ أخ ٢٩: ١٠ - ١٨). ويكفي أن نركز الذهن في هذا الاتضاع المذهل المصاحب للعطاء " من أنا وم ـن ه ـو شعبي حتى نستطيع أن نعطي! ".

وهذه الروح المنكسرة التي يصلي بها إلى الله أثناء التقدمة إنها نتيجة حتمية للإدراك السليم " أننا غرباء ونزلاء " أنه ليس لن ـا... ولك ـن " من ـك الجمي ـع وم ـن ي ـدك أعطين ـــاك ".

فيا ليتن ـا يك ـون لن ـا روح الاتضاع وروح الصلاة هذه ونح ـن نصنع لنا أصدقاء بمال الظلم عندما نأخ ـذ م ـن م ـال السيد الرب الذي جعلنا عليه وكلاء.

لنعط بسخاء ونعمل حساب المستقبل الأبدي ولنصنع لن ـا ص ـيتا حس ـن ـا ف ـي المظ ـال الأبدية فمت ـى عزلن ـا م ـن الوكال ـة الت ـي عل ـى الأرض يقبلون ـا بف ـرح ويفسحون لن ـا الأحضان.

وهناك رأي آخر يقول إن مال هذا العالم يدعى مال الظلم بسبب طريقة توزيعه في العالم، بين غنى باهظ وفقر مدقع وقد يمتلكه عابثون وأشرار ومستهترون وقد يفتقر إليه أبرار وقديسون. أضف إلى ذلك كثرة ما أصاب هذا المال من ظل ـم ف ـي تداوله بين أيدي الن ـاس وف ـي معاملاتهم الت ـي لا تخل ـو م ـن ظل ـم وغ ـش وخداع. ق ـد ي ـدعى م ـال الظل ـم إذا ما قيس بكن ـز الس ـماء حيث لا س ـوس ولا ص ـدأ وحي ـث لا يسرق السارقون، ولكن ينبغي علينا في جميع الأحوال أن نكنز لن ـا كن ـزا في السماء ونقتن ـي لن ـا أص ـدقاء في المظ ـال الأبدية مستخدمين هذه الوسيلة التي جعلت بين أيدينا، فلا نكف عن تحويل هذا الرصيد الذي يفسد إلى ما لا يفسد وعوض الزمنيات التي تزول يكون لنا حظا في الأبديات التي لا تزول.

مثل أصحاب الساعة الحادية عشرة

مقدمة:
تقدم الشاب الغني جائيا قائلاً: أي صلاح أعمل لأرث الحياة الأبدية فلما جاوبه الرب قائلاً: اذهب وبع كل أملاكك وأعطي للفقراء، وتعال اتبعني، فمضى حزينا على الفور لأنه كان ذا أموال كثيرة (مت ١٩: ٢١).
فق ـال ال ـرب للتلاميذ م ـا أعس ـر أن يدخل غن ـي إل ـى ملكوت السموات ولك ـن ه ـذا عن ـد الن ـاس غي ـر مس ـتطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع فأجاب بطرس وقال للرب: " ها نح ـن ق ـد تركنا كل شيء وتبعناك " فأجابه المخلص بوعده الإله ـي " أن ـت ـم ال ـذين تبعتموني، في التجدي ـد، م ـت ـى جل ـس اب ـن الإنسان على كرسي مج ـده، تجلسون أنتم أيضا على اثني عش ـر كرس ـي ـا ت ـدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. وك ـل م ـن ت ـرك بيوتا أو إخ ـوة أو أخ ـوات أو أب ـا أو أم ـا أو امرأة أو أولادا أو حق ـولا م ـن أج ـل اسمي، يأخ ـذ مئ ـة ض ـعف وي ـرث الحياة الأبدية. ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين، وآخرون أول ـي ـن " (مت ١٩: ٢٧ – ٣٠)
وهكذا شرح السيد المسيح قصده الإلهي بمثل أصحاب الساعة الحادية عشرة.
أولا: من نح ـو الغير المستطاع لدى الناس كيف يك ـون مستطاعا لديه من نحو الدخول لملكوته.
وثانيا: من نحو الاختيار بحسب النعمة وكيف أن كثيرون يكونون أولين ولكنهم يصيرون آخرين والآخرون أولين.
وهذا هو المثل (مت ٢٠: ١-١٦).

أصحاب الساعة الحادية عشرة

" فإن ملكوت السموات يشب ـه رج ـلا رب بي ـت خ ـرج م ـع الصبح ليستأجر فعل ـة لكرمه، فاتفق مع الفعلة على دين ـار في الي ـوم، وأرسلهم إلى كرمه، ث ـم خ ـرج نح ـو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما في السوق بطالين، فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضا إلى الك ـرم ف ـأعطيكم م ـا ي ـح ـق لكم، فمضوا، وخرج أيض ـا نح ـو الساعة السادسة والتاسعة وفع ـل ك ـذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين، فقال لهم: لماذا وقفتم ههن ـا ك ـل النه ـار بط ـالين؟ ق ـال ـوا ل ـه: لأنه لم يستأجرنا أح ـد. ق ـال لهم: اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم فتأخ ـذوا م ـا ي ـح ـق لكم. فلما كان المس ـاء ق ـال ص ـاح ـب الك ـرم ل ـوكيله: ادع الفعل ـة وأعطهم الأجرة مبتدئا من الآخرين إلى الأولين، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخ ـذوا دينارا دينارا، فلم ـا ج ـاء الأولون ظن ـوا أنهم يأخذون أكث ـر. فأخ ـذوا ه ـم أيض ـا دينارا دينارا. وفيم ـا هم يأخذون تذمروا على رب البي ـت ق ـائلين: هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة، وق ـد س ـاويتهم بن ـا نح ـن ال ـذين احتملن ـا ثقل النهار والح ـر! فأج ـاب وق ـال ل ـواح ـد م ـنهم: ي ـا ص ـاحب، ما

ظلمتك! أمـا اتفقت معـي علـى دينـار؟ فـخـذ الـذي لـك واذهب، فـإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك، أو مـا يـحـل لي أن أفعل ما أريد بمـا لـي؟ أم عينك شريرة لأنـي أنـا صـالح؟ هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون " (مت ٢٠: ١ - ١٦).

تصرف رب البيت في الخروج لدعوة الأجراء:
أول ما يكشفه الرب لنا في هذا المثل هو شخص رب البيت الذي يطلب فعلة لكرمه.
فالحصاد كثير وكثير جدا وقد أوصانا الرب أن نصلي إلى رب الحصـاد ليرسـل فعـلـة إلـى حصـاده لأن الفعلـة الحقيقيين هم قليلون.
لذا نفهم أن العمـل فـي الكـرم معناه العمل في الحقل الروحـي وهـذا الـعمـل لا يوكل إلا إلـى الـذين أعطـوا هـذا الشرف، إذ لا يأخذ أحد هذه الكرامة لنفسه إلا المدعو من الله.

العمل في الكرم:
والكرم هو الكنيسة، جسد المسيح الكرمة الحقيقية، والعمل فيها زرع وسقي وتعب وسهر وتنقية وتقليم وأخيرا جني الثمار كما من عنقود الحياة.
ولكـن يلـزم أن يكـون واضـحـا أنـه لـيـس الـزارع شيئا ولا الساقي شيئا بل الله الذي ينمي وهو الكرام الحقيقي " فإننا نـحـن عـاملان مـع اللـه، وأنتم فلاحـة اللـه، بنـاء اللـه " (اكو ٣: ٩).
ورب البيت يخـرج يطلـب فـعـلـة مـن بداية النهـار وقت الساعة الأولى (٦ صباحا) ولا يكف عن طلب الفعلة طوال ساعات النهار وأي مـن وجـده حتى الساعة الحادية عشرة يرسله يعمل في كرمه.
وهذا التصرف في حد ذاته يدعو إلى الدهشة والعجب حقا!!
هل يوجد رب بيت يطلب فعلة في آخر النهار وقد قربت الشمس إلى المغيب؟
هذا المثل هو رجاء الذين مضى منهم النهار وانطوت ساعاته وهم بطالون ولم يعملوا في الكرم.
الرب يسوع يفتح بهذا الكلام باب الرجاء على مصراعيه ولا يستطيع أحد أن يغلقه.
لقد خرج الرب في الساعة الحادية عشرة ليبحث خصيصا عن هؤلاء حتى وجدهم فأرسلهم إلى كرمه.
إنه سخاء منقطع النظير أن يسمح الرب لمثل هؤلاء أن يدخلوا ضمن الفعلة الذين تعبـوا طـوال ساعات النهـار بغض النظر عن المكافأة. إن مجرد دعوتهم للدخول في شركة الفعلة يعتبر إكراما ما بعده إكرام.
كان يطلبهم تاركا التسعة والتسعين الذين يعملون في الكرم وخرج كمن يطلب الضال ويسترد المطرود.

لماذا؟!
لقد بادر الرب هؤلاء الآخرين بهذا السؤال " لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين؟ "

(ع ٦).
" ق ـال ـوا ل ـه: لأنه لم يستأجرنا أحد " (ع٧).
يا للأسف العميق الذي يجوز في نفوسنا عندما نسمع هذا الجواب بعين ـه م ـن كثيرين حولنا من المعتبرين بط ـالين ول ـم يستأجرهم أحد، ما بلغت إليهم دعوة للدخول ولا كلمة للعمل، اكتفينا بمك ـان المتف ـرج م ـن ه ـؤلاء وصرنا نتح ـدث ع ـنهم ونصفهم بأوصاف كثيرة ب ـأنهم خارج الك ـرم وخ ـارجين عن الخدمة ولك ـن م ـا أرسلنا إليهم كلم ـة تشجيع ولا فرحن ـا ب ـأن نضمهم إلى حظيرة العاملين.
إنها ذات الكلمات التي نطق بها مريض بركة بيت حسدا عندما سأله الرب أتريد أن تبرأ؟ فأجاب بمرارة اليأس قائلاً: " يا سيد، ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء " (يو ٥: ٧)
يا ويلنا إن كنا نكتفي بأنفسنا أننا داخل الكرم وغرقى في دوامة العمل داخل الكنيسة والخدمة والأسرار، وغيرنا خارجا كثيرون وب ـلا ع ـدد ق ـائمين بط ـالين كم ـن يفض ـل عن ـه الخبز وأخوه خارجا يهلك جوعا.
هيا بنا ندعو البطالين إلى العمل وندخل به ـم إل ـى داخل الكرم لحساب المسيح وامتداد ملكوته.
إن نفوس كثيرة حولنا ينقصها كلمة، مجرد كلمة، وما تكاد تسمعها حتى تنخرط في سلك الفعلة الأمناء لأن هذه النفوس مخلصة وأمينة وغيورة ولكن ليس من يقودها، لقد صدقت الكلمة التي قالها القديس بولس الرسول: " كيف يدعون بمن لم يؤمن ـوا ب ـه؟ وكيف يؤمن ـون م ـن ل ـم ي ـس ـمعوا به؟ وكيف يسمعون ب ـلا كارز؟ " (رو ١٠: ١٤).

البطالة:
إن الذي لا يعمل لحساب المسيح في كرمه الإلهي في عرف الروح بطالاً، وحتى ولو كانت أعماله الأرضية أو الاجتماعية ملء السمع والبصر. العبرة إذن في أن يعمل الإنسان في الكرم بحسب مشيئة الله لأن النار ستمتحن عمل كل واحد، إن احترق عمل أحد فسيخسر وإن بقى عمله الذي عمل فسيكون له المدح من الله.
لم يبق لأصحاب الساعة الحادية عشرة سوى ساعة واحدة من النهار، وقد كاد اليأس أن يبتلع منهم الأمل في دخول إلى حقل العمل، واليأس قاتل حقا، والآباء قالوا إن العقل الفارغ هو معمل للشيطان.
هذه البطالة تصير فرص ـة ل ـع ـدو الخي ـر م ـع ـاول الي ـأس والإحباط في النفوس، فيص ـور ل ـه ـم أن الكنيس ـة والمذبح والتناول م ـن نت ـاج الكرم ـة الحقيقية، والدخول في شركة الأسرار والتنعم هو ليس لهم بل للكهنة والرهبان والبتوليين والعباد في الجبال فقط، أما هم فأهل العالم مكتوب عليهم البطالة والوقوف خارج الأسوار.
ه ـذا منط ـق الشيطان وب ـذار أفك ـاره الش ـرير لل ـه ـلاك، كلا أيه ـا الأحب ـاء ف ـالملكوت مفت ـوح لأصحاب الس ـاعة الحادية عش ـرة ك ـم ـا لأصحاب الساعة الأولى ب ـل وب ـأكثر اتساع.

فلا تعتذر أن ساعات العمـر انقضت وانصرفت في البطالة بلا عمل روحي وأننا نكاد نخلع هذا الجسد ونحن في هذه الحالة.
لا يعتذر الشيخ بانقضاء أيامـه فالباب مفتـوح وأحضـان المسيح تنتظر ودعوة المسيح لأصحاب الساعة الحادية عشرة قائمة، فلا حزن على سنوات انتهت ولا يأس من أن البقية من العمر قليلة.
ولا يعتذر من فرط في ساعات عمره في الطفولة والمراهقة والشباب وضيعها في بطالة الشهوات وانحلالها وتسكع في زوايا ومنعطفات الطرق المتشعبة والملتوية فباب المسيح مفتوح ودعوته بلا ندامة وهو سيعوض عن السنين التي أكلها الجراد.
ولا ييأس من ضيع ساعات الصباح والإشراق والحيوية في بطالة السعي الباطل وراء العالم واكتشف قرب الغروب أن تعبه كان باطلاً وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس. فذراع المسيح ممدودة للجميع وساعة واحدة في كرمة سوف تعوض عن سنوات بلا عدد وأن يوما واحدا في دياره خير من آلاف.
ولا يتألم من فرط في الساعات التي أتته فيها دعوة فأهملها أو هرب منها أو انحاز إلى دعوة أخرى من رئيس هذا العالم في العمل في رعي الخنازير وأكل الخرنوب، فالمسيح لا يطفئ فتيلة مدخنة ولا يقصف قصبة مرضوضة بل يحفظها ويطلبها ولا يفرط فيها حتى آخر رمق.
ألا يصير هذا مشجعا لنا للنهوض، إنها الساعة الآن لنستيقظ لنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور، فالقديس يوحنا الحبيب يكتب قائلاً: " أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة " (ايو ٢: ١٨) يا للعجب من هذا الإحساس الرسولي المتزايد في الفضيلة. ماذا لو فاتنا سماع الصوت وطاعته؟! قد تكون هذه هي الساعة الأخيرة بالنسبة للواحـد فمـاذا عساه أن يجـاوب الـرب إن غابت الشمس عليـه وهـو فـي البطالة.
إن زيارات النعمة تحتاج لمن يقتنصها ولا يقس قلبه إن سمع لصـوت القائل: " اذهـب اعمـل اليـوم فـي كـرمـي " بـل يستجيب له بكل كيانه ووجدانه لأنه ربما لا تتكرر فقد يكون هذا النداء هو نداء الساعة الحادية عشرة " ملكوت السماوات يغصب، والغاصبون يختطفونه " (مت ١١: ١٢).

ساعات النهار:
قال الرب يسوع: " أليست ساعات النهار اثنتي عشرة؟ " (يوا ١١: ٩)، " ينبغي أن أعمـل أعمـال الـذي أرسلني مـا دام نهار " (يو ٩: ٤). ليكن هذا شعارنا في كل يوم، مع بداية إشراق نور النهار. الكنيسة علمتنا أن نبدأ نهارنا بالعمل في الكرم كأبناء نور وأبناء نهار، وكمرسلين من الله إلى العالم نعمل في كرم المسيح كنـور للعالم وملـح لـلأرض، كرائحـة المسيح الزكية ورسالته الحية مقروءة من جميع الناس.
فالعمل الخارجي والمكان الذي نشغله بحسـب عرف العالم، ليس هو وضعنا الحقيقي ولكن بحسب الروح. نحن نعمل لحساب المسيح الذي أرسلنا نعمل كل

النهار لأننا لسنا لنفسنا ولا نعمل لحساب أنفسنا لأن ليس أحـد منـا يـعـيـش لذاته، بل من أجل الذي دعانا بمجده وفضيلته.
فإن فاتتنا ساعات النهار ولم ننجز عملا إلهيا وقفنا نصلي ساعات الغروب ونقول: " أنت يا الله الرحوم احسبني مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ". أسرع لي يا مخلص بفتح الأحضان الأبوية لأني أفنيت عمري في اللذات والشهوات وقد مضى مني النهار وفات فالآن أتكل على غنى رأفتك التي لا تفرغ فلا تتخل عن قلب خاشع مفتقر لرحمتك " (من صلوات الأجبية).
يسجل الإنجيلي أن الرب خرج يطلب فعلة في باكر النهار ثم في الساعة الثالثة ثم في السادسة والتاسعة وأخيرا في الساعة الحادية عشرة.
وقد دبـر الـروح القدس في الكنيسة المقدسة أن تكـون ساعات الدعوة هذه ساعات صـلاة وتضـرع ومقابلـة مـع صاحب الكرم وفرصة للعمل الروحـي فـي كـرم الرب وكأن دعوة المسيح تتجدد أمامنا على صعيد ساعات النهار لعلنا نقبل أن ندخل إلى شركة واتحاد مع العاملين والذين يتعبون في كرمه المقدس.
هيا بنا نستفيد بهذا التدبير الإلهي فلا تتحول صـلوات الأجبية في ساعات النهار هذه إلى عمل روتيني جاف أو نكون كمن يؤدي واجبا كالأجير بل هيا بنا بروح الحب وقبول دعوة المسيح وتسليم المشيئة نقبل دعوته وندخل في الحال إلى خدمة كرمه، غير ناظرين إلى مكافأة ولا طالبين أجرة.
في هذه الساعات يدعونا الروح أن نعمل عمل الصلاة والتوبة وتقديس القلب والفكر والحمد وتسبيح المسيح، هذا هو أقدس عمل يفرح قلب المسيح، فحياة الصلاة كما رسمها لنا الـروح والوجـود فـي حضـرة المسيح هي صميم العمل في الكرم، لأن الصلاة تدخلنا إلى الملكوت مباشرة وتدخلنا في شركة جميع القديسين الذين أرضوا الرب وعملوا في كرمه منذ آدم وإلى آخر الدهور.

تقييم أعمال الإنسان:
ما أبعد أحكام الله عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء! لأنه من عرف فكر الرب؟ أو من صار له مشيرا؟ (رو ١١: ٣٣). إن أعمالاً كثيرة تنال إعجاب الناس وتقديرهم بينما تظهر أعمال الآخرين حقيرة وقليلة وقد لا تجذب انتباه الناس ولكن فـي المـلك‌ـوت سـتكون هناك مفارقات رهيبـة وأمـور غيـر متوقعة.
فمن كان يظن أن أصحاب الساعة الحادية عشرة سيقفون في مقدمـة صـف‌ـوف الـذين يأخذون الأجر السماوي وينالوا نصـيبا فـاخرا ويحسـبـون مـن الـذيـن كـرمهم السيد ودعاهم من المتكا الأخير فيجلسوا في المتكآت الأولى؟ ومـن كـان يظـن أن إنسانا خـدم ساعة واحدة ينـال هـذا المقدار من المكافأة. ماذا يساوي تعب ساعة واحدة؟!
حقا إنه ليس كأحكام الناس هكذا تكون أحكام الله، لقد دخلت أعمال أصحاب الساعة الحادية عشرة دائرة رحمة الله وحبه فقيم أعمالهم بعين صلاحه، وهذا معناه أن العمل في ذاته لا يساوي شيئا ما لم تدركه عين صلاح الله فتجعل منه شيئا صالحا.

كمثل ما ينظر الأب الحنون إلى أعمـال طفله الصغير التي يحاول أن يعبر بها عن حبه، إنها أعمال تافهة في ذاتها ولكن الأبوة تفرح وتسر لأنها مقدمة من ابن صغير فصراخ الطفل في أذن الأب هو أعـذب لحـن فـي الوجـود وكلمـات الطفل وهو يتعلم النطق رغم أنها تخرج غير واضحة وغير صحيحة تماما إلا أنها في نظر الأب أبلغ من جميع الكلمات والعبارات.
هكذا نظر الله إلى أعمال أصحاب الساعة الحادية عشرة الذين دعـاهم برحمتـه وأدخلـم بحبـه الحـانـي وشفقته على البطالين، نظـر إلـى أعمالهم بعين الصلاح فوجدها كاملة وعظيمة وبلا لوم قدامه.

أولون آخرون:
قال الرب يسوع تعقيبا على هذا المثل " هكـذا يـكـون الآخرون أولين والأولون آخـريـن " (مت ٢٠: ١٦).
فالعبرة ليست بالبداية ولكن بالنهاية، لأن نهاية أمر خير من بدايته كما قال الحكيم (جا ٧: ٨).
كثيرون بدأوا بالروح ولكنهم أكملوا بالجسد " أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟ " (غل ٣: ٣).
وكثيرون مـن الـذين ذكرهم الرسـول مفتخـرا بإيمـانهم وخدمتهم في البداية عاد يقول إنه يذكرهم باكيا وهم أعداء صليب المسيح (في ٣: ١٨).
وكثيرون تركوا الطريق ورجعوا مرتدين إلى الوراء إذ أحبوا العالم الحاضر. وعلى العكس تماما كما قال الرب للفريسيين:
" إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله ".
والأمثلة كثيرة في الكتاب المقدس وفي سير الآباء القديسين فهذه صـورة اللص اليمين قائمة تشهد لأصحاب الساعة الحادية عشرة، وزكا العشار والسامرية والمرأة الخاطئة والقديس موسى الأسود ومريم المصرية وشهود كثيرين بلا عدد.
هكذا ستكون مفارقات غير متوقعة في يوم الدينونة العظيم فكثيرون من المعتبرين أولين بحسب المكانة والرتبة والشكل والاسم والذين يقفون في الصفوف الأولى والمتكات الأولى هنا سيظهر أنه دعى أحد أكرم منهم فيضطروا أن يعطوا مكانهم له.
وكثيرون من المنسيين وغير المعروفين والمجهولين أو الذين دخلوا إلى الكرم متأخرين سينالون مكافأة أبدية قبـل الجميع بحسب صلاح الله فاحص القلوب ومختبر الكلى الذي يدين سرائر الناس.
إذن لنكف أيها الإخـوة عـن تقييم الناس والحكم عليهم ولنهرع راجعين إلى آخـر الصـفوف لنحظ بالمتكـا الأخيـر بشعور المسكنة والاتضاع الحقيقي كمن هو آخر الكل حتى نفوز برحمة عند مخلصنا.

أجرة العمل ومكافأة النعمة:
الذي يعمل ويتكل على العمل ويظهر أمام الله أنه تعب ساعات هـذا عـددها بفكر فريسـي يعـد الأصـوام ويحسب العشور والتقدمات حتى أعواد النعنع والشبث

وينتظر أجرة ومكافـاة عـن الصـلوات والسلوك بحسب الوصايا التـي لا يتعداها قط كما قال الابن الأكبر في مثل الابن الضال ". الذي يسلك بهذا الروح الفريسي تحسب له الأجرة على سبيل دين كما يقول الرسول بولس.
أما الذي يسلك بروح العهد الجديد، روح الرسل الأطهار فإنه دائمـا إن افتخـر فيفتخر بالنعمة العاملة فيـه وبـأمور ضعفه في آن واحد، ويشعر أنه مديون للنعمة وأن الفضل كل الفضل يرجع للرب يسوع وعمل نعمته. اسمع القديس بولس الرسول يقول: " لأني أصغر الرسل، أنـا الـذي لسـت أهـلا لأن أدعـى رسـولاً، لأنسي اضطهدت كنيسـة اللـه، ولـكـن بنعمـة اللـه أنـا مـا أنـا، ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلـة، بـل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم، ولكن لا أنـا، بـل نعمة الله التي معي " (اكو ١٥: ٩ - ١٠)
الـذي يحيـا ويـخـدم بهـذه الـروح تكمـل النعمـة نقصـه وتعمل بقوتها في ضعفه وتكون المكافأة على سبيل النعمة وليس بمقدار العمل، لأنهـا نعمـة مفاضـة دون استحقاق بغض النظر عن الإنسان، ولكن يظهر فيها بالأكثر حب الله وتتمجد وتمدح نعمته السخية فقط وقد يشتكي الذين يسلكون بالروح الفريسية ويحتجون كيف يعامل أصحاب الساعة الحادية عشرة معاملة من احتمال طول النهار وحره.
وهم إذن يتكلون على الأعمال لا يستطيعوا أن يدركوا ما هو عمل النعمة وسخاء عطاياها.
لنسلم أعمالنـا فـي يـد النعمة ولا نتكل على بر، بل إن عملنا كل البر نقول إننا عبيد بطالون ولم نفعل إلا ما أمرنا به (لو ١٧: ١٠).

كثيرون يدعون وقليلون ينتخبون:
ما أبعد أحكام الله عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء (رو ١١: ٣٣)
قال الرب إن برص كثيرون كانوا في أيام أليشـع ولـم يطهر سوى نعمان السرياني (لو ٤: ٢٧). وأرامل كثيرات كن في أيام إيليا النبي ولم يرسل إلا إلى الأرملة التي في صرفة صيداء (لو ٢٦: ٤).
وقد لا يبدو واضـحـا أمـام الناس مـا هو سر انتخاب المنتخبين ولكنها النعمة التي يؤتى بها عند استعلان يسوع المسيح وهذا هو نصيبنا الذي نلناه فيه من غير استحقاق.
قال الرسول بولس: " فانظروا دعوتكم أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمزدري وغير الموجـود ليبطل الموجـود، لكي لا يفتخـر كـل ذي جسد أمامه " (اكو ا: ٢٦ - ٢٩).
هذا يكشـف لنـا سـر اختيار الضعفاء لكـي تمـدح قـوة المسيح وسر اختيار أصحاب الساعة الحادية عشرة لكي لا يفتخر، بل من افتخر فليفتخر بالرب (اكو ١: ٣١).

فلنمجـد الـذي دعانا بنعمته ولنكمل أيام حياتنـا سـالكين بحسب الدعوة التي دعينا إليها متكلين على بر المسيح وعمل نعمة روحه القدوس.

من الصباح وحتى الساعة الحادية عشرة:
دعوة المسيح له المجد للملكوت ستظل قائمة حتى نهاية نهار هذا العالم ومجيئه الثاني ليدين المسكونة ويجازي كل واحد بحسب أعماله.
لقد دعا مبكرا أولئك الذين حسبوا فعلة من أول النهار ثم دعا الأمـم لي ـدخلوا إلى ملكوتـه. دعـا بالناموس والأنبيـاء والوصايا ثم دعا بنعمته وهو في الجسد وقـال: مـا جنـت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة (مر ٢: ١٧).
الزمن الأول كـان زمـن الناموس، الزمن الأخيـر زمـن النعمة. والمدعوون حسب قصـده ونعمته تمتعوا بالمواعيد التي نظرها الأولون من بعيد وحيوها.
قال الرب للفريسيين إن الزناة يسبقونكم إلى ملكوت الله ويتكئـون فـي حضـن إبراهيم، لقد اعتبر الأمم الغريبين عن رعوية إسرائيل أصحاب الساعة الحادية عشرة الذي بالنعمة نالوا الملكوت المعد قبل إنشاء العالم.

ظنوا أنهم يأخذون أكثر:
هـذا فكر فريسي محض، عندما يقارن الفريسي ذاتـه بآخرين ويستعرض تقـواه بالقياس إلى الذين هم أقل تقـوى ومعرفة – بحسب رأيه - عندما يقارن نفسه تتزكي أعماله جدا في نظره ويفتكر أنه ينال جزاء أفضل ومكافأة أوفر من الله، ولكنـه لا يدخل النعمـة فـي اعتبـاره ولكـن يـركـز فكره حـول جـهـاده الشخصي وتعبـه غيـر عـالـم أنـه " إن لم يـبـن الـرب البيت، فباطلا يتعب البناؤون، وإن لم يحرس الـرب المدينة باطلا سهر الحراس " (مز ١٢٧: ١).
عندما قارن الفريسي نفسه بالعشار، تزكي جدا وبالفعل لم يكن العشار بحسب التقوى الظاهرة والجهاد الشخصي ليتزكي أمام الله.
ولكن العشار تراءى أمام الله كفقير معدم وليس له سند في بر ولا متكل من أعمال صالحة بل قد عرته الخطية من كل شيء، ففي الحال انسكبت النعمة وغطت ضعفه وسترت عريه وأغنته بغناها فنزل إلى بيته مبررا.
وظـن الفريسـي أنـه يأخـذ أكثر، ولكن الله ليس بظـالم وقد وضع الفريسي موضع الذي يطالب بأجره بناء على تعبه واستحقاقا لـه، فكـان أنـه خـاب مـن النعمـة لأن النعمـة لا تشبع شبعانا ولا تغني غنيا ولا تكسـي لابسـا ولـكـن غنى النعمة للمعوزين وبر النعمـة للخطـاة وذراع المسيح للهالكين " ابن الإنسـان قـد جـاء لكي يخلـص مـا قـد هـلـك " (مت ١٨: ١١).
قال الرب لصاحب الساعة الأولى " يا صاحب، ما ظلمتك! أما اتفقت معي على دينار؟ " (مت ٢٠: ١٣).
إن الذين يسلكون بحسب روح أصحاب الساعة الأولى سوف يعطيهم الرب ولن يظلمهم " لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة... " (عب ٦: ١٠).
الذين أدركتهم النعمة في ساعة متأخرة سيبلغون إلى الأحضان والتمتع مثل الابن الراجع كيف فاز بالحلة الأولى والخاتم في يده والحذاء في رجليه والذبيحة

والفرح... ومشاعر أخرى يصعب التعبير عنها. ولكن روح الابن الأكبر كانت روح أصحاب الساعة الأولى الذين ظنوا أنه‌م مظلوم‌ون عندما تعامل النعمة أصحاب الساعة الحادية عشرة بهذا السخاء، فابتدأ يغتاظ ولم يرد أن يدخل ووقف يحتج أم‌ام ال‌رب ق‌ائلا: " ه‌ا أن‌ا أخ‌دمك س‌نين ه‌ذا ع‌ددها، وق‌ط لم أتجاوز وصيتك، وجديا لم تعط‌ن‌ي ق‌ط لأف‌رح م‌ع أصدقائي " (لو ١٥: ٢٩).

أمثلة لأصحاب الساعة الحادية عشرة:

في قصة استشهاد الأربعين شهيدا قيل أنه‌م ع‌ذبوا الشهداء بإلقائهم ف‌ي ح‌وض كبير مملوء ثلج‌ا ووقف‌وا يحرسونهم حتى يموتوا متجمدين، بينما وضعوا أمامهم حوض كبي‌ر آخ‌ر م‌مل‌وء م‌اء س‌اخن حت‌ى ي‌س‌تثيرونهم ليعدلوا ع‌ن إيم‌انهم، وك‌ان واح‌د م‌ن العسكر الموكلين بالحراس‌ة واقف‌ا يراق‌ب ج‌ه‌اد الشهداء وإذ انفتح‌ت عين‌اه ليرى ٣٩ إكليلاً بينم‌ا إكليلا واح‌دا ي‌ت‌أرج‌ح ف‌وق أح‌دهم ه‌ذا ال‌ذي ل‌م يحتم‌ل الم‌اء الم‌ثلج وخ‌رج ليلقي بنفس‌ه في حوض الماء الساخن ليلقى حتف‌ه ف‌ي الح‌ال ويخسر الإكليل.

وإذ رأى الجندي هذا المشهد سارع بخلع ملابسه وألقى بنفسه في الماء المثلج ليفوز بالإكليل الأربعين، وهكذا تمم شهادته وحسب مع أصحاب الساعة الحادية عشرة الذين نالوا أجر الأولين في اللحظات الأخيرة وعدوا مع مصاف الشهداء الأبرار. وه‌ا القديس بولا البسيط وه‌و رجل متزوج عائشا في العالم وقد تجاوز الستين من عمره، إذ وجد زوجته تعيش بلا خوف الله، ساقطة في غواية العدو وقد نصحها مرات إذ رآها في ذات الفعل، فلما لم تقبل تركها وذهب للقديس الأنبا أنطونيوس، وترهب عنده وبعد أيام قليلة كان قد سبق الشبان ف‌ي الاحتم‌ـال والنس‌ك والتقش‌ـف العجي‌ب وقد منحه الله نعمة عمل الآيات وإخراج الشياطين، ورغم تج‌اوز السن عوضته النعم‌ة أضعاف مضاعفة وحسب م‌ع ال‌ذين دخلوا الك‌رم ف‌ي ساعة متأخرة ولك‌نه‌م ن‌الوا مكافأة أبدية قبل كثيرين حقا " لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون " (مت ٢٠: ١٦).

وها كثيرين وكثيرين مثل مريم المصرية التائبة والأنبا يعقوب التائب المجاهد، وموسى الأسود، صاروا أمثلة للتوبة العجيبة وافتقاد النعمة في أواخر العمر.

بل لعل أروع الأمثلة القديسة بائيسة التي بعد أن كانت محسوبة م‌ن أولاد الله المحبين للأديرة والقديسين ومعتني‌ة بالفقراء ومحبة للعبادة أغواها الشيطان ففتحت بيتها وأسلمت جسدها ونفسها للخطية، هذه لما سمع بها الآباء الشيوخ في برية شيهيت صاموا من جهتها وصلوا ثم أرسلوا إليها القديس يوحنا القصير وبعمل نعمة عجيب افتقدها الله وعملت الكلمة في قلبها فقبلت أن تخرج مع القديس في الحال، ولم تقبل حتى الرجوع إلى مكان الخطي‌ة ول‌و إلى لحظة لإحض‌ار بعض ملابسها، وقد فاضت روحه‌ا ف‌ي ذات الليل‌ة الت‌ي خرجت فيها، وقد تأثر القديس يوحنا القصير تأثرا بالغا وكان يرجو أن الرب يمهل لها زمانا وفسحة من الوقت للتوبة، فعزاه الرب أنه في الوقت الذي خرجت فيه خروجا قلبيا وروحيا من مك‌ان الش‌ر ف‌ـف‌ي الح‌ال قب‌ل ال‌رب توبته‌ا ونالت مرات‌ب القديسين

كواحدة من أصحاب الساعة الحادية عشرة وتمتعت بفرح لا ينطـق بـه ومجيد... حقا عجيبة هي أعمال الله في قديسيه.

آخرون تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم:

يكفي أصحاب الساعة الحادية عشـرة أنهـم أصـحاب اتضاع إذ لا يحسبون أنفسهم أنهم شيء، أو أنهم أصحاب جميل إذ أن الـرب قـال لـهـم: " إن آخرون تعبـوا وأنتم دخلـتم على تعبهم. أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه ".

فهم دائما يذكرون فضل الذي دعاهم وفضل الذين تعبوا قبلهم، ومن ملامح أصحاب الساعة الحادية عشرة أنهـم ينسبون العمـل بـالأكثر للذين كانوا قبلهم خـدامـا وعـاملين بالكلمة.

فالذين زرعوا قبلهم بالدموع والذين رووا وسقوا بدم الشهادة بذار الإيمان والذين سعوا جاهدين وطافوا في القفار وسكنوا البراري وجالوا مبشرين وهم مكروبين مذلين ولم يكن العالم مستحقا لهم، والذين سبقوا وكملوا العمل منذ جيل الأجيال، كل هؤلاء وغيرهم من رجال الإيمان بذكرهم أصحاب الساعة الحادية عشرة باعتبار كبير جاعلين إياهم أفضل من أنفسهم بما لا يقاس.

فإن كان أصحاب الساعة الأولى ينظرون إلى أصحاب الساعة الحادية عشرة أنهـم غير مستحقين إلى شيء أو مستأهلين لكرامة أو مكافأة، فإن أصحاب الساعة الحادية عشرة ينظرون إلى أصحاب الساعة الأولى بعين الاعتبار والإكبار وشتان بين هؤلاء وأولئك. فروح الاتضاع تختلف جوهريا عن روح الاعتداد بالذات، والاتكال على النعمة يضاد الاتكال على ذراع البشر.

الأجرة... دينار:

أي شكر يستطيع أصحاب الساعة الحادية عشـرة أن يقدموه للسيد في وقت قبض الأجرة غير المتوقعة؟

يا للعجب والدهشة التي تملك على النفس حينما تفاجأ بما أعده الرب لمحبيه الذين تعبوا معه وخدموا كأصحاب الساعة الحادية عشرة.

من يقول إن أجرة إطعام الجوعان وسقي العطشان وكساء العريان وزيارة المسجون والمريض تكون هي اعتراف المسيح له المجد بالإنسان الذي فعل هذا أنه فعله بالمسيح شخصيا ويمجد عوض (معروفه هذا) أمام الملائكة المقدسين وأمام الشهداء والقديسين وجميع طغمات السمائيين؟!

ومن يقول إن من يعطي الفقير تكون مكافاته كمن يقرض الرب وعن معروفه يجازيه؟! ومن يتوقع أنه إذا ترك أحـدا بيوتا أو إخـوة أو أخـوات أو أبـا أو أمـا أو امـرأة أو أولادا أو حقـولا يأخـذ مئـة ضعف ويرث الحياة الأبدية (مت ١٩: ٢٩). هل يعقل أن تكـون السمائيات عـوض الأرضيات والأبـديات عـوض الزمنيات؟!

يـا لـفـرح الصديقين يـوم أن يقفـوا فـي سـاعة التكلي ـل واستعلان الأجر السماوي. ليس دينارا ولا أمـوال هي التي سينعم بهـا رب الكـرم ولـكـن أسـرار الكرامـات السماوية لا يعرفها أحد غير الذي يأخذ.

فسر الحصاة البيضاء، والمن المخفي، والثياب البيض، وكوكب الصبح المنير وباقي

أوصاف المجد الأبدي المكتوبة في سفر الرؤيا والتي وعد بها الرب أحباؤه سوف يكملها لهم في يوم غرسه الإلهي ويوم تكليل القديسين.
فهيا أيتها النفس اجتهدي في هذه الساعة لكي توجدي في سلام عند ظهوره واجتهدي أن تكون دعوتك واختيارك للخدمة في كرم المسيح.
وتذكري أنه سيوزع بيد رئيس ملائكته مكافآت لا تخطر على بال إنسان ولا رأتها عين البشر كما دعا رب الكرم وكيله وأمره أن يعطي الأجرة.
وانتظري المكافأة السماوية واعرضي عن كل أجر أرضي أو مجد دنيوي لأن ذلك يحرمك من أجر السماء.

يا صاحب... ما ظلمتك:
هكذا قال الرب لمن نظر بعين شريرة نحو سخاء السيد وكرم نعمته ولم يشكر ويسبح بالحمد للذي أعطاه ويعطي كل أحد.
الله ليس بظالم لأنه لا يحكم بحسب المظاهر ولكنه ينظر إلى القلب ويفحص أعماق الأفكار والنيات ويعطي كل واحد بحسب قلبه " يعطيك الرب حسب قلبك " (مز ٢٠: ٤).
وسوف لا يكون في الدينونة من يشعر بالظلم أو النقص أو العجز لأنه في السماء يكون الكمال والكفاية وحتى الذين سوف تقع عليهم الدينونة سوف يمجدون دينونة الله العادلة إذ يشعرون في أعماقهم أنهم بعدل جازاهم الرب.
فالرب ديان الأرض كلـها مستحق وعـادل في جميع أعماله، ولكن يوم مكافأة الأبرار هو يوم تمجيد الرحمة وذلك لا يكون على حساب الآخرين بل فيض الحنان الإلهي على نفوس اختارها ليعلن بها رحمة أبدية، وهو كما قال له مطلق الحرية أن يفعل ما يشاء بما له وبحسب مسرته التي ترتاح في العطاء وتعطي بسخاء بالفعل، ليس من يقول له لماذا فعلت هكذا؟ لأنـه " مـن عـرف فـكـر الـرب؟ أو مـن صـار له مشيرا؟ أو مـن سبق فأعطاه فيكافـأ؟ لأن منـه وبـه ولـه كـل الأشياء " (رو ١١: ٣٤ - ٣٦).
لنكف إذن عن الأسئلة التي لا طائل من ورائها... لماذا هذا ولماذا هكذا...؟! " ألعـل الجبلـة تقـول لجابلها: لمـاذا صنعتني هكذا؟ " (رو ٩: ٢٠).
فإن رأيت النعمة متفاضلة على آنية رحمة اختارها الرب ليظهـر بهـا لطفـه وإمهالـه وطـول أناتـه... فلا تتساءل ولا تعترض في قلبك، لأنه هو حر أن يرفع بائسا من مزبلة أو يجعـل عـــــاقرا ســـاكنة فـي بيـت أم أولاد فرحـة (مـز ١١٣: ٧)، أو يرفـع المتضـعين ليجلسهم علـى كراسـي الملكوت.
بل الأحرى بنا إذا رأينا أصحاب الساعة الحادية عشرة ترفعهم النعمة وتترفق بهم وتمجدهم أو تعطيهم أجر أصحاب الساعة الأولى، حري بنا أن نمجد النعمة ونحدث بفضـل الذي يعطي بسخاء ولا يعير ويصنع العجائب وحده ويخلص على كل حال قوما.

مثل العشـر عـذارى (مت ٢٥: ١- ١٣)

" حينـئذ يشبه ملكوت السموات عشـر عـذاري، أخـذن مصابيحهن وخـرجن للقـاء العـريس. وكـان خـمـس مـنهن حكيمات، وخمس جاهلات. أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخـذن معهـن زيـتـا، وأمـا الحكيمـات فـأخـذن زيتا في آنيتهن مع مصابيحهن. وفيمـا أبـطـأ العـريس نعسـن جميعهن ونـمـن. ففـي نصـف الليـل صـار صراخ: هـوذا العريس مقبـل فاخرجن للقائـه! فقامـت جميـع أولئـك العـذاري وأصـلحن مصابيحهن. فقالـت الجـاهلات للحكيمـات: أعطينـا مـن زيـتـكـن فـإن مصابيحنا تنطفئ. فأجابت الحكيمـات قـائلات: لعلـه لا يكفـي لـنـا ولـكـن، بـل اذهبن إلى الباعة وابتعن لكـن وفيمـا هـن ذاهبـات ليبتعن جـاء العـريس، والمستعدات دخلـن معه إلى العرس، وأغلق الباب، أخـيـرا جـاءت بقيـة العـذاري أيضا قائلات: يا سيد، يا سيد، افتح لنـا! فأجـاب وقال: الحـق أقـول لـكـن: إنـي مـا أعـرفكن، فاسهروا إذا لأنكم لا تعرفون الـيـوم ولا الساعة التي يأتي فيهـا ابـن الإنسان ".(مت ٢٥: ١ - ١٣)

صلاة نصف الليل:

اختارت الكنيسة هذا المثل لنصلي به في نصف الليل ضمن خدمة الصلوات اليومية أي أن الكنيسة جعلت هذا المثل أيقونة تضعها أمامنا في الصلاة كل يوم.

تتحول الكلمات في هذا المثـل إلـى قـوة دافعـة للسهر والاستعداد لملاقاة العريس. وقد جعلت الكنيسة بعد تلاوة هذا الإنجيل في الخدمة الأولى من صلاة نصف الليـل قطـع توسلية كترجمـة لكلمات الإنجيـل وتحويلـا إلـى صـلوات خاصة:

" ها هوذا العريس يأتي في نصف الليل، طوبى للعبد الذي يجـده سـاهرا، أما الذي يجده متغافلاً، فإنه غير مستحق المضي معه. فانظري يا نفسي لئلا تثقلي نوما، فتلقي خارج الملكـوت. بـل اسـهري قائلـة: قدوس قدوس قدوس أنـت يا الله، من أجل والدة الإله ارحمنا".

تفهمـي يـا نفسـي ذلـك اليـوم الرهيـب، واستيقظي، وأضيئي مصـباحك بزيت البهجة، لأنك لا تعلمين متـى يأتي نحـوك الصـوت القائل: هـا هـوذا العريس قـد أقبـل. فانظري يا نفسي لا تنعسـي، لئلا تقفـي خارجـا قارعـة مثـل الخمـس العـذارى الجاهلات بـل اسـهري متضرعة، لكي تلتقي المسيح بـدهن دسـم، وينعم لـك بعـرس مـجـده الإلهي الحقيقي ".

إن هذه الصلاة التي نصليها كـل يـوم، ونحـن قـائمين سهارى في نصف الليل هي بمثابة تفتيش الأواني وفحصها، هل يا ترى امتلأت من الزيت أم هي خاوية فارغة، وهكذا يفحص الإنسان نفسه ويفتش قلبه، أين خزين الزيت الذي به يلاقي عريس نفسه، فإن وجد هناك قليل من الزيت فإنـه بالدموع في الصلاة والتوسل يجتهد أن يكمل مسيرته ليجمع زيتا للحياة الأبدية، لا سيما أن الفرصة مازالت

سانحة وما زال الوقت يدعى اليوم.
وإن فتش الإنسان قلبه ووجد آنيته قد فرغت من الزيت فماذا عساه يعمل؟!
ليطلب الباعـة بـأكثر اجتهـاد قبـل أن يغلـق البـاب ويا لحسن الحظ إن الباعة في زمان غربتنا ما أكثرهم، وما أسهل الحصول على الزيت وملء الآنية.
فإن كنا قضينا زمانا محسوبين مع العذاري الجاهلات، فقد تنـاهـي الـزمن والوقـت من الآن مقصر، هيا ننفض عنـا غبـار الكسل ونستيقظ مـن غفلتنـا وبحكمـة روحيـة نسلك في جهاد روحي، وسهر في الصلاة ومحبة بلا رياء وصبر كامـل ورجـاء ثابت ونيـة نقيـة وقداسـة السـيرة...
كل هذا سيملأ آنيتنا يوما فيوما حتى إذا مـا حـان وقـت خروجنـا مـن الجسـد نفـرح مـع الفـرحين الداخلين إلـى العرس الأبدي.

ملكوت الله عرس أبدي:
إنـه فـرح حقيقي دائـم إلى الأبد لا ينتهي، أليس هو الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة ووجع القلب؟ حيث يمسح الله كـل دمـعـة مـن عيـونهم، ويكلل محبيه بالكرامـة ويعترف بالذين اعترفوا به ولم ينكروا اسمه.
لأنه قال في الرؤيا: " لن يجوعوا بعـد، ولن يعطشـوا بعـد، ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر " (رؤ ٧: ١٦). الفرح في السماء دائما لا يشوبه كدر، حيث لا جسد يشاغب ولا شيطان يحارب ولا عالم يغري ويضاد.

المسيح هو العريس:
قال القديس يوحنا المعمدان عن السيد المسيح " مـن لـه العـروس فهـو العـريس " (يو ٣: ٢٩)، هو عريس الكنيسة الـذي اقتناهـا بـدمـه ودفـع مهرهـا واشتراها لا بفضـة ولا بذهب مـن سيرتكم الباطلـة، بـل بـدم كـريـم كـمـا مـن حمل بلا عيب، دم يسوع المسيح معروفا سابقا قبل تأسيس العالم (١ بط ١: ١٨).
وقد استعلن المسيح المبارك عريسا للكنيسة منذ القديم، ويكفي أن نتأمل في سفر نشيد الأنشاد حيث يتجلى المسيح العريس، معلما بين ربوة، بعلامته العجيبة وهي صليبه، وهو كمـا تصـفـه الـعـروس أبيض وأحمـر، فتـى كـالأرز (باقي الأوصـاف مـن سفر نشيد الأنشاد) وقد اقترن الـرب بشعبه الذين اختارهم ورفعهم من المزبلة كما نقرأ في حزقيال ١٦ " خطبتك لنفسي ".
كذلك عتـاب الـرب لعروسـه فـي سـفر إرميا (ص ٢: ٢) " ذكـرت لـك غـيرة صـباك، محبـة خطبتـك، ذهابـك ورائـي في البرية ".
والقديس بولس الرسول يقول: " خطبتكم لرجـل واحـده لأقدم عذراء عفيفة للمسيح " (٢ كو ١١: ٢)

الكنيسة هي العروس:
قال الملاك للقديس يوحنا الرائي: هلم أريك العروس امرأة الخـروف (رؤ ٢١: ٩)، فـــرأى وكتـب عنهـا مثـل عروس مهيأة مزينة لرجلها، لهـا مجـد الله زينتها

مصنوعة بدمه.
مشرفة مثل الصباح، جميلـة كـالقمر، طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية (نش ٦: ١٠).
فهي إن كانـت طـاهرة كالشمس، فالفضـل يرجـع للـذي غسلها بدمه وقدسها بغسل الماء بالكلمة، لكي يقتنيها لنفسه كنيسة مجيدة بلا غضن أو شيء مثل ذلك، بل تكون مقدسة ولا عيب.
وهي إن كانت جميلة كالقمر، فالفضل يرجع إلى انعكاس نـور وجـه المسـيـح الــذي أنـار ظلمتهـا بقيامتـه وأشرق في قلبها لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح. وهي إن كانت مشرفة كالصباح، فبسبب فجر قيامته الذي بدد الموت عن الجالسين في الظلمة وظلال الموت عائشين كل حياتهم في خوف ومذلة.
وإن كانت مرهبة كجيش بألوية، فالفضل يرجع إلى الذي غلب كل جيوش الظلمة وقوات الشر وكسر مصاريع الجحيم وسحق الشيطان بالصليب. لذلك رأها يوحنا الحبيب ليس لها مجد من ذاتها بل لها مجد الله.
وتستطيع أن ترجع إلى جميع الأوصاف العجيبة التي سجلت في سفر الرؤيا عن مجد الكنيسة في السماء أو تعرف تماما أن سر هذا المجد الكائن في المسيح عرسها مصدر كل عطية صالحة وكل موهبة تامة.

العذاري:
هم أعضاء الكنيسة، المدعوون للدخول إلى الوجود الأبدي مع المسيح العريس السماوي. المدعوون للاتحاد بالمسيح في سر لا ينطق به. عشر عذاري قال الرب، ولكن فصلهم إلى فرقتين، قد يبدو للناظر إلى جميعهن بحسب المظهـر الخارجي أنه لا فرق، فكلهن عذارى لهن مصابيح ولهن زينة وخارجات لاستقبال العريس.
فماذا يكون الفرق إذن؟
إن الناظر إلى العذاري لا يستطيع أن يفرق بينهن، فكلهن عذارى ممسكات بالمصابيح ولهن أواني، وجميعهن خارجات للقاء العريس ليس في قدرة الإنسان أن يعرف أيهن حكيمات وأيهن جاهلات فالإنسان ينظر من الخارج، أما الرب فينظر إلى القلب. الله وحده الفاحص القلوب ومختبر الكلى، هو وحده الذي يستطيع أن يكشف ما في الآنية من ملء أو فراغ، هذا الفرز والتمييز هو عمل المسيح الديان وحده.
لقد فرق الرب بين الاثنين فجعل للمغبوطات صفة الحكمة بينما وصف الأخريات بالجاهلات.

حكيمات:
الحكمـة بنـت بيتهـا (أم ٩: ١). بدء الحكمة مخافـة الـرب (أم ٩: ١٠).
لقد اختص سفر الأمثال كلـه في التفرقة بين الحكيم والجاهل، وإن كانت الأوصاف في المعاني في هذا السفر تبدو جسدية تختص بالحياة الحاضرة إلا أنها في طياتها يكمن سر الحياة الأبدية والحكمة التي توصل النفس حتى إلى داخل

العرس والفرح الإلهي حيث تسمع الصوت القائل: أدخل إلى فرح سيدك (مت ٢٥: ٢١).
والرب يسوع قال: إن الذي يسمع كلامه ويعمل به يشبه برجل حكيم وعاقل بنى بيتا، وحفر وعمـق ووضع الأساس على الصخر (لو٦: ٤٨). أما الذي يسمع ولا يعمل، فشبهه برجل جاهل بني بيته على تراب الجسد والسطحيات الخارجية فسقط وكان سقوطه عظيما (لو٦: ٤٩).

مجيء العريس:
إن مجيء المسيح الثاني يكون بمثابة فرز وتمييز بين الذين استحقوا للفرح السمائي وبين الرافضين لملكوت المسيح.
قـال الـرب: إنه متى جاء في مجـده وجميع الملائكة القديسين معه، فإنه يميز بين الشعوب في الدينونة، كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره (مت ٢٥: ٣٢).
قال القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى: " الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعـد ماذا سنكون " (١ يو٣: ٢). أي أن سر أولاد الله سيستعلن في مجئ المسيح لأننا سنكون مثله، سنراه كما هو حيث أنه هو نور العالم فاستعلان أبناء الله يكون باستعلان نوره فيهم، والعكس فإن الخاضعين لروح الظلمة يكون لهم خجل عظيم إذ لا شركة للنور مع الظلمة؟ (٢كو٦: ١٤) بل الظلمة تهرب منه.
فالعـذارى الحكيمـات إذن هـن النفـوس التـي متـى جـاء المسيح يجدهن قد زين مصابيحهن بالنور الذي هو إشراق المسيح وحلولـه فـي النفس البشرية، أي أن هذه النفـوس صارت مسكنا للنور.
" سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كلـه يـكـون نيرا " (مت ٦: ٢٢).
وقد ملأت العذاري الحكيمات المصابيح والأنية بالزيت، ومعلوم أن الزيت يشير دائما إلى مسحة الروح القدس الذي فينا، الذي به ختمنا بروح الموعد القدوس ليوم الفداء لعربون الروح لفداء المقتني.
لقد صارت المسحة ملئا، ملأت المصابيح والآنية، النفس والروح معا، وهذا لا يحدث إلا بالسهر المتواصل والجهاد القانوني والصـلاة المتواترة، إنـه مثـل الوزنـات التـي تـربح فتتضاعف، لأن السلوك بالروح يدفع الإنسان للفرح وهذا بالتالي ينشئ حماسا لمواصلة السير والمجاهدة للوصول.
إن المسحة التي لنا من القدوس، بزيت الميرون في المعمودية ختمت على كل أعضـائنا، فصارت آنية كرامـة وتستطيع أن نلمس من كانت آنيته مليئة بالنعمة وأعضاؤه مسلمة لها.
فالعقل والفكـر وكـل قـوى الـنفس تفيض مـن ينبـوع الخيرات وكنز الصالحات
واللسان يصير ينبوع نعمة، يفيض كلاما صالحا كما من كاتب ماهر " لساني قلـم كـاتـب ماهر " (مز ٤٥: ١).

والعين ممسوحة بالروح في بساطة الحمام والقلـب يصير كنز للصلاح، ومركز للحـب الطاهر، وكل ما هو جليل وكل ما هو طاهر وكل ما صيته حسن تكون فيه تجارة الإنسان الروحاني.
وعلى العكس من ذلك، فالذي ينتمي إلى فريق العذاري الجاهلات فإنه من جهة كل أعمال الروح وثمر الروح فهو فقير معوز يبحث عن هذه الأمور بعد الوقت ولا يجدها.

موقف الجاهلات:
يا للحسرة والندم، ولكن بعد فوات الأوان، أين خزين زيت الروح لإنارة الوجه في حضرة المسيح؟
لقد انقضى العمر كله لحساب الجسد، فلما فتشوا عن ما ادخروه بالروح كانت المفاجأة القاتلة... ليس شيء لحساب الروح، أما ما كنزوه في الأرض فقد ترك مدفونا في التراب، كل وقت وجهد لحساب الجسد... دفن مع الجسد، كل جهاد للحصول على كرامة في العالم... يفنى مع العالم.
كل سعي وراء الشهوات يسلب النفس قدرتها على الاستنارة ويترك الإنسان في الظلمة، كل طمع وسعي وراء المال والشهرة والصيت والغني واللذة والفرح العالمي كان وبالاً على الروح فصارت بلا زيت وبلا نور.
كل كسل وتواني وتفريط وإهمال. كل عزوف عن الصلاة وتضييع للوقت واستهتار بالوصايا وتدليل للذات صار كل هذا على حساب الروح فذبلت وانطفأ نورها.
كمن يهمل وقت الزرع ويستهين بالسهر والسقي والعناية بزرعه. ماذا يجد وقت الحصاد سوى حقل خاو وعديم الثمر. أليس ما يزرعه الإنسان إياه يحصد؟ إن من يزرع للجسد فمن الجسد يحصد فسادا (غل ٦: ٧ - ٨).
إن سلوك الجاهلات ينم عن رعونة حقيقيـة وعـدم حكمة، لقد اكتفت الجاهلات بالمظهر الخارجي واللحظـة الحاضرة وبعدم حكمة خرجن للقاء العريس دون حساب دقيق أو احتياط واجب، فلم يأخذن زيتا في الآنية. المظهر كان يبشر بالخير بينما الداخل فارغ تماما هذا هو الخطر بعينه... الآنية تعبر عن القلـب وملؤها يصير كنزا وفراغـا يـورث الحيرة والموت.
وثمة سؤال، هل فكرت الجاهلات - ولو إلى لحظة - ماذا يعملن في المستقبل وليس لهـن زيـت؟ ماذا لو تأخر العريس؟ ماذا لو انطفأت المصابيح؟
لقد انطفأ نـور البصيرة قبـل أن تنطفئ المصابيح بزمان...!!
ألا يحسب جاهلاً حقا الذي يعيش بهذا الفكر المظلم، يستهين بالموقف ولا يحسب حساب للدينونة، ويحسب أن تنعم اليوم لذة، ولا حساب للغد؟ انظر إلى النملة وتعلم منها أيها الكسلان كيف تجمع في الصيف لأيام الشتاء... هكذا قال الحكيم سليمان لينبه النفس الجاهلة.

أعطيننا من زيتكن:
إن إجابـة الحكيمـات، لعلـه لا يكفي، تشير إلى حكمـة القديسين واتضاعهم، إن ظنهم وحكمـم علـى مـا جمعـن من فضائل وما خزنوه من زيت النعمة

ومحصول الروح هو قلي‌ـل وق‌ـد لا يكف‌ـي (لن‌ـا ولك‌ـن)، أو ه‌ـو بالك‌ـاد يص‌ـل بهم إلى لقاء العريس، وهذا الشعور بالعوز والحاج‌ـة ك‌ـان يدفعهم بالأكثر لمواصلة السعي ويحثهم على السهر والجهاد.
والأمثلة على ذلك كثيرة فالقديس بولس الرسول، رغم م‌ـا وص‌ـل إلي‌ـه م‌ـن ن‌ـع‌ـم وم‌ـا بذل‌ـه م‌ـن ج‌ـه‌ـاد م‌ـحب‌ـة في المسيح حتى فاق الرسل الأطهار... رغم كل ذلك يقول: " لس‌ـت إن‌ـي ق‌ـد ن‌ـل‌ـت أو ص‌ـرت ك‌ـاملا... " وبه‌ـذا ال‌ـروح ال‌ـع‌ـالي ينس‌ـى م‌ـا ه‌ـو وراء ويمتد فيم‌ـا ه‌ـو ق‌ـدام... لا شعور بالاكتف‌ـاء ولا اعت‌ـداد بكبرياء أن الإنس‌ـان بل‌ـغ إلى مراده أو وصل... هذا ليس منهج القديسين... لم يقل أحد أن عنده ما يكفيه ويفيض بل شعور المحتاج يسعى إلى آخر نفس.
لقد ظلت الشياطين تحارب القديس مقاريوس الكبير بهذا الفكر الرديء حتى لحظات موته، تقول له: " طوباك ي‌ـا أب‌ـو م‌ـق‌ـار أكمل‌ـت ج‌ـه‌ـادك "، وظ‌ـل ه‌ـو إلى آخ‌ـر رم‌ـق يرفض الفكر كمن هو محتاج لآخر قطرة من زيت النعمة يجمعها وهو على فراش الموت بصبر واحتمال المحتاج والمترجي.
ألا يصير هذا تبكيتا للذين يظنون في أنفسهم أنهم شيء، إن من يظن في نفسه أنه شيء وهو ليس شيئا يضر نفسه كما قال الرسول بولس.

المستعدات دخلن معه إلى العروس:
إن ملكوت ربنا يسوع المسيح لا يدرك إلا بالدخول إليه، فلا يستطيع أح‌ـد م‌ـن خ‌ـارج‌ـه أن يتخيل‌ـه ح‌ـت‌ـى بالعق‌ـل والتصورات البشرية مهم‌ـا س‌ـمت، فأمور الملكوت اختبارية بعيدة المنال عن خيال البشر.
إذ أنه ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر (اكو ٢: ٩)، والمطوبون الذين استحقوا هذه الكرام‌ـة يدخلون إلي‌ـه دخ‌ـولا هو بذاته النعيم الأبدي فعندما ين‌ـادي ال‌ـرب مختاري‌ـه يق‌ـول ه‌ـذه العب‌ـارة: " أدخ‌ـل إل‌ـى ف‌ـرح سيدك وحالم‌ـا يس‌ـمع الإنسان هذه الكلم‌ـة م‌ـن فم الرب يدخل إلى الفرح الإلهي ويجد ذاته في عمق الفرح، فالدخول إلى الفرح هو انتقال النفس من حال المسكنة إلى حال الوجود الدائم في نور وجه يسوع المسيح، فالفرح الأبدي إذن هو دخول إلى دائرة لم يكن للإنسان خبرة بها أو معرفة وليس في طاقة البشر أن يدركوا كمال سرها.

موكب العريس:
م‌ـن ال‌ـع‌ـادات القديم‌ـة عن‌ـد الش‌ـرقيين في احتفالاتهم بالعريس، أن تكون العروس مع وصيفاتها في حالة انتظار - كما شرح الرب بالمثل – ويأتي العريس كذلك في موكب مع أصدقائه، ويتلاقى الاثنان في مشهد الفرح بالغ العذوبة لكي تزف العروس إلى عريسها... وما أشهى أن تفتكر النفس في موكب عريسها السماوي آتي‌ـا م‌ـن السماء محفوفا بالمج‌ـد والكمال مع جميع الملائكة القديسين معه، آتيا على سحاب السماء، جالسا على كرسي مجده.
وسيعلن عن مجيئه المجي‌ـد، ص‌ـوت ب‌ـوق رئيس الملائكة الجليل ميخائي‌ـل

م‌ـلاك القيام‌ـة وم‌ـلاك الف‌ـرح معا.
" لأن الرب نفسه بهتاف، بص‌ـوت رئيس ملائك‌ـة وب‌ـوق الل‌ـه س‌ـوف ين‌ـزل م‌ـن السماء والأموات في المسيح سيقومون أولا. ث‌ـم ن‌ـح‌ـن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء " (ا تس ٤: ١٦ ـ ١٧)
سيأتي الرب ولا يبطئ كما يظن قوم التباطؤ، فالعريس قادم لا محالة، مهما تأخر إنها ساعات قليلة.
ومجيئه في نصف الليل، سينير خفايا الظلام، ويشرق بن‌ـــوره ف‌ـي لي‌ـل الخطي‌ـة ويبدد ظلمت‌ـه إل‌ـى الأب‌ـد، فلا يوج‌ـد الظ‌ـلام فيم‌ـا بع‌ـد والمحسوبين ع‌ـذارى حكيم‌ـات قيل عنهم إنهم ليسوا من ليل ولا من ظلمة جميعهم أبناء نور وأبن‌ـاء نه‌ـار، ف‌ـلا ن‌ـــم إذا كالب‌ـاقين، ب‌ـل لنسهر ونص‌ـح (١ تس ٥: ٦).

لقاء العريس:
قال القديس بولس الرسول إنه لا بد لنا جميعا أن نظهر أمام كرسي المسيح ليعطي كل واحد منا حسابا عما قدمه بالجسد خيرا كان أم شرا، وهذا اللقاء لا بد أن يكون فماذا أعددنا له؟
أم‌ـا ال‌ـذين للمسيح فه‌ـذا ه‌ـو العريس، وه‌ـذا ه‌ـو ي‌ـوم عرس وف‌ـرح أرواحه‌ـم ي‌ـوم اللق‌ـاء الأب‌ـدي. وأم‌ـا ال‌ـذين ليس‌ـوا للمسيح فه‌ـذا اللق‌ـاء م‌ـخي‌ـف إن‌ـه ي‌ـوم ته‌ـرب الظلم‌ـة م‌ـن الن‌ـور وتدان جمي‌ـع أعم‌ـال الظلم‌ـة والفجور، ويقولون للجبال اسقطي علينا وللأكام غطينا من وجه الجالس على العرش (رؤ ٦: ١٦).

أغلق الباب:
لقد ظل الباب مفتوحا على مصراعيه حين كانوا في الجسد، لقد قال السيد المسيح أنا هو باب الخراف إن دخل ب‌ـي أح‌ـد يدخل ويخرج ويجد مرعى، وص‌ـار ين‌ـادي خراف‌ـه الخاصة بأسمائهم يدعوها للدخول، وقد فتح الباب إلى أقصى اتساعه حين علق ابن الله على الصليب وفتح ذراعه وسلمها للمسامير، وصار كمن يستعد لاحتضان كل من يأتي إليه هارب‌ـا م‌ـن ن‌ـي‌ـر ال‌ـع‌ـالم أو مقه‌ـورا م‌ـن الخطاي‌ـا مه‌ـان‌ـا م‌ـن الشيطان.
وقد بدأ باحتضان اللص على الصليب وفتح أمامه باب الرجاء وباب الفردوس.
ونادي الرب بالإنجيل " تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم " (مت ١١: ٢٨).
إذن نفهم أن دع‌ـوة الصليب ودع‌ـوة الإنجي‌ـل ه‌ـي دع‌ـوة للدخول م‌ـن الب‌ـاب أي بالمسيح وه‌ـو ب‌ـاب مفت‌ـوح للجميع ولا سيما الخطاة فما بالنا نسمع هذه العبارة " أغلق الباب " دون الجاهلات.
إن زمان وجودنا بالجسد قبل مجيء المسيح العريس هو زمان توبة ورجوع وإصلاح السيرة والندم على الشر والباب المفتوح.
أما أن انقضى زمان توبتنا دون أن ندخل فلن يكون هناك دخول بعد ولكن سيغلق الباب.

قال الرب لملاك الكنيسة في سفر الرؤيا " هنذا قد جعلت أمامك بابا مفتوحا " (رو ٣: ٨). لقد دخلت الحكيمات وهن في الجسد في زمان الجهاد دخلن الباب الضيق اجتهدن فوجدنه وحينما وجدنه صار هو طريقهم.
" باب ضيق ولكنه يؤدي إلى الحياة الأبدية " لم يرفضوه ول ـم يتذمروا م ـن ضيقه ب ـل حم ـل ـوا صليبهم وصبرن على الضيق، وها قد تبدل هذا الباب الضيق إلى مسرات أبدية وصار صليب الباب الضيق والطريق الكرب هو ينبوع الفرح الأبدي والخلاص.
أما الذين رفضوا هذا الباب الضيق، رفض ـوا ال ـدخول، استثقلوا الصليب وضيق حياة الصلاة والصوم وضيق باب القداسة وضيق إنكار الذات والاتضاع وفرحوا بالباب الواسع وساروا في الطريق الرحب. هذا الباب الضيق الذي رفضوه بإرادتهم وهم على الأرض أغلق أمامهم في السماء.
غلق الباب بالنسبة للحكيمات فرح ما بعده فرح لقد تأكد لهم الوجود الدائم مع العريس فلا انفصال بعد ولا تخل ولا حرمان إلى الأبد ولا شيء سيكدر هذا الصفاء اللانهائي.
أما بالنسبة للجاهلات فم ـا أقساها كلمة " أغل ـق ال ـب ـاب " لا توجد فرص أخرى، إنه حرمان أبدي، وعذاب لا ينتهي، ظلم ـة خارجي ـة، بك ـاء وص ـرير أسنان لا أم ـل ولا رج ـاء فيما بعد.
إن ـه ح ـقا أم ـر م ـخي ـف ومرع ـب، وهذا النصيب التعس والنهاية الأسيفة التي لا ينفعها الندم ولا قرع الصدور.

دعوة لليقظة والسهر:
ق ـال ال ـرب تعليقا على هذا المثل اسهروا إذن لأنك ـم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان.
فدعوة ربنا مجددة لنا كل يوم أن نسهر. لقد طلب الرب من التلاميذ وهو في البستان أن يسهروا ويصلوا وكرره ـا م ـرات وعاتبهم قائلاً: ألم تقدروا أن تسهروا معي ساعة؟!
قد تفقد النفس إكليلها فيسرق منها بسبب تهاونها وكسلها، وعدم يقظتها وسهرها.
قد يفرغ الزيت بسبب الغفلة والنوم في الأباطيل وضياع الوقت في الباطل بينما الإنسان متغافل عن خلاص نفسه مثقلا بنوم عمي ـق والسهر معناه اليقظ ـة الروحية والخ ـوف الحريص على ألا يفقد الإنسان ما عنده ولا يفرط في الذي اقتناه بالتعب والجهد .
إن ما يقتنيه الإنسان بجه ـاد طويل في الفضيلة ربما لو تغافل يسرق منه في لحظة فيسقط في مزالق الشر ويصير فقيرا من النعمة.
العريس قد يأتي في أي وقت، هذا حق؟
فهل صارت عروسه في حالة استعداد للقائه؟
هذا هو السؤال الذي يجب أن تجيب النفس عليه كل يوم مادامت في حالة انتظار.
ذكرت لي فتاة مخطوبة أن عريسها فاجأها بزيارة غير متوقعة في يوم من الأيام

لم تكن مستعدة ومهيأة للقائه، بل كانت مرتبكة بخدمة ونظافة البيت ولم تكن في هندامها وصورتها التي تحب أن يراها فيها، فحصل لها خجل كثير وربكة وصارت تبكي من فرط تأثرها، ثم اتجه ذهنها في ذات اللحظة إلى الحال التي تكون عليها النفوس التي يفاجأها قدوم العريس السمائي وهي على غير استعداد فصارت تبكي أكثر، وقد استمدت من هذه الحادثة قوة أكبر على الجهاد والسهر الروحي والاستعداد للقاء العريس الحقيقي. ألا نحسب أنفسنا أننا في زمان الخطبة للعريس الحقيقي.
" خطبتكم... لأق ـدم ع ـذراء عفيف ـة للمسيح " (٢ كو ١١: ٢)
ونجتهد في هذه الأيام أن نهيئ أنفسنا لكي نلاقي ـه ب ـف ـرح المستعدات.

اتحاد بالعريس السماوي:
من اتحد بالرب صار روحا واحدا هكذا يقول الرسول، فسر الاتحاد الأبدي بالعريس السماوي كائن في أن العذاري الحكيم ـات ك ـان له ـن س ـر ال ـروح وسر الحياة بالروح وسر الاتحاد بالرب.
فلما كمل الزمان، وجاء وقت استعلان الاتحاد الذي كان يعمل فيهم سرا وهم عائشون في غربة العالم وانتظار وسهر وتوق ـع، لم ـا ج ـاء الي ـوم الموع ـود لت ـزف ال ـع ـروس لكمال الاتحاد الأبدي أغلق الباب إلى الأبد وصار الاتحاد لا نهائيا.
لا وجود للزمن المتقلب ولا للجسد المشاغب ولا للشيطان المج ـرب... ولا تستطيع ه ـذه الق ـوى أن تتس ـرب لتك ـد ـر هذا الف ـرح أو تعكر صفو الاتح ـاد ب ـالحق إلى الأبد وإلى أبد الأبد.
والذين عرفوا الرب بالروح، خلوا من كل تصورات الجسد والأحاسيس المادية وأدركوا الحب الإلهي حب الصليب هم وحدهم الذين يدركون ملكوت الاتحاد بالله.
أما الذين عبدوا الله بعتق الحرف، بالحس واللمس المادي محصورين في الجسد عائشين في التراب.
فمن أين لهم أن يدركوا أسرار الملكوت؟
حقا إنه يستحيل على الإنسان الطبيعي أن يدرك ما لروح الله لأن عنده جهالة ولا يستطيع أن يحكم في شيء لأنه إنما يحكم فيه جسديا. فما أن تبلغ إلى مسامعه كلم ـة عرس، وعذارى وعريس، حتى يتجه ذهنه المادي الأرضي إلى عرس الأرض وأف ـراح المسرات العالمية والتلذذ بشهوات الجس ـد واتحاده... يا للحسرة وعمى البصيرة.
أما الذين لهم باكورة الروح فإنما يحكمون بالروح في كل شيء والروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.

خرجن... ودخلن:
لا يتم لقاء العريس إلا بالخروج، ولا يتم الاتح ـاد ب ـه إلا بالدخول إلى ملكوته دخولاً حقيقيا، وهذان الفعلان الخروج لاستقبال العريس ثم الدخول إلى ملكوته هما فعلان متلازمان كوجهي العملة الواحدة.

ففي حال خروجنا وسعينا نحو العريس لاستقباله نكون بالضرورة مقتربين نحو الدخول إلى عرس مجده الإلهي.
وفي حال كسلنا وتقاعسنا عن السعي تقل فرص دخولنا وقد يغلق الباب دوننا.
الخروج هنا يحمل جميع المعاني الروحية في رحلة النفس التي تستحق للدخول إلى العرس السماوي.
فأنت تقرأ عن خروج إبراهيم من أهله وعشيرته، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي وكان هدفه الواحد يشده ويجذبه إليه، وكلمة الذي دعاه تشجعه وتدفعه " سر أمامي وكن كاملاً "، وبالإيمان بلغ الموعد وقبـل مـا أقسم الرب به ثم خرج بني إسرائيل بيد قوية وذراع رفيعة تجذبهم مواعيد عظمي وثمينة عن أرض ميراث تفيض لبنا وعسلاً.
على النفس إذن أن تنسلخ من عتقها وتخرج خارج الدائرة، دائرة جذب العالم، وشهوات الجسد وإغراءات المادة.
لابد من الخروج للقاء العريس حتى تستحق النفس الدخول إلى عرس مجده الإلهي.

الحق أقول لكن إني ما أعرفكن:
أخيرا جاءت الجاهلات قائلات يا ربنا يا ربنا افتح لنا فأجابهن الرب من الداخل بهذه الكلمات إني ما أعرفكن.
هذا معناه أنه لن يتمتع برؤية شخص يسوع الذي هو بهاء مجـد الله ورسـم جـوهـره سـوى النفوس المختـارة، أمـا الجاهلات فلا يستطعن بأي حال من الأحوال أن يرين وجهه ولا مجـده... كيف تلتقي الظلمـة بـالنور؟ لأنـه أيـة شـركة للظلمة مع النور؟ (٢ كو ٦: ١٤).
لكن كيف يقول الرب إني ما أعرفكن؟ إن كثيرين يدعون أنهم يعرفون الرب، وكثيرون سيأتون في اليوم الأخير يقولون أليس باسمك تنبأنا أليس باسمك أخرجنا شياطين. فيقول لهم الملك تباعدوا عنـي يـا جميـع فاعلي الإثم إني لا أعرفكم من أين أنتم.
فمعرفة المسيح، معرفة فائقة، والموضـوع ليس أسماء وأشكال ولا حتـى آيات وعجائب تصـنع... ولكـن معرفـة المسيح هي حياة بالمسيح وفي المسيح.
فالشيطان يستطيع أن يغير شكله إلى شبه ملاك نور، ولكن هذا مجرد منظر خارجي أما الواقع الداخلي روح ظلمة
وظلام.
فليس عجيبا إن كان خدامه يغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح هكذا يقول القديس بولس الرسول.
فالجـاهلات صـرن حسـب الظـاهر في منظـر العـذارى ونداءهن " يا ربنـا يـا ربنـا افـتـح لنـا كـأنهن مـن التابعـات الحقيقيات "، ولكن الله لا يشمخ عليه، ليس كل من يقول يارب يارب يقدر أن يدخل ملكوت الله.
فالعبرة إذن ليست بكلمات الصلاة ولا الشكل الخارجي ولا الأسماء الرنانة أو

المراك‌ـز الظاهرة للن‌ـاس أو أث‌ـواب القداسة وأشكال الحملان أن مجيء المسيح سيكش‌ـف ك‌ـل شيء لأنه لا يدين بحسب الظاهر .
ولا ينظر إلى العين بل ينظر إلى القلب (اصم ١٦: ٧) يفحص القلوب ويختبر الكلى (رؤ ٢: ٢٢).

مثل السامري الصالح (لو ١٠: ٢٥ - ٣٧)

" وإذا ناموسي قـام يجرب ـه قـائلا: يا معلم، مـاذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له: ما هو مكتوب في الناموس، كيف تقرأ؟ فأجاب وقال: تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل فكرك، وقريبك مثل نفسك. فقال له: بالصواب أجبت. إفعل هذا فتحيا. وأما هو فإذ أراد أن يبرر نفسه، قال ليسوع: ومن هو قريبي؟ فأجاب يسوع وقال: إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا، فوقع بين اللصوص، فعـروه وجرحـوه ومضوا وتركوه بين حي وميت. فعـرض أن كاهنا نزل في تلك الطريق، فرآه وجاز مقابله، وكذلك لاوي أيضا، إذ صار عند المكان جاء ونظـر وجـاز مقابله. ولـكـن سامريا مسافرا جاء إليه، ولما رآه تحنن، فتقدم وضمد جراحاته، وصب عليها زيتا وخمرا، وأركبه على دابته، وأتى به إلى فندق واعتنى به، وفي الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق، وقال له: اعـتن بـه ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك، فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبا للذي وقع بين اللصوص؟ فقال: الذي صنع معه الرحمة. فقال له يسوع: اذهب أنت أيضا واصنع هكذا " (لو ١٠: ٢٥ - ٣٧).

ناموسي قام ليجربه:

عندما بكت الرب الفريسيين وفضح أغوار تدبيرهم ولعن رياءهم وأعطاهم الويلات لأجل حياة المظاهر الكاذبة والجري وراء مديح الناس... فأجاب واحد من الناموسيين وقال له: يا معلم حينما تقول هذا تشتمنا نحن أيضا. فقال الرب " ويل لكم أنتم أيها الناموسيون! لأنكم تُحملون الناس أحمالاً عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم " (لو ١١: ٤٦). هذا هو المنطق الداخلي الذي منه يفكر الإنسان الفريسي، هو يحفظ الناموس بتدقيق مذهل وحرفية قاتلة ولكن للناس فقط، للتعليم الكلامي، وليس لنفسه ولا لحياته.

تفسيرات وتأويلات وتحميل النـاس أثقالاً فـوق أثقـال، أحمالاً عسرة الحمل، لم يقدر أحد من الناس أن يحملها، وفي ذات الوقت لا يمسون الأحمال بإحدى أصابعهم. فلا نصيب للناموسي من حمل الناموس أو ثقل الوصايا شيء، يضيقون الطريق أمام الناس وهم يعيشون في حياتهم الخاصة في سعة ما بعدها سعة، يحرمون الأشياء على الناس ويحللونهـا لأنفسهم، لقد أعفـوا أنفسهم من كل ثقل وضيق واحتمال، وتركوا عنهم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان (مت ٢٣:٢٣)

الناموسي إذن لم يكن ليسأل المسيح طالبا بإخلاص: ماذا يعمـل لي ـرث الحياة الأبدية، بل أن الـروح يكشـف غرضـه الباطن، إنه يسأل ليجرب، هل يجيب الرب إجابة تتفق مع ما يحفظه هو، وما يعرفه هو ويعلم به الناس، أم أن إجابة الرب سوف تختلف؟

ولكن الرب كاشف الأسرار وعارف القلوب ومختبر الكلي، أجابـه علـى سـؤالـه بسـؤال قـائلا: مـا هـو مـكتـوب في الناموس كيـف تقـرأ؟

وبتلقائي ـة الع ـارف الح ـافظ ع ـن ظه ـر قل ـب أج ـاب الناموس ـي ق ـائلاً: تح ـب ال ـرب إله ـك... إلى آخ ـر الوصية الأولى والعظمى، محبة الله م ـن ك ـل القل ـب والفكر والنفس والقدرة ومحب ـة القري ـب ك ـالنفس... إن ـه ع ـارف الم ـدخل للحي ـاة الأبدي ـة ومي ـراث ملك ـوت السموات، فم ـاذا يع ـوزه؟ فق ـال ل ـه ال ـرب الص ـواب أجب ـت. افعل هذا فتحيا.

العبرة إذن ليس بما نعرفه بل بما نفعله ونحياه.

الحياة الأبدية ليست معلومات ودراسات، هي أولا وقبل كل شيء حفظ وصايا الرب.

الوصية الأولى والعظمى – وصية المحبة – بدونها لا يكون دخول إلى ملكوت الله لأن المحبة فيها تكميل الناموس كل ـه، كم ـا يقول الرسول بولس وإن كانت وص ـي ـة أخ ـرى متضمنة في تلك الكلم ـة عينه ـا تح ـب قريب ـك كنفسك لأن المحبة لا تصنع شرا بالقريب (غل ٥: ١٤)

ليتنا نتعلم كيف عام ـل ال ـرب إنس ـان ق ـام ف ـي وس ـط الجمع ليجربه، لم يحتد عليه ولا كشف خبثه... ولكن بطول أناة ورفق احتمله، وكلمه كلمة الحياة بل وشجعه ومدحه أمام الناس قائلاً: " بالص ـواب أجبت " حقا إن ربح النفوس حكم ـة إلهية... (أم ١١:٣٠).

ياليت هذا المنهج الإله ـي يك ـون لن ـا طريقا للسلوك الروحاني لاحتمال الآخرين حتى المجربين أيضا... ب ـروح الاحتمال نستطيع أن نربح ونربح كثيرا.

أراد أن يبرر نفسه:

يبدو أن إجاب ـة ال ـرب أوقعت الناموسي ف ـي ح ـرج أو مازق ليس فقط أمام الناس بل في الواقع أمام نفس ـه ف ـي الداخل وأمام ضميره، إذ وجد في الموازين ناقصا... لأنه رغم المعرفة بالناموس والوصايا اكتشف أنه تنقصه الحياة أو قل أنه وجد ذاته محروما منها... أو كما قال الرب لآخر لست بعيدا عن ملكوت الله، لكنه في ذات الوقت لم يكن داخل الملكوت وهذا ما يتعب النفس بالأكثر لأنه على الرغم من معرفة الطريق إلا أنه ليس محسوبا ضمن السائرين فيه.

عاد الناموسي يسأل سؤالاً آخر لعله يخرج من مأزقه أو أن يغير الموضوع فيفلت من وطأة الكلمة الإلهية التي تضع الإنسان في مثل هذه المواجهة الصعبة.

إن هذه هي حقيقة الكلمة، أن تضع الإنسان عند مفارق الطرق ها قد جعلت أمامك طريق الحياة وطريق الموت... اختبر الحياة فتحيا (تث ٣٠: ١٩)، ومطاليب الكلمة في مثل هذه الحالة هي نفس متضعة وقلب منكسر، لا قلبا معاندا ورقبة متصلبة.

اسمع القديس بولس الرسول يقول للصوت الذي ناداه من السماء شاول شاول لماذا تضطهدني... من أنت يا رب؟ ماذا تريد أن أفعل؟... وكما وصف هذا الموقف بعينه أمام الملـك أغريبـاس قـائلا: " مـن ثـم أيهـا الملـك أغريبـاس لم أكن معاندا للرؤيا السماوية " (أع ٢٦: ١٩).

وهكذا الذين سمعوا الرسل في يوم الخمسين عندما نخسوا في قلوبهم قالوا لبطرس وبقية الرسل ماذا نفعل أيها الرجال الإخوة.. (اع ٢: ٣٧) أما ذات

الناموسي المتضخمة، فأبت أن تنحني أمام حقيقة الكلمة وفعلها في القلب... وأراد أن يهرب من نير الكلمة الذي هو أمضى من كل سيف ذي حدين وخارق إلى مفارق النفس ومميزة أفكار القلب ونياته.

من هو قريبي؟
ومع أن السؤال يب ـدو ساذجا إلا أن الرب طويل الأن ـاة والمحتمل ضعف البشر، يستطيع أن يخرج من الآكل أكلاً وم ـن الج ـافي حلاوة، فطبيعة ربنا ونعمته سخية وتعاليم ـه المفعمة حياة تفيض من ينبوع نعمته كإشراق الشمس على الصالحين والأشرار وكما يمطر على جميع أصناف الناس، لأن ـه إل ـه خي ـر ف ـي طبيعته، طيب وص ـالح وليس لصلاحه حدود.

المثل:
لكي يقرب المعنى للسامعين، توسط بهذا المثل ولكي يصيب في الصميم قلب الحجر الذي للناموسي تكلم الرب في المثل عن فعل الرحمة الفائق، والحنو الذي هو غاية الناموس لأن الرب يريد رحمة لا ذبيحة، ولأن الرحمة تفتخر على الحكم.

قال الرب:
إنس ـان ك ـان ن ـازلاً م ـن أورشليم إل ـى أريح ـا ف ـوق ـع ب ـين اللص ـوص فع ـروه وجرح ـوه ومض ـوا وترك ـوه ب ـي ـن ح ـي وميت.
أورشليم هي مدينة الله، مدينة الملك العظيم، مدينة الهيكل والعبادة والذبائح... وأريحا، قديما تدعى لوز، بلد الملذات، ولما بنيت وتحصنت بأسوار أريحا صارت مكمنا للشر والزنا والنجاسات حتى هدمها يشوع بن نون بالإيمان عندما طاف حولها سبعة أيام، ولما هدم أسوارها لم يستبق من المدينة أحدا بل قضى على الخطية وأباد عبادها ولم يستحيي سوى راحاب الزانية التي تخلصت بعلامة الخيط القرمزي الذي هو مثال رشاش دم المسيح الذي يخلص الخطاة (يش ٦).
فالإنسان في المثل الذي كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا أي منحدرا من السمائيات إلى الأرضيات، ونازلا من رتبته وكيان ـه ف ـي أورشليم إلى أريحا في طريق منحدرة نهايته ـا الهلاك وهذا هو واقع الإنسان، كل إنسان، حينما طرد من الفردوس وسقط من رتبته إلى الأرض، إلى التراب الذي أخذ منه.

وقع بين اللصوص:
الشيطان روح الظلمة، ك ـان م ـن الب ـدء قتالاً للناس، هو غير الرحيم كما تسميه الكنيسة في صلواتها... عندما تقع النفس فريسة في يديه لا يشفق لأنه لا يعرف الشفقة، الخطية لها سطوة غريبة، ك ـم طرحت كثيرين جرحي وكل قتلاها أقوياء (أم ٧: ٢٦).
إن منظر الإنسان الواقع بين يدي اللصوص الأشرار، ينهشون كالأسود الكواسر بلا رحمة، يعطي فكرة عما تكون عليه النفس البشرية وهي واقعة تحت نير الشهوات والأهواء وممزقة بيد الشيطان والجسد والعالم.

فعزوه، وجرحوه، ومضوا وتركوه بين حي وميت:
أول ما يعمله العدو الشرير في النفس هو أن يعريها من ثوب النعمة، حقا، فالخطية فضيحة وعري... والنعمة سترة وغطاء. تأمـل إنسـان كـورة الجـدريين وهـو بـه لجئـون مـن الشياطين ساكنا في القبـور عريانا يصيح ويقطـع نفسـه بالحجـارة، وعنـدمـا تحـنـن الـرب يسوع علـيـه وأخـرج مـنـه الشياطين، جاء أهل كورته وتعجبوا إذ وجدوه جالسا ولابسا وعاقلا (لو ٨: ٢٦ - ٣٥)
إن أول مذاقة لمرارة الخطية كما اختبرها الجميع منذ آدم أبونا الأول كانت مرارة العري، إنها أول خبرة مرة أليمة " لأني عريان فاختبأت " (تك ٣: ١٠).
وأول نعمة يتقبلها الإنسان الراجع إلى أحضان الآب بعد زمن الغربة والمهانة والخطية، أول نعمة هي الحلة الأولى، حلة الستر والسترة، ستر العري وستر الخزي، ثياب النعمة التي بالذبيحة أي أقمصة الجلد التي ألبسها الرب الإله لآدم.
المسيح صلب على الصليب عريانا ليستر عرينا... فالتأمل في الصليب كل يوم وحب الصليب وحمل الصليب يشفي النفس التي عرتها الخطية، لقد صار لنا صليب المسيح حصن منيع، وستر حصين. لقد افتقر الرب وهو الغني لكي نستغني نحن أيضا بفقره... نشكرك لأنك سترتنا.

جرحوه:
ما أقسى جراح الخطية التي تطرح الإنسان يعاني من نزف الحياة، ومن ضعف إلى ضعف. جراحات الجسد أمرها هين، وبقليل من دواء وضمادات تشفى وتبرأ، أما جراحات النفس ونزيف الحياة الداخلية التي تؤدي بالإنسان إلى الموت الأبدي من يشفيها.
نازفة الدم وجدت الطريق بعدما تعبت من أطباء كثيرين وبعد أن صـارت إلـى حـال أردأ، قالـت فـي نفسها أنـا إن مسست هدب ثوبه فقط شفيت، وقد حدث هذا بالفعل في حال لمسها لهدب ثوب الرب يسوع وقف نزيف دمها في الحال (مر ٥: ٢٥ – ٣٤). المسيح مجروح من أجل معاصينا مسحوق من أجل أثامنا (إش ٥٣: ٥) جراحات يسوع صارت عوضا عن جراحاتنا. نحن مديونون لمن سفك دمه عنا فداءا وخلاصا وغفرانا للخطايا.

وتركوه بين حي وميت:
بعد أن سلب اللصوص كل شيء، وعروا الإنسان وجرحوه تركوه طريحا مضرجا بدمائه، بين حي وميت.
لا يترك الشيطان فريسة إلا إذا أرادها في هذه الحالة، يسلب كل شيء، يفقد النفس كل الغنى والفضائل التي تملكها كـل مـا لهـا، كـل كـنـوز الـروح: المحبة والإيمان والرجـاء والاتضاع والقداسة... إلى آخر هبات الروح القدس وثماره في النفس التي هي الغنى الحقيقي والفرح الحقيقي. وقـوع النفس فريسة في يد الشيطان والعالم... معناه فقدان النفس كل غنى الروح وشركة ميراث القديسين في النور.

وليس هذا فقط، بل عندما اطمئنوا إلى عدم قدرته وفقدانه كل مقومات الحياة وق ـد أشرف على الم ـوت... ترك ـوه... الشيطان لا يترك فريسته إلا إذا رآها على هذه الحالة البائسة حين تصير النفس لا تقدر على مجرد النهوض أو الوقوف، أو حتى مجرد الحركة...
نفوس كثيرة منطرحة مسكينة، هي أقرب إلى الموت منها إلى الحياة بحسب الروح، فمن جهة الحياة الروحية ربما تدخل في عداد موتى الخطية.
لا قدرة على صلاة ولا قوة على صوم، ولا صبر في جهاد ولا احتمال في تجارب... لا تحيا ولا تتحرك بالروح. الذين وقع ـــــوا أس ـــــرى الجس ـد وجرح ـى الش ـــــــوات لا يتركهم الشيطان إلا بعد أن يجردهم تماما... ويصيروا ليس قتلى السيف. الذين وقعوا تحت سطوة العالم وحب المال وانجرح ـوا بجراح ـات ح ـب الكرامة والمركز والمج ـد الباط ـل يم ـزقهم الشيطان ولا يت ـركهم وفيهم رم ـق ال ـروح أو ق ـوة الاتضاع.
ترى من يقيم هذا المتروك بين حي وميت، ومن له سلطان الإقامة من الأموات؟
ليس سوى الذي مات وقام وغلب الموت.
ليس سوى الذي مات من أجل خطايانا وأقيم من أجل تبريرنا (رو ٤: ٢٥)
ليس سوى الذي قتل الموت بموته وأنار الحياة والخلود.

فعرض أن كاهنا نزل في هذا الطريق فرآه وجاز مقابلة:
لقد نزل الكاهن واللاوي، النبي والرائي، والشيخ والمعتبر، الك ـل ن ـزل في هذا الطريق، الطريق المنحدر من أورشليم " الروح " إلى أريحا " الجسد ". أغلق على الكل ليس من يفعل صلاحا ليس ولا واحد (رو ٣: ١٢)، الجنس البشري كله يحمل طبيع ـة س ـاقطة، لأن ـه حينم ـا س ـقط أبونا آدم في الغواي ـة والمخالفة، سقط في الموت. ي ـوم أن تأكل من الشجرة موتا تموت (تك ٢: ١٧). وهكذا بإنسان واحد دخل الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع (رو٥: ١٢)
سقط الجميع في آدم، لأنه في آدم يموت الجميع كما يقول الرسول.

نظره، وجاز مقابله:
فماذا عساه الكاهن أن يفعل بهذا الإنسان الطريح في الموت؟ فماذا يملك حتى يقدم له؟
إن كاهن العهد القديم يملك الناموس فهل الناموس يقيم من الأموات؟
الناموس يرى ويحكم، يشخص الداء، ويدين الخطي ـة، يفضحها ويؤثمها، ولكنه لا يخلص منها.
قبل الناموس كانت الخطية كامنة، موجودة، ولكن في سر كانت تعمل وتهلك دون أن يفطن إليها الإنسان.
فلما ظهر الناموس، بإحكام ضد الخطايا، كشف أن الكل صاروا تح ـت اللعنة لأنه مكتوب ملع ـون م ـن لا يثبت في كلمات الناموس ولم يستطع أحد مطلقا أن يكمل الناموس.
قال القديس بولس الرسول إن الإنسان لم يعرف الخطية إنها خاطئة جدا إلا

بالناموس بل إن الإنسان لم يعرف أن الشهوة خطية إن لم يقل الناموس لا تشتهي (رو ٧: ٧). فهو قبل الناموس كان يشتهي – أي يفعل الخطية دون أن يدرك مدى فسادها – " لما جاءت الوصية عاشت الخطية، فمت أنا " (رو ٧: ٩)، كمثل طبيب يشخص المرض القاتل، فقبل أن يأتي الطبيب، كان المرض موجودا ولكن لم تكن خطورته القاتلة معروفة، فلما أظهرها الطبيب وأعلنها، أصبحت بمثابة حكم موت على الإنسان فهل يعاب على الطبيب؟ كلا بل المرض هو البغيض والمميت.
هكذا يقول القديس بولس، هل الناموس خطية؟ حاشا...
فهل صار لي الصالح موتا؟ حاشا بل الخطية لكي تظهر أنها خاطئة جدا (رو ٧: ١٣).
إذن الناموس ص‌الح ومق‌دس وعادل أما سر الموت وشوكة الموت وقوة الموت فهي كائنة في الخطية.
على هذا لم يستطع كاهن العهد القديم، أو كاهن الناموس أن يؤدي خدمة للإنسان الواقع بين اللصوص، الملقى بين حي وميت ولا ال‌لاوي أيضا إذ سلك مسلك الكاهن عندما جاز مقابلة عبر أيضا.
إن الرجل الواقع بين اللصوص، ليس بحاجة إلى وصايا، وناموس، فرائض وشرائع، إنه في حال الموت ويحتاج من يقيمه ويحييه، يضمد جراحه، ويوقف نزيف دمه. إنه يحتاج لمن يعطيه الحياة، وواهب الحياة فقط هو الله لأن فيه كانت الحياة (يو١: ٤).

ولكن سامريا مسافرا:
لم يقل الرب عن السامري إنه كان نازلاً، لقد شبه الرب نفسه بهذا السامري الصالح، الشفوق المقيم المسكين من التراب والرافع البائس من المزيلة.
فهو وإن ص‌ار إنسانا، وأخ‌ذ شكل العبد، ولكن‌ه غي‌ر الخاطئ وحده، ولد من العذراء ولكنه ليس من زرع البشر فليس فيه خطية ولم يعرف خطية.
فهو ليس ساقطا، أو نازلاً أو منحدرا كباقي البشر، ليس مثله، لا نبي ولا رئيس آباء، فهو إن اشترك في اللحم والدم، المشي مع الناس، لكنه قال من منكم يبكتني على خطية؟

جاء إليه...:
فهو ليس عابر سبيل، ولا صادفه هذا الأمر مصادفة... بل هو جاء إليه.
لقد سعى ال‌رب نح‌و الإنسان، بمقاصده الأزلية، جاء يطل‌ب م‌ن ك‌ان ضالاً، وجاء يطلب ويخلص ما قد هلك
(لو ١٩: ١٠).
لقد جاء للسامرية، ومشى من أجلها ست ساعات حتى تعب وجلس هكذا على البئر في انتظارها (يو ٤).
وجاء إلى لاوي وناداه من عند مكان الجباية (مت ٩: ٩).
وج‌اء م‌ن أج‌ل ال‌ك‌ل ون‌ادي: تع‌ال‌وا إل‌ي ي‌ا جمي‌ع المتعبين... (مت ١١: ٢٨).
وسعى إلى الخاطئ الطريح حتى وجده في مكانه، كمثل راع ص‌ال‌ح س‌ع‌ى

ف ـي ط ـل ـب الض ـال... حتى رآه فاحتض ـنه وخلصه.
ولم يزل يسعى في أثر كل ساقط، جريح، منطرح بين حي وميت يطل ـب الض ـال، ويسترد المط ـرود، يجب ـر الكسير، ويعصب الجريح (حز ٣٤: ١٦).

ولما رأه تحنن:
إن الرب يسوع وه ـو يقترب م ـن قري ـة ن ـايين وإذا ش ـاب محمول ميت وهو ابن وحيد لأمه وكانت أرملة، لما رآها يسوع تحنن عليها، وقال لها لا تبكي... ولمس النعش فوقف الحاملون. حينئذ نادى الميت قائلاً: " أيها الشاب، لك أقول: قم! فجلس الميت وابتدأ يتكلم، فدفعه إلى أمه " (لو ٧: ١٢ - ١٥).
هكذا كان حنان السامري الصالح، ليست مشاعر بشرية مجردة، ولا مشاركة وجدانية عاجزة، تكتفي بالدموع وكلمات الرثاء، لأن ماذا ينف ـع ك ـل هذا؟ ولكن الحنان القادر على الإقامة من الأموات حنان ابن الله الكلمة الظاهر في الجسد، الذي له وحده عدم الموت، واهب الحياة، الذي نادي لعازر من القبر بعد أربعة أيام.

فتقدم وضمد جراحاته:
" فل ـم ي ـدع إنسانا يظلمهم... " (مز١٠٥: ١٤)... " في كل ضيقهم تضايق... " (إش ٦٣: ٩)... " أحزانن ـا حملها، وأوجاعن ـا تحملها... وه ـو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا... " (إش ٥٣: ٤ ـ ٥)، " أنا أرعى غنمي وأربضها، يقول السيد الرب. وأطل ـب الض ـال، وأسترد المط ـرود، وأج ـبر الكسير، وأعص ـب الجريح... " (ح ـز ٣٤: ١٥ ـ ١٦)... " لأن ـه ه ـو يج ـرح ويعصب. يسحق ويداه تشفيان " (أي ٥: ١٨).
هكذا كتب الأنبياء عن مخلصنا الصالح أنه هو شافي سائر أمراض النفس ومضمد جراحات الخطية وحده، وليس آخر يستطيع أن ينجي هكذا.
وربنا ضمد جراحاتنا بجراحاته، وبدل نزف دمنا بالخطية القاتلة وشوكتها المرة، قبل أن يبذل دمه ويسكبه فداء عنا. هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له، فلنسبحه ونمجده ونزيده علوا " (ثيؤطوكية الجمعة).

وصب عليها خمرا وزيتا:
وص ـف ال ـروح القدس حال ـة بني إسرائيل وق ـد ابتعدوا عن الرب أنهم صاروا " من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة، ب ـل ج ـرح وأحب ـاط وضربة طري ـة لم تعص ـر ولم تعصب ولم تلين بالزيت " (إش ١: ٦).
فالزيت، زيت الروح القدس، الذي يلين القساوة، قساوة الرقبة وقساوة الطبيعة والتصلب والصلف...
والخمر، خم ـر ال ـروح القدس، المقدس والمطهر لسائر الأدناس، وخمر دم المسيح المعطي الحياة.

وأركبه على دابته:
اتض ـع ليرفعنا، وج ـاع ليشبعنا، وعط ـش ليسقينا، افتق ـر ليغنينا، لكي نستغني نحن بفقره...

رضى أن يصـلب على الصليب عريانا ليسـتر عرينـا وخزينـا، أي شكر نستطيع أن نقدمـه لهـذا الحنـان المترفـق بالخطاة.

وأتى به إلى فندق واعتنى به:
قـال الآبـاء عـن الكنيسـة المقدسة أنهـا مستشفى يدخل إليها جميع المصابين بأوجاع الروح وأمراضها فيبرأون، هـى مـكـان شـفاء الجراحـات، بيـت الله، بـاب السماء.
لا خلاص من خطايا ولا شفاء من أمراض خارج أسوار الكنيسة، أسرارها كلها معطية الحياة.
المعمودية خليقة جديدة وثياب جديدة عوض العري والخزي.
التوبة والاعتراف هو خلع العتيق الفاسد الذي بحسب شهوات الغرور (آف ٤: ٢٢)، اطرحوا عنكم الكل: الغضب والصياح والكلام القبيح... إلخ. اخلعوا من جهة التصرف السابق... الأمور التي ذكرها أيضا قبيح.
هنا تفك الكنيسة قماطات الموت ولفائف حيل الشيطان بسلطان المسيح كما قال للتلاميذ عند قبر لعازر " حلوه ودعوه يذهب " (يو ١١: ٤٤).
التناول سـريان دم الحيـاة الجديدة ولبس المسيح والإتحاد به والاشتراك في الوليمة السمائية ومائدة خبز الحياة والمـن المخفي، عوض الجوع إلى الخرنوب والعطش إلى الشهوات.
في سر مسحة المرضى، " وصلاة الإيـمـان تـشـفي المريض، والـرب يقيمـه، وإن كـان قـد فـعـل خطيـة تغفـر لـه " (يع 5: ١٥)، ومسحة الزيت الروحاني، تنسكب بيد السامري الصالح على جراحات النفس والجسد.
وهكذا يكون دخولنا إلى الكنيسة وتمتعنا بأسرارها، كمن يدخل إلى أحضان الآب تحتويه المحبـة وتشـفيه القبلات وتزيل عنه عار الغربة وخزي الخطايا.

وفي الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له: اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك:
لم يقف عمل الرحمة الإلهية عند هذا الحد، بل امتد وسيمتد إلـى يـوم رجوعـه ومجيئه الثاني فهـو يصعد إلى السماء، وسيأتي ثانية كما رأيتموه منطلقا إلى السماء وفي مجيئه سيجازي كل واحد بحسب عمله. ويوفي عبيده الأمناء أجر عمل المحبة، لأنه ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة.
الذين يعتنون بالخطـاة، ويضمدون الجراحات، ويبذلون الجهد والعمر محبة في المسيح.
الذين يسهرون على خلاص الآخرين ويخلصوا البعض مختطفين من النار.
الذين يعملون عمل الرحمة على المستوى الروحي، شفقة على الأثمـة، ويفتحون أحضان المسيح في كنيسته للضـال والمطرود.
الذين صارت راحتهم في حمل الصليب، صليب الآخرين ينفقون وينفقون.
الذين عملوا العمل الرسولي، في تعـب الخدمة، خدمـة الكلمة وخدمة الأسرار، منسكبين على ذبيحة إيمان أولادهم وصاروا في وسط المخدومين حانين هكذا كما

تربي المرضعة أولادها، أو كما في ساعات المخاض والألام حتى يتصور المسيح كاملاً في المخدومين.
وكذلك الذين يعملون عمل الرحمة بحسب فعلها الظاهر في افتقاد الأرامل والأيتام في ضيقهم، في زيارة المرضى والمحبوسين، وشد عوز المحتاجين.
هؤلاء وأولئك، عند رجوعه ومجيئه المجيد سوف يوفيهم أجرا صالحا سمائيا في ملكوته وميراثه الذي لا يضمحل.

دينارين:
دفع الرب لصاحب الفندق المؤتمن، دينارين، لينفق منهما على سلامة المسكين، لإنقاذ الحياة، ويجمع الآباء على أن الدينارين هما العهدان، القديم والجديد، الحاويان كلمة الحياة النافعة للتقويم والتأديب، التي هي حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين (عب ٤: ١٢).
والكنيسة هي التي تنفق وتعطي، كمؤتمنة على الكلمة الحية سلمها لها المسيح بسلطان، في سر، من الإنجيل توزع الكنيسة غنى للمحتاجين وستر للعرى وقـوة للقيام، وراحـة للمتعبين، ومن العهدين، الدينارين، تجد النفس المتعبة مراحم الله ونعمته ورحمته وعمل خلاصه.
الكنيسـة أخـذت مـن المسـيح لتعطي، وتنفـق، الخدمـة فيهـا بـذل وتضحية، حـب وسـكب، والخـادم لا ينتظـر مجـازاة أرضـية أو أجـرة مـادية. لكنـه بـأكثر اجتهـاد يعمل منتظر رجوع الرب ومجيئه الثاني حيث تكون المكافأة ملكـــوت ســـــاوي ومي ـــــرات لا يفنـي ولا يتـــــدنس ولا يضمحل.
أخيرا بعد أن قال الرب هذا المثال المحيي، سأل الرب الناموسي قائلا: فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبا للذي وقع بين اللصوص؟ فأجاب الناموسي قائلاً: الذي صنع معـه الرحمة.
لقد صار المسيح لنا بعمل رحمته على الصليب وافتقاده الخطاة أقرب من الصديق وألصق من الأخ.وما عجز عنه الكاهن (ناموس العهد القديم) والـلاوي (الأنبياء) حينما نظروا إلى الجريح فرأوه، ولكن عجزوا عن تقديم المعونة لإنقاذ الحياة، ما عجزوا عنه أكمله المسيح (السامري الشفوق) بحنـان بـالـغ، وصار قريبا إلينـا جـدا إذ إحتمل ألامنا فصارت محسوسة عنده " في كل ضيقهم تضايـق وملاك حضرته خلصهم " (إش ٦٣: ٩).
وصـار قريبـا لنـا إذا اشترك معنـا فـي اللحـم والـدم، وأعتـق الـذيـن كـانـوا كـل زمـانهم تحـت العبوديـة بسـبب الخوف.
هكذا تفتخر الرحمة، وحنـو المسيح فـوق جميع الأحكام والفرائض والوصايا.
فلما أجاب الناموسي هكذا بعقل، بادره الرب قائلاً: إذهب أنت أيضا واصنع هكذا.
لقد وجـه الـرب نظر الناموسي في المرتين إلى ضرورة العمل بمقتضى الوصايا، فإنه ما لم تخرج الوصايا إلى حيز التنفيذ، وما لم يترجم الإيمان إلى حياة يبقى ميتا في ذاته كشجرة بلا ثمر.
فإن كان فعل الرحمة راق في نظر الناموسي والسامعين حتى إنـه رفـع الـذي

صنعها إلى مرتبـة أقـرب مـن النبـي والكاهن، فالرب يسوع الذي مجد الرحمة وأكملها لنا، يدعونا أن نذهب ونصنع نحن هكذا.
ولكن من أين للإنسان أن يصنع هكذا إن لم يؤتمن على روح المسيح وفكر المسيح، إذ يستحيل على الإنسان في ذاته أن يضع نفسه هكذا من أجل الآخرين.
على هذا نجد أن صانع الرحمـة بهذا المفهـوم هـو المسيح وحده وكل من أخذ روح المسيح فإنه يعمل الأعمال ذاتها كما قال الرب للرسل الأطهار.
لنسلك بالروح، ونحـب الـرب مـن كـل القلـب ومـن كـل الفكر... ونحـب قريبنـا كنفسنا محبة عملية بإيمان ولنمجد المسيح الإلـه الـذي تنازل وأنقذ ضعفنا مـن مـوت الخطية وسطوة الشيطان، وداوى جراحنا بزيت نعمته وخمر محبته وأدخلنا إلى فندق كنيسته واعتنى بنا بكهنة عهده الجديد في خدمة أسراره المحيية إلى يوم ظهوره وملكوته، له المجد في كنيسته من الآن و إلى الأبد. آمين.

مثل شجرة التين (لو ١٣: ٦ - ٩)

" وقال هذا المثل: كان ت ل واح د ش جرة تين مغروسة في كرمه، فأتى يطلب فيه ا ثم را ولم يج د. فق ال للك رام: ه وذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمرا في هذه التينة ولم أج د. إقطعه ا! لم اذا تبطل الأرض أيضا؟ فأج اب وق ال ل ه ي ا سيد، اتركها هذه السنة أيضا، حتى أنقب حوله ا وأضع زبلاً. فإن ص نعت ثمرا، وإلا ففيما بعد تقطعها " (لو ١٣: ٦ - ٩)

المناسبة التي قيل فيها المثل:

قال الرب هذا المثل تعقيبا على ما نقله إلي ه ق وم م ن أخبار عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمه م ب ذبائحهم، ويبدو أن آخرين أيضا أخبروا عن أولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سلوام فقتلهم... وهكذا تدور أحاديث الناس وهكذا يتناقلون الأخب ار ك ل ي وم، ولا يخل و ي وم م ن حوادث، ولا تقف الكوارث عند حد، بل ما دام العالم موجودا بهيأته الحاضرة، خاضعا للبطل ليس عن طوع بل أن الخليقة كلها تئن وتتوجع مترقبة كمال الزمان حين تنعتق الطبيعة من الفس اد ح ي ن تص ل إل ى زم ان استعلان أبن اء الله وك م ال الخلاص.

إلى ذلك الحين العتيد أن يكون، ستظل هناك ح روب وأخبار حروب ومجاعات وأوبئة، وح وادث قد تبدو مفزعة ومفجعة أو متعجب ة ف ي زمانه ا وكأنه ا غريب ة م ن غرائ ب الدنيا. غير أن واقع هذا العالم الذي نعيشه أثبت أنه لا نهاية لمفاجأته ولا غريب تحت الشمس ب ل زم ان مضى وزم ان يج ئ، وأح داث تنسخها أح داث أش د وأق وى ومفارق ات وماسي... إلى آخر هذه الأمور.

ولكن الشيء المستغرب حقا هو موقف الإنس ان م ن هذه الأم ور... ف ي ك ل زم ان... الن اس س ريعا م ا تنق ل الأخبار، تسردها وتتحدث بها ويتناقله ا إنسان عن آخر. وعب ارات أس ى وكلم ات فيه ا أن ين، وم ا يك اد الإنس ان يسمع عن أخب ار م روع ه حت ى ينقله ا ب دوره إلى آخ رين فلا يستطيع أن يحتفظ به ا، وكأنه ا ش يء يثقل كاهل ه ويؤلمه.

وم ن السلوك الإنساني الطبيعي، أن الن اس س ريعا ما يتأثرون بهذه الحوادث تأثيرا وقتيا ينتهي عند سرد الأحداث والانفعال لها انفعالاً كلاميا، ثم ينخرطون في خضم الحياة التي يحيوه ا، ك ل واح د ف ي مش اغله واهتماماته اليومية بالطريقة التي يعيش بها.

وقليلا جدا ما غيرت هذه القصص والأحداث التي تحيط بالإنسان التي يسمع عنها أو يراها، قليلاً ما غيرت من فكره أو من سلوكه أو حولت من طريقته في الحياة، وكأن هذه الأحداث التي سمع عنها، كأنها على هامش الحياة، هي تمس أشخاص آخرين ولكنها لا تمس حياته الشخصية لا من قريب ولا من بعيد.

وهكذا حينم ا انحصر الإنسان في ذاته وتحوصل في أنانيته لم يعد يهز كيانه سوى

الأمور التي تمسه هو شخصيا في ذاته، وهذا هو واقع الإنسان الذي ذكره الشيطان أمام الله حينما اشتكى على أيوب البار قائلاً: " جلد بجلد، وكـل مـا للإنسان يعطيه لأجل نفسه " (أي ٢: ٤).

سؤال: ترى لماذا يسمح الله أن تمر مثل هذه الأحداث؟

إن في الحياة الشخصية لكل واحد خبرات وخبرات... كم مـن أحـداث مـرت بـن ـا، كـم مـن حـوادث رأتهـا العـين كم من نكبات مؤسفة سمع عنها الإنسان وقرأ عنها أيام وأيام.

إن عالم اليوم يختلف كثيرا عنـه بـالأمس، فعـالم اليـوم صغير... صغير جدا، ما يحدث في أطراف الأرض، تسمع عنه وتراه في ذات اليوم، وسائل الإعلام المختلفة تنقل لك كل ما يجري تحت السماء.

ولا تخلو نشرة أخبار واحدة من ذكر حوادث طبيعية في مناطق متفرقة من العالم يروح ضحيتها عشرات وربما مئات بل أيضـا حـروب وانقسامات، وإرهاب وتخريب، وأحـداث دامية، ومأساوية... شيء رهيب حقا.

ولكن ما هو موقفنا إزاء ما يدور حولنا؟

نفس القصة متكررة، نتناقل الأخبار ونبـدي دهشتنا أو استياؤنا أو حزنـا أو رهبتنـا... إلى آخـر هـذه الانفعالات الوقتية. وهذا السلوك عينه، نعيشه كلما عرض لنا أن نسمع عن شيء غير عادي يجري في عالمنا.

ولكن الشيء الذي نبـه الـرب يسـوع إليـه ذهننا، هو أنـه حـول مـجـرى كـلام أولئك القوم الذين اخبـروه ونقلـوا إليـه الأخبـار، حـول الـحـديث عـن الآخـرين والاهتمـام السطحي والشكلي بالأخبار الخارجيـة إلـى حـديث يخصهم هم أنفسهم.

وحـول دفة الحديث من أخبار وحوادث إلى حديث عن التوبة وخلاص النفس، واخرج من مادة الحديث هذه ومن الحوادث درسا للرجوع إلى الله.

كيف كان ذلك؟

سألهم الرب: أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كل الجليليين لأنهم كابدوا مثل هذا؟

ولم ينتظر الرب إجابة من اليهود بل بادر هو بالإجابة قائلاً: كلا أقول لكم بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون، وهكذا كرر الرب قوله بالنسبة للذين سقط عليهم البرج مكررا عبارته لسامعيه... إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون...

فالفكر اليهودي، الفريسي الذي يميل إلى تبرير الذات ودينونة الآخرين واحتقارهم، كان يقول إن هؤلاء الجليليين ما كابدوا هذا العذاب إلا لكونهم أكثر خطيـة وأحق بالعقاب، وهكذا كان الشيطان يعمـل فـي قلـب النـاس، يشـوه الحـق ويجرف الإنسان بعيدا عن خلاصه والاهتمام به.

تماما كما فعل الفريسي حينمـا بـرر ذاته على حساب العشار، إستذنب العشار ودانـه لكي يتزكي هو في عيني نفسه، فنزل العشار إلى بيته مبررا دون ذاك.

وكما جال أيضا في خواطر التلاميذ حينما سألوا الرب قائلين: " من أخطأ: هذا أم

أبواه حتى ولد أعمى؟ " فأجابهم الرب يسوع قائلاً: لا هذا أخطأ ولا أب‌واه حت‌ى ول‌د أعمى، ولكن لتظهر أعمال الله فيه.
عل‌ى ه‌ذا كش‌ف ال‌رب أعم‌اق القلوب الفريسية قائلاً: أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خط‌اة أكثر... ك‌لا أق‌ول لكم. هل كانت خطيتهم أكثر من باقي الجليليين...؟ كلا أقول لكم.
وبالأولى هل كانت خطاياهم أكثر من خطاياكم أنتم؟ كلا أقول لكم.
ما كان مستحيلاً على القلب الفريسي، أن يضع نفسه في مصاف الخطاة جعله الرب سهلا وميسورا حينما يتنقي الفكر وتنكشف خطاياه في نور وجه يسوع المسيح.
حينما يعاقب الآخرون، يقف أصحاب القلوب الفريسية موقف الدينونة وتحليل الأخبار بحسب هوى نفوسهم، بينما لسان حال القديسين يقول: " لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة ".
فالقديسون يميلون إلى تبرير الآخرين وسريعا ما يلتمسون لهم العذر، أما أنفسهم فيرجعون بالملامة على ذواتهم في كل شيء وهذا هو الفرق الجوهري الداخلي الذي تكشف عنه التصرفات الخارجية.

دعوة إلى التوبة:

إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون:

التوبة هي تغيير الفك‌ر وتغيير الحياة، وع‌ظ ال‌نفس وتبكيتها ومعرفة خطورة حالتها إن هي أكملت مسيرتها في حي‌اة التهاون والبع‌د ع‌ن الله، وليس أق‌در م‌ن ال‌ح‌وادث المروعة التي تهز الكيان والكوارث والفواجع، ليس شيء أقدر منها على تحويل مسار النفس ومراجعتها وردها إلى سبل البر.
فإن لم تتب النفس ولم تتعظ من الأمور غير الطبيعية، فماذا يكون مصيرها؟
وك‌أن الفرص التي تسوقها النعم‌ة فيم‌ا ي‌رى الإنسان ويسمع، كأنها مهيأة من الروح واحدة بعد الأخرى كمداخل للتوبة وكتنبيهات للنفس الغافل‌ة لعلها تفي‌ق م‌ن غفلتها.
والدارس في سير القديسين يدرك كم كان آباؤنا يغتصبون فرص التوبة ويستجيبون لأول نداء لتحرك النعمة في داخل قلوبهم.
فها القديس أنبا بولا أول السواح، يحركه مشهد جنازة أحد العظماء، لكي يلقي عن‌ه ك‌ل اهتمامات هذا العالم الزائ‌ل ويجول في البراري والقفار محبه في الملك المسيح وغنى ميراث القديسين.
وك‌م م‌ن أل‌وف تغيرت حياتهم مم‌ا رأوا ف‌ي الح‌روب أو الكوارث الطبيعي‌ة إذ تحقق‌وا زوال ه‌ذا ال‌ع‌الم وك‌ل ما فيه.
هكذا ح‌ول ال‌رب الحديث من كونه سردا للحوادث إلى دافع للتوبة وتغيير الحياة وإلى مراجعة النفس قياسا إلى الح‌وادث وأن الجميع تحت الحكم، وليس من ينجي نفسه، لأن أي إنسان يحيا ولا يرى الموت.

مثل شجرة التين:

تبع الرب حديثه السابق بكلمات هذا المثل الحي والواقعي معا قائلا: " كانت لواحد شجرة تين مغروسة في كرمه، فأتى يطلب فيها ثمرا ولم يجد ".
ومن سياق حديث الرب ندرك أن التوبة التي كان يحدث الجميع عنها هي الثمرة المشتهاة في عيني الرب، ثمرة الحياة التي أعطاها والغرس الذي غرسته يمينه.
وب‌ادئ ذي بدء لا بد لنا أن ندرك القصد الإله‌ي م‌ن وجودنا فالشجرة مغروسة لكي تثمر، فإن كن‌ا نح‌ن عم‌ل‌ه وغرس يمينه فغاية وجودنا هي أن نثمر لله.
وثمر الروح هو محبة، فرح، سلام، ط‌ول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف.
وهذا الثمر فينا يصير دليل شركتنا في الروح وثباتنا في المسيح، والله يأتي إلينا يطلب ثمرا في أوانه بحسب الزمان الذي يعطيه هو، الذي ينبغي أن تنضج فيه الثمار، وبدون هذا الثمر لا يمكن إرضاؤه...
وهذا الثمر يفرح قلب الله.
والرب يسوع قال: إن الشجرة مغروسة في كرمه والكرمة المشتهاة هي الكنيسة التي هي جسده.
ونحن مغروسون فيه، بالمعمودية، صرنا أغص‌ان ف‌ي الكرمة الحقيقية، وكل غصن لا يأتي بثمر ينزعه... وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر.
تذكر كيف لعن يسوع شجرة التين التي لم يكن فيها ثمر، فيبست من أصولها، وقال لها لا يأكل أحد منك ثمر فيما بعد، وهي إن كانت رمزا لحياة المظاهر الكاذبة، وشكل التقوى بدون ثمر، صار للأحياء بالمسيح الثابتين في‌ه ق‌وة لرفض الحياة المظهرية وكشف أغوارها، إذ لم يعد يستهويهم زيف الأوراق وحياة القشور الكاذبة فلا يمدوا أيديهم ليأكلوا من زيف ثمرها فيما بعد.
تأمل لطف الله وط‌ول أناته، فهو يطلب الثمر مرات متكررة وفي سنوات متتالية متأنيا عليها. إنه بطيء الغضب، وكثير الرحمة، يصبر على التينة لعلها تنضج ثمرا، ويعطيها رجاء، وإذ فشلت في إنضاج الثمر، أعطاها فرص‌ة أخ‌رى وثالثة...
ولك‌ن ل‌ي‌س ه‌ك‌ذا يص‌ير ج‌زاء لط‌ف الله وإمهال‌ه وطول أناته كما يقول الرسول إن عدم استغلال طول أناه الله سماه الرسول بولس إستهانه به " أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟ " (رو ٢: ٤)
فه‌و إن أعط‌ى فرص‌ا م‌تك‌ررة فإنم‌ا تك‌ون غايته‌ا أن تتغي‌ر ال‌نفس التائه‌ة وترج‌ع إل‌ى ذاته‌ا وتراج‌ع حساباتها وتق‌دم توب‌ة إل‌ى ال‌رب وتعط‌ي ثم‌ر الحي‌اة الأبدية.
يقول بعض الآباء أن الثلاث سنوات التي يطلب فيها ال‌رب ثمره هي مراحل حياة الإنسان في طفولته وشبابه وشيخوخته، فالله يمهل الإنسان إن ضاعت منه فرص التوبة والحياة لله في مرحلة، فإن‌ه يعوض‌ه إياه‌ا ب‌أخرى ع‌وض السنين التي أكلها الجراد.
لا تظن يا هذا أن قلع الشجرة يشوبه شيء من التسرع أو عدم الصبر حاشا... فكل أعماله بحكم‌ة ص‌نعت وإرادت‌ه صالحة دائما.

شفاعة الكرام:
يبدو واضحا من كلام الرب أن الشجرة عديمة الثمر ص‌ارت تبطل الأرض، ليس فقط أنها لا تنضج ثم‌را. ب‌ل صار لوجودها أضرارا سلبية، صارت تبطل الأرض.
فهي مغروسة فيها محسوبة عليها، تمتص قوتها وتستهلك عافيتها، فلو لم توجد لتركت المجال لغيرها ينمو ويستفيد،
هذا أمر يحتاج إلى مراجعة للنفس، ومراجعة للمواقف...
فليس صحيحا أن يظ‌ن إنس‌ان أن‌ه لا يض‌ر أح‌دا ولا يؤذ أحدا فهو من النواحي السلبية والخطايا نحو الآخرين وإيذائهم يقف موقف الحياد كشجرة لا تعطي ثمرا...
وبه‌ذا يكتفي الإنسان ويستريح ضميره، مثل الفريسي الذي افتخر أنه ليس مثل سائر الناس الخاطئين الظالمين الزناة.
الواقع أن هذا الفك‌ر خ‌اطئ من أساسه، ربم‌ا ي‌ريح ضمير المتوانين. إن كل شجرة مغروسة في حقل الكنيسة، تشرب تعاليمها وتمتص عصارة حياة الروح فيها ولا تؤتي ثم‌ر ال‌روح م‌ن المحب‌ة والفرح والسلام واللط‌ف والوداع‌ة والص‌لاح والتعفف... فإنه‌ا تك‌ون محسوبة إنه‌ا تبط‌ل أرض الكنيسة المعتبرة أنه‌ا الأرض الجيدة والجدي‌دة ف‌ي آن واحد.
قال الرب عن التينة، موجها كلامه للكرام... اقطعها لماذا تبطل الأرض؟ ولكن يا للصوت الرحيم الشفيع الذي نطق به الكرام المبارك يستعطف صاحب الكرم قائلا: اتركها هذه السنة أيضا حتى أنق‌ب وأض‌ع زب‌لا ف‌إن ص‌نعت ثمرا وإلا ففيما بعد تقطعها.
أعطى الرب فرصة ثلاث سنين متتالية للتينة، ملتمسا لها الأعذار بلا عقوبة، مع ط‌ول أن‌اة الله ولطفه وإمهال‌ه، برجاء حي، ولكن التينة كانت في كل فرصة ثمر تبدو مخيبة للآمال، ربما اكتفت بالورق، وغرها المظهر الكاذب...
ولكن ها فرصة أخيرة تأتي على غير التوقع، فإن سكن الإنسان إلى نفسه بهدوء يشعر يقينا أن معاملات الله معه كانت على هذا المستوى العجيب... كم من مرة تجددت لنا فرصة الحياة؟!
- مرات كثيرة ننجو من موت محقق أنها فرص أخرى لعلنا ننضج ثمرا للروح لاقتناء النفس للخلاص.
- كم من مرة تهيئ لنا النعمة فرصا كأنها جديدة بعد انتهاء الفرص التي أتت متكررة وك‌ان يظ‌ن أن‌ه لا وج‌ود لفرص أخرى.
- كم من مرة يستجيب الرب لشفاعة تصرخ من أجلنا فيبقي لنا بقية بعد أن تكون مستوجبين حكم الدينونة.
انظر كيف وقف موسى - كرمز للمسيح - موقف الكرام متوسلاً إلى الله من جهة إسرائيل حين ك‌اد الغضب الإلهي أن يفنيهم بسبب قلة إيمانهم وغلاظة قلوبهم، حين قال الله: " اتركني فأبيدهم وأمحو اسمهم من تحت السماء، وأجعلك شعبا أع‌ظ‌م... " (تث ٩: ١٤).
كان الله قد أوشك أن يقطع هذه التينة، ويهلكها لولا هذا الشفيع الواقف يتوسل لدى الله بسؤال الصلاة قائلا: " وصليت للرب وقلت يا سيدي الرب لا تهلك شعبك

وميراثك..." حتى بلغـت بـه الدالـة التـي مـا بعـدها دالـة إذ يقول: " إن غفرت خطيتهم وإلا فامح اسمي من كتابك الذي كتبت ".
إلى هذه الدرجـة يقـف القديسون، الذين ائتمنهم على كرمه... وسماهم أحباءه، فموسى دعـي كليم الله، وإبراهيم أبونا دعي خليله، وعاموس النبي يقول: إن الرب لا يصنع أمرا إلا ويري عبيده الأنبياء ما لا بد أن يكون، بل كتب في المزمور أنه يصنع إرادة خائفيه.
فإن كان قد صار هكذا في العهد القديم حيث الظلال والرموز فكم يكون الحال في الحياة الجديدة والخليقة الجديدة.
لقد صار الكرام هو شخص ربنا يسوع المسيح نفسه، وصار وسيطا لدى الآب ودمـه الـذي بذله عنا صار كفارة لخطايانا، ليس بتوسلات كما في العهد القديم، بل بقوة الدم الإلهي وفعل التطهير يقدس الذين يتقدمون به إلى الله كل حين.
وعلـى هـذا أيضـا صـار فـي الكنيسـة، فـي الرعـاة والقديسين، الذين لهم روح المسيح، وميراث الرسل الأطهار، صار لهم به جراءة وقدوما لدى الأب، ودخول إلى ما داخل الحجاب، يطلبون ويتوسلون... والرب يستجيب ويعطي فرصا جديدة لشجرة التين، لعلها تصنع ثمرا.
قال الكرام، إنه من باب العناية بالتينة، أنه مزمع أن ينقب حولها ويضع زبلاً...
إنه عمل مكثف وجهد مركز، عناية خاصة تحتاجها هذه الشجرة في هذه المرحلة الأخيرة...
يا ليت الرعاة والمؤتمنين على خدمة النفوس تلهبهم هذه الغيرة لبذل قصارى الجهد نحو هذه العينات التي أنقذتها شفاعة الكرام وتوسلات الصـلاة مـن أن تكابـد المصـير المـحـتـوم وحفظتهـا حتى هذه الساعة معدودة مـن جملـة الأحياء.
أين العرق الكرازي والدأب والسهر، في الحفر والتنقيب حول الشجيرات التي كادت تخنقها أشواك الخطية أو امتصت الحشائش عصارة حياتها فحرمتها من ثمرة مشتهاه.
أين سواعد الخدام، تقبل التعب بفرح حتى تتعمق حول جذور هذه الشجرة لتتعرف بعمق على المشكلات الخانقة والقاتلة للحياة الروحية.
أين سقي الروح ودسم النعمـة... الذي حينمـا يحيط بالنفس فإنه يحيي موتها وينعش حياتها ويجعلها تنمو وتثمر لله.
لقـد صـادف سـؤال الكرام وتوسـلـه قبـولا حسـنا لـدى مخلصنا الله، فهو لا يشاء موت الخاطيء مثلما يرجع وتحيا
نفسـه، قصـبة مرضوضـة لا يقصـف وفتيلـة مدخلـة لا يطفئ، فتوسلات القديسين ودمـوع الكـرامين وصراخهم " اتركها هذه السنة أيضا ". هذه الطلبة على وجه الخصوص، يستجيب لها ويفسح مجالاً لعمل رحمته وطول أناته ويظهر لطفه وإمهاله.
وكم من مرة تكلم الرب على شعب بالهلاك والقلع والهدم، ثم صار هذا بمثابة إنذار، فقام الشعب ورجعوا إليه بالتوبة والدموع ورجع كل واحد عن طريقه الردية،

فعاد الرب وندم عن الشر وبدل العقوبة خلاصا.
وها قصة أهل نينوى تقف شاهدة على رحمة الله غير المحدودة ولجة حبه غير الموصوفة.
على هذا نستطيع أن نستثمر هذا الموقف لحساب توبتنا إذ نحسب أن كلمـات التـوبيخ والتأديـب وكلمـات الإنذار الشديدة، هي شفاء النفس المتواني ـة... ونثـق فـي الحـب اللانهائي. الذي لا يتركنا إلى النهاية بل إن كل من يحبه يؤدبه ويوبخه.
كان القديس يوحنا المعمدان، المترجم اسمه الله حنان، يكرز ويبشر بحنـان إلهـي لـرد قلـوب العصاة ولكن كانت الكلمـات حازمـة وحاسمة، وضـعت الفـأس علـى أصـل الشجرة... " كل شجرة لا تصنع ثمرا تقطع وتلقى في النار ".
هذه كلمات حنان ولطف إلهي وإن اتخذت طبع روح إيليا الناري وقوته لكي لا تعرج النفس بين الفرقتين... بل تصير كلها للرب ولمسيحه.
ليحسـب كـل واحـد نفسـه أنـه يعـيـش هـذه السنة الأخيرة، وأنه إن كـان لـه يعـد بقيـة مـن أيـام، فليس هـذا عن استحقاق أو كان له متسع من الفرص، وأن ما مضى مـن زمـن كـان مليئا مـن ثمـار... بل على العكس، كـان الرسل الأطهار يكررون " أنها الساعة الأخيرة لنسهر ونصح ".
خلاصـنا الآن أقـرب ممـا كـان حـين آمنـا.. أنسـى ما هو وراء وأمتد فيمـا هـو قـدام... لسـت أنـي قـد نلـت أو صرت كاملا... أسعى لعلي أدرك الذي من أجله أدركنـي المسيح... وكان إحساسهم يتزايد بقرب مجيء الرب وانتهاء الزمان...
وها الكنيسة تعلمنا أن نصلي في ساعة الغروب، أنه قد مضى منا النهار وفات والآن أتكل على غنى رحمتك... أي أنه ما بقي من الزمن ليس سوى الساعة الحادية عشرة كفرصة أخيرة للتوبة والرجوع.
فلنحسبها إذن ساعة خلاص ووقت مقبول ونجتهد بالصوم والصلاة والسهر وتقديس الحياة لعلنا نفوز برحمة، فتعمل النعمة فينا عملها وتثمر فينا فتفرح قلب الله.

مثل العبد غير الرحيـم (مت ١٨: ٢١ - ٣٥)

" حينئذ تقـدم إليـه بطـرس وقال: يـارب، كـم مـرة يخطئ إلي أخـي وأنـا أغفـر لـه؟ هـل إلى سبع مرات؟ قـال لـه يسـوع: لا أقـول لـك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات. لذلك يشبه ملكوت السموات إنسـانـا ملـكـا أراد أن يحاسب عبيده، فلما ابتدأ في المحاسبة قدم إليـه واحـد مـديـون بعشرة آلاف وزنة، وإذ لم يكـن لـه مـا يـوفـي أمـر سـيده أن يبـاع هـو وامرأته وأولاده وكـل مـا لـه، ويـوفـي الـدين. فخـر العبـد وسجد له قائلا: يا سيد، تمهـل علـي فأوفيك الجميع. فتحـنن سـيد ذلك العبـد وأطلقـه، وتـرك لـه الـدين، ولمـا خـرج ذلك العبـد وجـد واحـدا مـن العبيـد رفقائه، كـان مـديـونـا لـه بمئة دينار، فأمسكه وأخـذ بعنقـه قـائلا: أوفـنـي مـا لـي عليـك. فـخـر العبـد رفيقـه علـى قدميـه وطـلـب إليـه قـائلا: تمهـل علـي فأوفيـك الجميع. فـلـم يـرد بـل مضى وألقـاه فـي سجن حتـى يـوفـي الدين، فلما رأى العبيـد رفقاؤه مـا كـان، حزنـوا جـدا. وأتـوا وقصـوا عـلـى سـيدهم كـل مـا جـرى. فدعاه حينئـد سـيده وقال له: أيهـا العبـد الشرير، كل ذلك الدين تركتـه لـك لأنك طلبت إلـي، أفمـا كـان ينبغي أنـك أنـت أيضـا ترحم العبـد رفيقـك كـمـا رحمتـك أنـا؟ وغضب سيده وسلمه إلى المعذبين حتـى يـوفـي كـل مـا كـان لـه عليـه، فهكذا أبـي السماوي يفعـل بكـم إن لم تتركـوا مـن قلـوبكـم كـل واحـد لأخيـه زلاته " (مت ١٨: ٢١ - ٣٥).

اتساع الوصايا المسيحية:

سأل القديس بطرس الرسول الرب، كم مرة يخطئ إلي أخي وأنا أغفر له، هل إلى سبع مرات؟

فأجابه الرب: لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات...

وقد كشـف الـرب بهذه الكلمـات عـن طبيعة الوصـايا المسيحية وعدم التقيد بالحرف اليهودي.

فالأسـاس فـي هـذه الوصـية هـو قبـول تـوبـة الأخ المخطـيء فـي حـقـي، إذا رجـع تائبـا، والغفران والصـفـح القلبي من نحوه هذا هو عمل روحاني داخلي وحركة باطنية يعملهـا روح الله فـي حيـاة السالكين بـــالروح فـي طريق الملكوت.

فهل تقيد هذه الحركة بأعداد حتى إذا ما كملت سبع مرات تتوقف حركة الغفران ويرتاح الضمير في العداوة؟

حاشا، إن الذين استومنوا على روح المسيح في الغفران والمحبة والعطاء والبذل وإنكار الذات لا توجد قوة في الوجود تستطيع أن تمنعهم عن الاستمرار في العطاء، بل على العكس فإن قوة الغفران والصفح والمحبة القلبية تغلب البغض

والضغينة والشر كما تغلب أشعة النور فلول الظلام، وكما لا تقوى الظلمة على الصمود أمام النور هكذا فإن النور الذي فينا يصير قادرا على تبديد الظلام مهما كان قدره.
فهل إلى سبع مرات ثم نعجز عن الغفران؟
وهل إلى سبع مرات ثم ننقلب إلى العداوة؟
وهل إلى سبع مرات ثم يرتاح الضمير كأنه وصل إلى أقصى المدى؟
لا بل إلى سبع مرات سبعين مرة، يقول المرتل لكل تمام رأيت منتهى أما وصاياك فواسعة جدا.
لا حدود للوصية في الحياة المسيحية، لأنه‌ا وص‌ايا لا نهائية، ننمو فيها كل يوم، ونكملها على قدر الاستطاعة ولكن كمالها اللانهائي يبقى عاليا ومتسعا جدا.
فإن كانت علوم هذا عددها في العالم متفرعة ومتشعبة وتخصصات لا حصر لها ولا عدد، ويسعى العلماء كل يوم ويتقدمون في المعرفة والاكتشافات... وعجلة التقدم تسير بسرعة مذهلة، ومع كل هذا لا يدعي عالم من أساطين العلم أنه بلغ الكمال، فما زال المجال متسعا وأسرار العلم أعلى من قامته بما لا يقال، فإن كان الحال هكذا مع علوم الأرض فكم يكون الحال مع أسرار الملكوت ووصايا المسيح.
لذلك قال الرب، سبعين مرة سبع مرات، أي بهذا الاتساع اللانهائي يكون الغفران، وهل يعقل أن يخطئ إليك إنسان هذا العدد في اليوم الواحد؟
إذن المسيح المب‌ارك بهذا الرد على استفسار القديس بطرس الرسول كشف عن اتساع الوصية وشمولها وكيف أنها تصل بالإنسان أن يكون صاحب قلب يتسع لإساءات هذا عددها من شخص واحد في يوم واحد.
فإن تأملت إلى إنسان امتدت به الوصية إلى هذا الحد من الغفران فأي إنسان ملائكي يكون هو، وأي قلب رحيم يحمل بين جانبيه، إنه أفضل منظر سماوي يمكن أن تراه حقا.
فإن كانت الخطية تغلق على الإنسان وتحط من شأنه وإمكانياته، فإن وصية المسيح ترفعه فوق مستوى الطبيعة وتصيره جديرا بميراث مجد ملكوت ابن الله.

إمكانية التنفيذ:
ولكن يقول قائل هل هذا الكلام يمكن تنفيذه، هل يصلح للحياة العملية، هل يستطيع أحد مهما أوتي من قوة أن يغفر للأخ المسيء سبعين مرة سبع مرات في اليوم؟
الواقع أن مناقشة القضية على هذه الصورة نظريا يجعلها مستحيلة وتضع الإنسان في موقع العاجز وتضع الوصايا في مكان مرتفع عن قامة الإنسان فيصير الإنسان في صغر النفس ويبتلع من اليأس القاتل.
إن وصايا المسيح له المجد للاختبار، يبدأ الإنسان في قبول الحق الإلهي فيها، ويقتنع قناعة الإيمان أن هذا هو الطريق الأوحد وأن دون‌ه ضياع وفقدان، وأن وصايا يسوع مدخر فيها كل الحكمة الإلهية المرتفعة بما لا يقاس عن أفهام البشر وقياسهم. وإنه مهما سما عقل لإنسان ومهما بلغت فطنته فإنه صغير وجاهل بما

تحويه الوصايا مـن حكمة نازلة من فوق. فلا يتصـور الإنسـان بـحـال مـن الأحـوال أن فكـره يخلصـه وأن تـدبيره الخـاص وتصريفه للأمـور أكثـر نفعا أو أنه إذا انصاع للوصية وخضع لنيرها فإنه سيخسر ويتأخر.
لابد للإيمان أن يسبق ويترسخ في قلب وذهن الإنسان، إن الخسارة التي قد تحدث بسبب تنفيذ الوصايا أفضـل بما لا يقاس من المكسب الذي يتأتى بالسعي وراء الذات وتنفيذ المشيئة الخاصـة وطاعـة العقل والفكر والمنطـق البشري.
وهنا حين يلقي الإنسان جانبا كل حكمة الناس ومشورة العقل ويلقي رجاءه بالتمام باتكال كامل على النعمة ويقبل روح الوصـيـة بحـب وخضـوع إرادي، حينمـا يكـون تـدبير الإنسان الداخلي وقناعته الباطنية مرتكزة هكذا على الإيمان بالمسيح والثقـة فيـه والمحبـة لـه، حينئذ تصـير الوصـايا محبوبة، والبذل فيها محبب للنفس ميسرا (بل في ساعتها تحسب يقينا أن المر الذي يختاره لي الرب خير من الحلو الذي أختاره لنفسي).
وحين تبتدئ النفس تدخل أولى خطوات التنفيذ للوصية تكـون كـمـن اقتحمت دائرة النور الذي لا يدني منه، وفي انعكاس هذا النور تنفتح البصيرة وترى النفس الأمور التي لا ينطق بها...
مثل الشهداء، حافظي وصايا يسوع وشهاداته، حين خطوا بأرجلهم دائرة الشدائد محبـة فـي المسيح، انفتحـت لـهـم السماوات وذاقوا أطيب ما في المسيحية من خبرات عزاء وفرح وحب، بل انفتحت عيونهم على الأبدية كمثل استفانوس الشهيد الأول الذي رأى السموات مفتوحة فاستهان بآلام رجم الحجارة، ونطق بكلمات الغفران في أقسى ظرف يتعرض له إنسان من مسيئين أبغضوه بلا سبب.
هنا تخطى الغفران مـا قـد يتصوره البعض مـن حـدود فـي الوصـايا، لقد زاد استفانوس علـى حـدود السبعين مـرة سبع مرات، فلـم يعـد الغفران كلمـات أو حتـى نقـاوة قلب نحو مسيء في أمر يهـون، بل صار غفرانـا للقاتلين والراجمين تخطى كل منطق بشري وحدود القامة الطبيعية إلى ما هو فوق الطبيعة... إلى طبيعة غفران المصلوب لصـالبيه... وباختصـار فـإن اسطفانوس صـار نموذجا لاستمرار الصليب وقـوة المصـلوب وروح المصـلوب في آن واحد.
إذن فليس علينا إلا أن نمتلئ من روح الإيمان هذا، ثم نتبعه على الفور بالتطبيق العملي الناتج عن التصديق القلبي بفاعلية الوصايا ومنفعتـا لـيس للحياة الحاضـرة فقـط بـل وللحياة الأبدية بالأحرى.
ومـا أن يبتـدئ الإنسـان فـي التنفيـذ المستند علـى التصـديق والثقـة فـي كـلام المسيح، حتى تؤهلـه النعمـة وتحمله على الصعود على الدرجات الأعلى مثل أم تهتم بصغيرها.
وما أن يتذوق الإنسان النعمة الكائنة في الوصايا حتى يشتهي أن يبذل أكثر وحتى يشتهي أن ينفق وينفق.
ومـا أن تتحـرك هـذه الشـهوة المقدسـة فـي الإنسـان حتى تكون النعمة قد هيأت فرصا أوسع للتنفيذ، كأن تضع النعمة في طريق الإنسان إمكانيات البلوغ للدرجة الأعلى،

وهذا ربما يكون على شكل امتحان للإرادة والثبات في الإيمان أو القدرة على البذل والتصدي للحكمة البشرية ومشورة العقل الذي يحاول أن يعرقل سير النفس وصعودها ويستميلها باستمرار أن تتعقل بذاتها، فإن هي أصغت إلى هذا الصوت تتعطل مسيرتها نحو الهدف السماوي.
هكذا يبلغ الإنسان، سبعين مرة سبع مرات، بل وأكثر وأكثر بلا حدود، كلما احتضن الوصايا في قلبه ودفعه الحب للمسيح كطاقة جبارة، إذ يفعل كل شيء محبة في ذاك الذي أحبنا حتى الموت وحتى الصليب، ومهما عمل الإنسان فإنه لا يطغي عليه روح التفاخر كأنه عمل شيئا بل يحسب دائما نفسه كأنه ما عمل شيئا بل يصير لسان حاله يقول: " أنا ما أنا بل نعمة الله التي معي ".
وإن عمـل كـل البـر يقول: " أنا عبـد بطـال لـم أفعـل إلا ما أمرت به ".

ملاحظة هامة:
هناك ملاحظة هامة لا يجب أن تفوتنـا ونـحـن بصـدد الحديث عن تنفيذ مثل هذه الوصايا (الصعبة)، إن وصايا يسوع المسيح ربنا لا تنفذ بعيدا عن يسوع المسيح نفسه،
أليس هو القائل بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا، فهي إذن ليست قدرات بشرية ولكن يجب على النفس أن تنموا بالحياة في المسيح أولا لكي تستطيع أن تنفذ الوصـية... أي أن المسيح فينا هو الذي يعمل الأعمال والله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة.
وهذا يفسر مرات الفشل والتناقض الرهيب في حياة الذين يريدون أن ينفذوا وصايا يسوع دون أن تكون لهم شركة في سر المسيح وحبه من كل القلب والحياة به وله وفيه سواء بالأسرار أو بالكلمـة والتسبيح والصـلاة وكـل وسائط نعمـة المسيح بالروح القدس.

المثل:
بعد أن تقدم بطرس وسأل الرب هكذا... وقد جاوبه الرب بقولـه لا أقـول لـك سبع مرات بل سبعين مرة سبع مرات استطرد الرب قائلاً: لذلك يشبه ملكوت السموات... وأكمل... هذا المثل الحي والعجيب حيث كشف الرب فيه غنى حبه ولطفه.

إنسانا ملكا أراد محاسبة عبيده:
لابد للعبيد أن يقفوا هذا الموقف، إن أجلاً أو عاجلا وجيد للعبد أن يكون مستعدا، قال القديس بولس الرسول: لا بد لنا جميعا أن نظهر أمام كرسي المسيح ليعطي كل منا حسابا عما قدمه بالجسد خيرا كان أم شرا.
هذا أمر معروف لا يحتاج إلى تدليل.

الإنسان الملك هو المسيح الإله ديان الأرض كلها:
والعبد الذي يقدم للمحاسبة هو أنا وليس الآخرين، لأنه إن حاكمنا أنفسنا لما حكم

علينا، وكما يقول مارإسحق: " جيد الإنسان أن يأتي بالملامة على نفسه في كل شيء ". ووقوفي أمام الديان العادل، موقف مرهوب ومخيف... أصلي كل ليلة من أجل هذا الموقف قائلاً: هوذا أنا عتيد أن أقـف أمـام الديان العادل مرعوبا ومرتعبا من كثرة ذنوبي.
حبذا لو تذكر كل إنسان هذا الموقف بصورة جدية وفكر فيـه بـعمـق الـروح لا بفكر العقـل وتذكر الكلمـة المكتوبة " مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي! " (عب ١٠: ٣١)
فلما ابتـدئ الملك في المحاسبة قدم إليـه واحـد مـديون بعشرة آلاف وزنـة، (والوزنـة = ٣ آلاف شاقل، والشـاقل حوالي ٧ دينار). مبلغ باهظ حقا يقدر بملايين الدينارات (أكثر من ٢٠٠ مليون)، وهذا عبد مسكين، من أين له أن يسدد هذا المبلغ الخيالي!! لا وسيلة ولا إمكانية ولا احتمال قائم، لا توجد بارقة أمل في أن هذا العبد يقدر أن يسدد هذا الكم الهائل من الديون!!
حتى لو بيع هو وكل ماله وكل من له، لا يستطيع أن يوفي! ما معنى هذا؟
معناه أن مـا كـنـا مـديونين بـه نـحـو الله مـن الخطايـا والذنوب، لا سبيل لإنسان كائن من كان أن يوفي أو يسدد مطاليب عدل الله لأن أجرة الخطية هي موت... موت أبدي لا نهائي... من يستطيع أن يفلت منه.

سؤال: هل يوجد عبد بلا دين أمام السيد الملك؟
لا، ليس ولا واحد. أغلق على الكل تحت الخطية، ليس بار...
وإذ لم يكن له ما يوفي أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له ويوفي الدين... هذا حكم عادل، إن تسبيح السمائيين مبني على أساس أحكام الله الحق والعادلة معا "عادله هي أحكامك يا ملك القديسين" من لا يخافك يارب... ومن لا يسبحك على أحكام عدلك.
فخر العبـد وسـجـد لـه قـائلا: يا سيد تمهـل علـي فأوفيك الجميع، فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين.
علة الغفران الأولى وتـرك الـدين هي حنـان الله. وهـذا ما يجب أن ندركه ونتأمله جيدا... ليس استحقاقا من العبد ولكنها نعمة السيد المتفاضلة ولجة حبه وحنانه.
- الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة ونحن أموات بالخطايا أحيانا في المسيح.
- مغفورة لك خطاياك.... اذهبي بسلام.
- أمـا دانـك أحـد... ولا أنـا أدينـك اذهبـي ولا تعـودي تخطئي.
- محا الصك الذي كان علينـا الـذي كـان ضـدا لنـا... مسمرا إياه بالصليب.
- نحن كنا مديونين للعدل الإلهي وهو وفي الدين عنا (صلاة القسمة).
- مثل بعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا.
- خطاياكم لا أعود أذكرها، أطرحها في بحر النسيان.
- من هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات، بل بالحري قام أيضا... الذي أيضا

يشفع فينا.
إن الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسبا لهم خطاياهم.
إن مح-ور الإيمان المسيحي مرتكز على هذا الح-ق، عجزنا الكامل والمطل-ق ف-ي تسديد الدين، والتكفير عن خطايانا، ورحمة الله الحانية ولطفه الشديد الذي أظهره في المسيح يسوع نحونا عندما حمل خطايانا على الخشبة ووفي الدين عنا وسامحنا.
لقد حررنا المسيح، وفك قيودنا، وترك لنا ديننا الأبدي إذ وفاه يوم صلبه قاتلاً العداوة ومسامحا عن الخطايا السالفة.
أي شكر وأي عرفان يصير في ذلك العبد وأي فرح هذا الذي حصل فيه... إذ أعتق من الديون صار مدينا بحياته لسيده " أنتم الذين كنتم عبيدا للخطية والإثم، إذ أعتقتم صرتم عبيدا للبر "، عبيدا للذي اشترانا بدمه...
فلما خرج العبد وجد واحدا من العبيد رفقائه مديونا له بمئة دينار فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً: أوفني ما لي عليك.
لا وجه للمقارنة على الإطلاق بين ما كان العبد مديونا به (عش-رة آلاف وزن-ة، أي ملاي-ي-ن ال-دينارات) وبين ما كان مداينا العبد رفيقه (١٠٠ دينار).
وهذا واق-ع ي-ج-ب أن ندرك-ه، أن م-ا ك-ن-ا م-ديونين به الله لا يقارن بحال من الأحوال بديون إخوتنا نحونا...!
فديوننا نحو بعضنا لا تتعدى ١٠٠ دينار، أي أنه أمر ميسر مقدور عليه يكاد يكون تافها وبلا قيمة إذا قورن بالدين العظيم الذي تركه السيد.
فالنظر لحظة واحدة في مراحم الله وغفرانه لنا كفيل بأن يردنا إلى جادة الصواب.
المطلوب إذن أن لا نقيم خطايا الإخ-وة تقييم-ا م-ج-ردا، فلابد أن ننظر خلال مراحم الله التي شملتنا وعطفه الإلهي نحونا.
إن كان الله قد ترك لنا الكثير اللانهائي أفعظيم أن يطلب منا أن نترك القليل؟
هل إذا غفرنا فعلاً سبعين مرة سبع مرات ووصلنا إلى هذا الحد الذي يبدو أنه غير معقول، هل يقارن هذا الغفران بغفران الصليب ودم الصليب، ألا يحسب كأنه لا شيء فعلاً.
ولكن أن ينسى الإنسان معروف الله وحبه الحاني وغفرانه فإنه يصير في نظ-ر نفس-ه إن-ه ص-احب ح-ق يتمسك به ويتشبث به بإصرار ويطالب به بعنف ويسلك في ذلك مسلك هذا العبد القاسي القلب.
أليست هذه الصورة هي التي نقابلها كل يوم من القساوة وعدم الص-ف-ح بين الإخ-وة وتضخيم الإساءات وم-رارة م-ر العداوة، لقد صارت محاكم الدنيا تضيق بتلال القضايا ليس بين المؤمنين فحسب بل حتى بين الأشقاء منهم.
ك-ل م-نهم يتمس-ك بعن-ق أخي-ه لا يسمع لاستعطاف ولا يرضى بواسطة، لقد ملكت القساوة على قلوب كثيرة... بل وتمكنت حتى صارت وكأنها القانون السائد في المعاملات بين الإخوة.
ونسينا تماما أو تناسينا، ما صنعه المسيح معنا وكيف أسلم ذاته فداء عنا، نسينا

كيف عاملنا برحمته وشملنا بحبه وردنا إلى حرية مجد أولاد الله.
واعتذرنا كثيرا عن طاعة الوصية وعللنا أنفسنا بعلل في الخطايا... يقول البعض إننا بشر، أنا إنسان من أين لي أن أغفر وأسامح؟ المسيح صفح وغفر حتى للصالبين، لأنه إله وهو القادر على كل شيء. أما أنا فبشر ضعيف لا طاقة لي بغفران لهذا المقدار. وهكذا يعلل الإنسان نفسه بعلل في الخطايا.
هي سلسلة من الخطايا ملكت على ذلك العبد حتى وصلت به إلى قساوة القلب، إذ لا يمكن أن يتقسى القلب في لحظة... إنه إهمال إصلاح الداخل والتغاضي عن الاعتراف وعزل الخطايا والأفكار البطالة حتى تراكمت فاستبدلت قلب اللحم بحجر القساوة و الجحود.
لا يولد الإنسان قاسي القلب ولكنه يتحول إلى القساوة شيئا فشيئا...

موقف الرفقاء:
" فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جدا وأتوا وقصوا على سيدهم ما جرى ".
توبة الخطاة تفرح السماء والسمائيين، فالسماء تفرح بخاطئ واحد يتوب، ويكون فرح بين ملائكة الله في السماء بخاطئ واحد يتوب... بل إن توبة الخاطئ تفرح قلب الآب نفسه، وفي قصة الابن الضال قيل أنهم ابتدأوا يفرحون، بل إن صوت الطرب وآلات الفرح سمعها الابن الأكبر من خارج أي من على بعد.
هذا معناه أن النفوس التي تنحاز إلى الله بالتوبة تمجد مشيئته وتمدح مجده وتكمل مسرته... هذا معنى إيجابي بحت... ومعناه أيضا من الناحية السلبية، انهزام الشر أمام الفضيلة وفشل مشورة الشيطان وسقوط الغواية وانكسار الفخاخ إلى آخر هذه المعاني السلبية التي يبتدعها العدو الشرير. فإن أخذ أحد في هوة الهلاك وسقطت نفسه صريعة الخديعة وعمل الشيطان، فماذا يكون موقف العبيد الرفقاء سوى الحزن والأسف إن جاز هذا التعبير وإن وجد حزن في صفوف السمائيين...!!
إنهم في الأماكن العلوية ناظرين إلينا يترقبون خلاصنا ويسندون جهادنا... يودون أن نكمل بخوف خلاصنا. قال الرب لمنتظري اليوم وهم تحت المذبح... إلى أن يكمل العبيد رفقاؤكم... فهم لا يكملون بدوننا إذ أننا جميعا سننتهي إلى وحدانية الروح والإيمان في الجسد الواحد.
هكذا صار... لما رأى العبيد ما كان من قساوة وعدم رحمة وعدم غفران، لما رأوا حزنوا جدا...
إن ما يحدث سواء من توبة أو جحود يراه القديسون إذ هم سحابة شهود مقدار هذه محيطة بنا فعلاً.
ألم يقل الرسول أننا صرنا منظرا للملائكة والناس؟!!
ألا يصير هذا مشجعا لنا أن توبتنا مؤازرة بأرواح القديسين وهم يرفعونها إلى الآب السماوي ويحدثون بها في حضرة القدير إذ أن سيرتنا نحن هي في السماوات... حتى أن تكليلنا في يوم المسيح سيكون أمامهم إذ يفتخر المسيح

ويعترف بمحبيه أمام الملائكة والقديسين!!
وألا يصير هذا أيضا مخيفا أن مـا نفعلـه مـن شـر أو جحود وحقد وعدم محبة أو دينونة وعدم رحمة أو قساوة قلب وعـدم لطـف أو عـدم حـب للإخـوة وعـدم غفــران... كل هذا معلن أمام الملائكة والقديسين، فلنخف ونعمل حسابا لحضورهم معنـا ورؤيتهم لأعمالنـا فلنراجـع أنفسنا... مـاذا يقولون عنا؟ أو ماذا ينقلـون لـلآب السماوي لأن الـرب قـال أنهم قصوا على سيدهم ما جرى...
وإن كان الإنسان يخشى أن يراه الناس وهو مفضوح أو ساقط أو مخزي، ويخشى ويعمل ألف حساب لكلام الناس ونظرات الناس، فكم بالحري القديسين والملائكة...
ليكن هذا دافعا للرجوع عن الشر وعدم تكميل الخطايا إلى النهاية.

دعاه سيده:
لما سمع السيد ما صنع العبد القاسي بأخيه... دعاه... قال معلمنا بولس الرسول: لا بد لنا جميعا أن نظهر أمام كرسي المسيح ليعطي كل واحد منا حسابا عما قدمه بالجسد خيرا كان أم شرا.
فمثول العبد أمام سيده أمر حتمي لا مفر منه... آه لو تفكر العبد في هذا الأمر!
آه لو يتفكر كل واحد فينا في ذات الفكر!... لتغير الحال وانصلحت الأحوال.
أي موقف مخزي صار إليه العبد، لا يستطيع أن ينظر إلى وجـه السيد الغفور بعينيه القاسية، ولا أن يتكلم أمـام الرحـوم بلسان القسوة، ولا أن يحتج إذ لـيـس لـه عـذر في خطيئته... استد الفم وهو واقع تحت الحكم، ستقف الرحمة تفتخر يوم الحكم... هكذا قال ربنا... كونوا رحماء... كونوا لطفاء بعضكم لبعض... لا تقضوا علـى أحـد فـلا يقضى عليكم... اغفروا يغفر لكم... أعطـوا تعطوا... لأنه بالكيل الذي به تكيلون به يكال لكم.
سترفع الرحمة رأسها أما القدير مصدر الرحمة... يفرح القلب الغفور في يوم الدينونة إذ لا تقع عليه دينونة البتة، لأنه حاشا أن يسقط حرف من الكلمة القائلة لا تدينوا لكي لا تُدانوا.

قضاء السيد:
" أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إلي....."
سمع العبـد البطـال كلمـات الدينونة، كـم وقعت قاسية كالصاعقة على نفسه المسكينة، لا رحمة في الدينونة لمن لم يستعمل الرحمة.
قد تكون كلمات الوصايا صعبة، وتنفيذها يتطلب جهدا وعرقا ومجاهدة النفس وإنكار الذات، وقد يستصعب الإنسان التسامح ويستكبر التنازل، ولكن سيكون أصعب بما لا يقاس سماع كلمات الدينونة وصوت القدير يطالب بالحق الإلهي!!
سيضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم بينما سراج الأشرار ينطفئ إذ يسكنون الظلمة التي عاشوا بمقتضاها في العالم.
أفما كان ينبغي أنك أنت أيضا ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا. وغضب سيده وسلمه إلى المعذبين حتى يوفي كل ما كان عليه.

دينونة الله عادلة لا تـأتـي مـن فـراغ بل إن الأمـر زرع وحصـاد فمـا يزرعـه الإنسان إياه يحصد أيضـا، مـن يـزرع بالبركات فبالبركات أيضا يحصد، ومن يزرع بالشح فبالشح أيضا يحصد.

غضب السيد وسلمه للمعذبين:
من يستطيع أن يقف يوم الغضب واستعلان الدينونة...
يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا من وجه الجالس على العرش... لكن تُرى كيف تغير السيد، أل ـم يك ـن هـو الرحـوم تـارك الديون وغافر الذنوب، أل ـم يك ـن هـو اللطيف والطيب المتحنن، ما باله قد صار غاضبا يسلم إلى المعذبين ويأمر بالقسوة والعقاب؟
حاشا لم يتغير السيد... هو هو أمس واليوم وإلى الأبد... الذي تغير هو موقف الإنسان ومركز الإنسان، فالذي لا يبقى في النور تدركه الظلمة والذي يرفض عمل الرحمـة تدركـه القسوة.
إن السيد الرب سيكون في الدينونة حنونا بالأبرار يناديهم بـأرق الكلمـات: " ادخلـوا إلـى فـرح سـيدكم بينمـا يسمع الخطـاة كلمـات الدينونـة فـي ذات الوقت، العيـب يكمن إذن فينا. إذن فاللطف يستحقه من يثبت في اللطف كما يقول معلمنا بولس الرسول: هوذا لطف الله و وصرامته...

حتى يوفي كل ما كان عليه!
ألم يكن قد سامحه السيد؟ ولكنه لم يوجد أمينا ومستحقا.
وأثبت بسلوكه نحو العبد رفيقـه أنـه ليس أهلا للغفران فعاد مديونا بكل ديون خطاياه السالفة.
وفي يوم الدينونة من أين له أن يوفي الدين بعد أن أغلق الباب؟ سيظل إلى أبد الآبدين حبيس السجن الأبدي حيث نارهم لا تطفئ ودودهم لا يموت.
فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته.
خـتـم الـرب حديثه المحيـي فـي هـذا المثل بهذه الآية العميقة والخطيـرة " هكـذا بـذات المقيـاس ونفـس القـانون ستكون دينونة اليوم الآخر "، سيكابد هذا المصير التعس كل من سلك ذات السلوك غير الرحيم الذي سلكه العبد الشرير مع أخيه.
الأمر إذن خطير لا لبس أو تشبيهات ولا تأويل لكلمات، بل حق إلهي لا يحتمل الصدق والكذب. ليس فيه نعم ولا، بل فيه النعم وفيه الأمين.
ولكن الرب هنـا ينبه ذهننا الروحي إلى الغفران القلبـي الكامل فالموضوع ليس مظهر خارجي أو صلح أو غفران أو مصالحة باليد وابتسامة مرسومة على الوجه بينما القلب في الداخل حاقد وجاحد ومملوء مرارة وعداوة، هذا وإن انطلي على الناس فإنه ليس هكذا أمام الله.
الله يريد غفران وترك من القلب، من الداخل قبل الخارج، من القلب قبل اللسان حتى يتمتع الإنسان بالغفران والسماح من الله.
الذين لا يتركون من قلوبهم يدخلون في زمرة الخيانة مثل يهوذا الذي كان يقبل

سيده وقلبه ضامر الشر وقد باع وقبض الثمن.
يا ليتنا نهرب بكل قوة من الرياء الممقوت لا سيما في الترك والغفران. ألم تجعل الكنيسة قبلة المصالحة بين الإخوة هي الشرط الأول للتقرب للأسرار الإلهية!!

مثل عرس اب‌ـن الم‌ـل‌ـك (مت ٢٢: ١ - ١٤، لو ١٤: ١٦ ـ ٢٤)

" وجع‌ـل يس‌ـوع يكلمهم أيض‌ـا بأمث‌ـال ق‌ـائلا: يشبه ملك‌ـوت السموات إنسانا ملك‌ـا ص‌ـنع عرسا لابنه، وأرسل عبي‌ـدة لي‌ـدعوا المدعوين إلى العرس، فل‌ـم ي‌ـري‌ـدوا أن يأتوا. فأرس‌ـل أيض‌ـا عبي‌ـدا آخ‌ـري‌ـن ق‌ـائلا: قولوا للمدعوين: ه‌ـوذا غ‌ـدائي أعددته. ثيران‌ـي ومسمناتي ق‌ـد ذبح‌ـت، وك‌ـل ش‌ـيء مع‌ـد. تعالوا إلى العرس! ولكنهم تهاونوا ومض‌ـوا، واح‌ـد إلى حقل‌ـه، وآخ‌ـر إلى تجارته، والباقون أمسكوا عبي‌ـده وش‌ـتموهم وقتلوهم، فلما سمع الملك غضب، وأرس‌ـل ج‌ـن‌ـوده وأهل‌ـك أولئك القاتلين وأح‌ـرق م‌ـدينتهم. ث‌ـم ق‌ـال لعبي‌ـده: أم‌ـا الع‌ـرس فمستعد، وأم‌ـا المدعوون فلم يكونوا مستحقين. فاذهبوا إلى مف‌ـارق الطرق، وك‌ـل م‌ـن وج‌ـدتموه فادعوه إلى العرس. فخرج أولئك العبيد إلى الطرق، وجمع‌ـوا ك‌ـل ال‌ـذي‌ـن وج‌ـدوهم أش‌ـرارا وص‌ـالحين. فامتلأ العرس من المتكئين، فلما دخل الملك لينظر المتكئين، رأي هن‌ـاك إنس‌ـانا لم يك‌ـن لاب‌ـس‌ـا لب‌ـاس العرس فق‌ـال ل‌ـه يا صاحب، كيف دخلت إلى هنا وليس علي‌ـك لب‌ـاس الع‌ـرس؟ فسكت. حينئذ قال الملك للخ‌ـدام: اربطوا رجلي‌ـه ويدي‌ـه وخذوه واطرحوه في الظلم‌ـة الخارجي‌ـة، هن‌ـاك ي‌ـك‌ـون الب‌ـك‌ـاء وصرير الأسنان، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون " (مت ٢٢: ١ ـ ١٤، لو ١٤: ١٦ ـ ٢٤).

من الحقائق المسيحية المشبعة للنفس التي كشفها الرب يسوع بالكلمة أن ملكوته السماوي مثل عرس أبدي وفرح لا ينقطع، ونحن مدعوون لا أن نعي الحقيقة الروحية بالذهن فقط، بل أن نحيا بمقتضاها ونبني حياتنا على أساسها.

فنف‌ـوس الم‌ـؤمنين المف‌ـديين ب‌ـدم المسيح والمغسولين بالمعمودية مدعوة للدخول إلى الفرح الأبدي، وهي دعوة ليس لعنصر الاستحقاق مكان فيه‌ـا ولكن النعم‌ـة ه‌ـي ص‌ـاحبة الفضل الأول، وما على النفس س‌ـوى قب‌ـول النعمة والحي‌ـاة بمقتضاها. والتمتع والشركة هما حالة النفس التي تصير فيها. ومن العج‌ـب أن نفوس كثيرة تكتفي بإدراك الحقائق الإيمانية بحسب الذهن البشري وتعتبر أن حفظها بالعقل هو بلوغ غاية الحقائق الإيمانية، ولكن ليس الأمر كذلك، فمعرفة الحقائق الإيمانية لا يضمن للنفس الدخول إلى الملكوت، فالشاب الغني حفظ الوصايا منذ حداثت‌ـه ولكن‌ـه ل‌ـم يحي‌ـا بمقتضاها وعندما دخل امتحان محبة الله من كل القلب ومن كل الفكر ومن كل الحواس... سقط لحاله ومضى حزينا لأنه كان ذا أم‌ـوال كثيرة سيطرت على مراكز الح‌ـب ف‌ـي قلب‌ـه واستحوذت على عاطفته الداخلية وحالت بينه وبين محبة الله إذ لم يستطع أن يخدم سيدين، فلازم الواحد واحتقر الآخر كقول الرب، وكان أن وقف خارجا، وقف خارج الملكوت.

الأمر إذن ليس كل من يقول: " يارب يارب " ولا كل من وعي بعقل‌ـه ك‌ـل حقائق الإيمان ول‌ـو ص‌ـار معلما وملقنا لها يستحق الدخول، ولك‌ـن ك‌ـل م‌ـن ص‌ـارت

لـه شـركة التمتع والحياة وكل من أنضج ثمر الإيمان وبالأعمال برهن الإيمان إذ أن الإيمان بدون أعمال ميت في ذاته.

المدعوون الرسميون:
أول مـا يلفت الذهن في هذا المثل هذه العينـات مـن المدعوين وكيف أنهم جميعا صاروا يعتذرون عن الحضور كل بحسب العذر الذي رأى أن يقدمه.
فجميعهم برأي واحد وفكر واحد استعفوا وجميعهم فضلوا ما يخصـهم مـن باطـل الأعمال ومـن زوال العالم ومتعه وشهوته على أن يدخلوا إلى الفرح. والواقع أنهم حسبوا أنفسهم أنهم يعيشون في فرح فمـا حاجتهم إلى عرس ابن الملك؟ حسب الذي تزوج بامرأة، أن يفرح، هذا الفرح صار كافيا له واستغنى به عن الفرح الآخر وذاك الذي حسب أنه اشترى خمسة أزواج البقر وهو ماض ليمتحنها عاقه هذا العمل عن المشاركة في العرس، إذ لا يستطيع أن يوفي مطاليب الاثنين معا. والآخر الذي ربط قلبه بقطعة من الأرض برباط الملكية القاتل، صار فرحا بما ظنه امتلاك واقتناء فاكتفى بالنصيب الترابي يفرح بالنظر إليـه وصـار غير قادر على متابعـة الحركة نحو السمائيات والفرح الأبدي.

ولكنهم تهاونوا:
القديس متى يضيف عنصرا آخر يكشف به دواخل الذين حرموا أنفسهم من الانضمام إلى فرح العرس الأبدي... ويقول أنهم تهاونوا، استهانوا بالدعوة.
لقد شبه ربنا ملكوته كمن وجد كنزا مخفيا في حقل، فمن الفرح مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل، أو كمن يتاجر في اللآلئ الثمينة متى وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ماله واشتراها، فالملكوت إذن هو اكتشاف خطير، يتبعه تفريط تلقائي في كل ما كان يحسبه الإنسان ربحا، أو نجاحا أو امتلاكا أو تجارة أو ارتباطا أو فرحا إلى آخر هذه الأمـور. وإلا يظـل الإنسان متمسكا بمـا عنـده ويصير مستحيلاً عليه أن يفرط في شيء ولو كان تافها أو حقيرا.

والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم:
هذا موقف آخر من مواقف الرافضين لدعوة الملكوت، هؤلاء الذين قابلوا الإحسان الإلهي والمحبة الحانيـة لـيس بالرفض فقط بل بالجحود والنكران، وعبيد الله الحي، خدامه الكارزين بإنجيل الخلاص كم لاقوا من إهانات، وكم عانوا ويعـانـون مـن اضطهادات؟ وقـد شـهد إستفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء أمام مجمع اليهود قائلاً: " أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم؟ وقـد قتلـوا الـذين سبقوا فانبـأوا بمجيء البار " (أع ٧: ٥٢)
هذا المسلك ينطبق أيضا على المجـدفين، والنـاكرين للإيمان والمحتقرين الكلمة والذين يشككون في صدق مواعيد الله، الذين ازدروا بخدامه وأهانوا عبيده حرموا من الدخول إلى الوليمة السمائية ونالوا عقابا أبديا، وكذا الذين لم يخضعوا ليطيعوا الكلمة ويقبلوها كدعوة سمائية، وكذلك أيضا الذين تهاونوا بها.
هذا ما عبر به الرب قائلاً: " فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك أولئك

القاتلين وأحرق مدينتهم ".

دعوة:
قال الرب: أن كثيرين يدعون وقليلون ينتخبون... فالدعوة وجهها الرب للجميع... قائلاً: " ما جئت لأدعو أبرارا بل خطاة إلـى التوبـة"، فـإن كــان قـد وجـه دعوتـه للخطـاة فماذا يكون بعد... وليس مثل الرب إلهنـا الكـريم في سخائه حتـى أنـه يقـول:" تعالوا إلـي يـا جميـع المتعبين والثقيلـي الأحمـال وانـا أريحكـم... مـن يقبـل إلـي لا أخرجـه خارجا ".
على إننا لا بد أن ننتبه إلى شرف الدعوة التي دعينا إليها، فالذي دعانا إلى مجيئه الأبدي وعرسه السماوي هو الآب نفسه. فكيف نتهاون أو نتكاسل؟ أو كيف نعتذر أو نتخلف؟ أي شـرف يكـون للإنسان إذا دعـاه ملك أرضي أو رئيس لكي يجلس إلى مائدته ويتعشى معه؟ وماذا يقال عن إنسان يكرمه الملك ويشرفه بدعوته، وهو يتهاون ولا يقيم للدعوة اعتبارا، بل يتهاون ولا يذهب؟

وصف مبهر للعرس:
سفر الرؤيا يقدم لنـا وصـفا مبهـرا للعرس الأبـدي فـي الإصحاح التاسع عشر، " وخرج من العرش صوت قائلا: سبحوا لإلهنا يا جميع عبيده، الخائفيه، الصغار والكبار! وسمعت كصوت جمع كثير، وكصـوت ميـاه كثيرة، وكصوت رعـود شـديدة قائلة: هللويا! فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء، لنفرح ونتهلل ونعطه المجد! لأن عرس الخروف قد جاء، وامرأته هيأت نفسها. وأعطيـت أن تلـبـس بـزا نقيـا بهيا، لأن البـر هـو تـبررات القديسين، وقال لي: اكتب: طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف! وقال: هذه هي أقوال الله الصادقة " (رؤ ١٩: ٥ - ٩)
فعرس ابن الملك، هو عرس الابن الوحيد الجنس، ابن الآب بالحق والمحبة، هو عرس الخروف القائم كأنه مذبوح، وعروسه هي الكنيسة التي اقتناها بدمه، ذبح واشتراها من كل لسان وشعب، وقد أعطيت أن تلـيس بـزا نقيا، الذي هو تبررات القديسين الذين بررهم بدمه الذكي... والعرس عرس أبدي، لا ينتهي فيه الفرح لأنه فرح المسيح الخاص الذي لا يشوبه حزن ولا كدر، حقا طوبي للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف، يطعمهم المـن المخفي ويسقيهم مـن ينبوع المـاء الحي ويقتادهم ويشرق عليهم إلى أبد الآبدين، لك أن تتأمل ذاتك أيها الحبيـب مـدعوا ومتكئا فـي الوليمـة السـمائية في الثياب البيض، في المجد الأبدي، هل يقارن بهذه الكرامة فرح في العالم مهما بلغ؟

أما العرس فمستعد:
مـن جهـة الله فهو مستعد دائما، ملكوتـه الـذي ادخـره لمختاريه، قد أعده قبل إنشاء العالم، ذبيحته الإلهية التي فيها الكفاية، لتقديس المدعوين وشبع النفوس الجائعة، قد أكملها ربنا يسوع المسيح بكل مطاليبها بلا نقصـان، إلى أن قال على الصليب " قد أكمل ". كل شيء معد، والملكوت مستعد، أمـا الـعيـب فـكـان

ف ـي الم ـدعوين، الذين تهاونوا واستهانوا وأساءوا إلى العبيد الذين وجهوا لهم دعوة سيدهم، فهل يبقى العرس بلا مدعوين؟
إن رفض أن ـاس ذبيح ـة المس ـيح، وحب ـه ال ـح ـاني وعطي ـة جسده المقدس ودمه الكريم، فهل يصير الصليب بلا ثمر؟ حاشا.
"جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله"، فماذا كان، أعلن الرب حبه للأمم، ودعا التي ليست محبوبة محبوبة، " وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطان أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه ".
كان رفض المدعوين الرسميين مصالحة للعالم، وقبولاً للأمم، ودخولا للمساكين إلى العرس الإلهي.

رحمة الله المتناهية:
ظهرت نعمة الله مخلصنا لجميع الناس، حينم ـا أرس ـل رسله الأطهار، عبيده وخ ـدام كلمته، إلى شوارع المدينة، أزقتها، ليدخلوا بكل من يجدونه إلى الفردوس أبرارا وخط ـاة على السواء، وهكذا ما قاله المسيح في هذا المثل بالفعل حين قام من الأموات ونفخ في وجه تلاميذه القديسين قائلا لهم: "امضوا وتلمذوا جميع الأمم، وعلموهم جميع ما أوصيتكم به وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس "، وأعلمهم أنه ـم يكونوا له شهودا في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض، فخرج الرسل وجالوا مبشرين بالكلمة، وكم ـل ك ـلام المرنم: " الذين لم يسمع لهم صوت إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم ".
كرزوا بالخبر السار ونادوا ببشارة الإنجيل كدعوة للعرس الأبدي، وأدخلوا كل من وجدوه إلى شركة الفرح، إلى حظيرة الخ ـراف، إلى الكنيسة، وقدموا الوليم ـة الس ـمائية، ذبيح ـة المس ـيح، س ـر الف ـرح والش ـبع، لك ـل ال ـداخلين، ال ـذين لم يكونوا أصلاً مدعوين أو مستحقين، الذين لم يكونوا شعبا، أما الآن فشعب مختار كهنوت مل ـوكي شعب اقتناء لكي يخبروا بفضائل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب.
كمل كلام الحكيم سليمان، " الحكم ـة بن ـت بيته ـا بأعمدة أس ـرار ال ـروح السبعة، ذبح ـت ذبائحه ـا مزجت خمره ـا ف ـي البواطي المقدسة ".
طوبي للمدعوين الجدد، الذين ما أن سمعوا بالخبر السار حتى قبلوه بفرح، وما أن دعاهم بصوته الحنون حتى تركوا كل شيء وتبعوه، فأدخلهم إلى كنيسته مسكن الفرح يغذيهم ويطعمهم خبز الحياة وكأس الخلاص.

اشتروا... ولكن مجانا!!
العرس عرس ملوكي له قواعده وله ترتيبه السماوي ول ـه أص ـول الدخول والخروج، وأص ـول البقاء ف ـي بي ـت الم ـل ـك والتقرب إلي ـه، ليس لأن ك ـل ش ـيء مجانا وب ـلا ثم ـن م ـن ج ـة الم ـدعوون فيص ـير رخيص ـا أو مبتذلاً؟ حاش ـا، ب ـل على العكس تماما، لأن كل ما للإنسان يعتبر كلا شيء وب ـلا قيم ـة ولا يؤه ـل الإنس ـان ل ـدخول الوليم ـة الس ـمائية، لذلك لا يطل ـب م ـن الإنس ـان فض ـة أو ذه ـب م ـن س ـيرته الباطل ـة ليكون مستحقا للدخول، وهذا معناه أن

الإنسان بذاتـه عـاجز تمامـا عـن بـلـوغ الـدخول إلـى المـلك ـوت ولكنهـا أولا وأخيرا نعمـة مجاني ـة، ومـرة أخـرى بـلا فـضـة أو ذهـب ولكن لا بد أن يشتري الإنسان مجانا، بمعنى أن يظهـر بـالإرادة المطلقـة خلـوص نيتـه فـي الاحتياج، جوعـا وعطشـا إلـى البـر، وفقـرا نـحـو غنى المسيح البـار الـذي يبـرر كثيرين، وشـوق ولهفـة نـحـو العطيـة رغـم أنهـا مجاني ـة ولـكـن ثمنهـا دم المسيح معروفـا سـابقا قبـل تأسيس العالم.
هـذا مـا يمكـن أن نفهمـه مـن نبـوات إشعياء النبـي " أيهـا العطـاش جميعـا هلموا إلى المياه، والـذي لـيـس لـه فضـة تعـالوا اشتروا وكلوا. هلموا اشتروا بـلا فـضـة وبـلا ثمـن خمرا ولبنا " (إش ٥٥: ١)

لباس العرس:
على هذا القياس نفهم كيف يدخل إنسان شارع المدينة والأزقـة إلـى حـفـل الملك العظيم، إنه يتغيـر عـن شـكله تماما، حال دخوله من الباب الذي هو المسيح، المسيح هـو بـاب الخراف والذي يدخل يدخل به، ولباس العـرس هو ثياب البر الذي للمسيح، ثياب بيضها بدمه، اشتراها بصليبه، ما أبهظه ثمن وما أغلاها ثياب، هي معموديتنا، أغلـى مالنـا فـي المسيح، كلهـا نقـاء، كلهـا قداسـة نأخذها عنـد بـاب الكنيسة، هي المدخل إلى العـرس ندخل إلى جـرن المعمودي ـة، بطـن الكنيسـة الـذي لا يشيخ فنولـد من الماء والروح، ونلبس المسيح، " أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قـد لبسـتم المسيح "، وهـذا يسبقه، خلـع القـديم، مـوت القـديم، خلعتم الإنسان العتيـق الفاسـد الـذي يفسـد كشهوات الضلالة، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.

ليس عليه ثياب العرس:
عندما دخل الملك لينظر المدعوين، يشرق عليهم ويحل فوقهم، رأى إنسـانـا لـيس عليـه ثيـاب العـرس، بكل تأكيـد لا يستطيع أن يختفي، إنه مثل النشاز في وسط لحن جميل، أو كبقعة داكنة السواد في وسط ثوب ناصع البياض يبدو هكذا منظره كئيبا في وسط الفرح، غريبا عن القطيع، كمثل الماعز في وسط الخراف.
بادره الملك بالسؤال، كيف دخلت إلى هنا، وليس عليك ثياب العرس؟ وهذا معناه أنه لم يخلع جسم البشرية بالموت لم يختبر الصليب، ولا لبس حلة الخلاص وثياب البر فصار في خزي العراة.
*كيف تثبت الطبيعة الفاسدة في عدم الفساد؟
* وكيف تعيش البشرية الساقطة في القيامة؟ *
*أو كيف يرث المائت عدم الموت؟
هذا شيء يفوق الخيال.
الذين في السماء لهم ثياب بيض، غسلوها وبيضوا مرارا وتكرارا في دم المسيح، الينبوع الدائم للخلاص، وهذا الإنسان ليس له الثياب أصلاً؟ كيف يستقيم هذا، الأبرار حرصوا على نظافة الثياب لكي لا تتسخ، أما هذا فعريان من ثياب النعمة

تماما. القديسون بكوا دموع التوبة العمر كله، فصارت لهم دموعهم معمودية دائمة للغسيل وتطهير القلب والضمير. وحزنوا لأقل دنس وقع على ثيابهم و لو شبه شر عكر صفو طهارتهم الناصعة، فبقت ثيابهم كأنها مغسولة توا في الدم والماء بشهادة الروح وصدق الضمير.
أما هذا فلم يحصل حتى على الثوب، فلم ينعم بستر العلي ولا ظل القدير، أنه كمثل سارق لم يطلع من الباب، لم يجتز المعمودية ولم ينل الصبغة المقدسة.

فسكت:
قال له يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك ثياب العرس؟ فسكت... إنها دينونة رهيبة انعقد اللسان من الرهبة ومن هول الموقف لم يستطع الكلام، لقد انتهى الكلام جملة.
كمن يقول للجبال اسقطي علينا وللأكام غطينا.
سكوت الخوف، سكوت العري.
سكوت الخزي الذي لا ينتهي.
سكوت المحكوم عليه بالموت.
بم‌اذا يج‌اوب؟ أم‌ام الن‌ور الذي لا يدنى من‌ه، والح‌ق المطلق، هكذا تكون الدينونة للخطاة، وهكذا يكون موقف الخطاة، حين يسد كل فم ولا يستطع الكلام.

مجازاة عادلة:
صار أمر الملك لعبيده، أن يطرحوه خارجا، حيث البكاء وصرير الأسنان، إذ لا يمكن أن يبقى في المجد أو يدوم في الملكوت، ولأنه لا يدخله شيء نجس أو دنس ولا كل من يصنع كذبا، يا للنصيب التعس الذي صار لهذا المقتحم، ظن أن يحيا بذات‌ه ويسلك ب‌ه‌واه، ول‌م يقب‌ل أن يخض‌ع نفس‌ه ويضعها ويطيع وصايا الذي دعاه، بل صار مثل يهوذا، كان يدخل لينظ‌ر وقلب‌ه ض‌م‌ر ل‌ه ش‌را، م‌ا اتح‌د بالمسيح ولا عاش ل‌ه، بحسب المظهر الخارجي ك‌ان م‌حس‌وبا أن‌ه مدعو وأنه داخل العرس، ولكن بحسب الجوهر لم يلبس ثياب العرس ولا استحق أن يلبسه فينعم به، لذلك طرح خارجا، كان يهوذا محس‌وبا م‌ع الأح‌د عش‌ر ول‌ك‌ن ص‌ارت داره خراب‌ا ووظيفته أخذها آخر، أما هو فانشق في الوسط وانسكبت أحشاؤه.
* قال الملك للخدام اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. الموض‌وع إذن ليس مجرد حرم‌ان م‌ن الع‌رس الأب‌دي والفرح السماوي فحسب، بل قيود أبدية في الظلمة الخارجية، وبكاء لا ينتهي وصرير الأسنان، لا بد للإنسان أن يتفكر فيها جيدا.
فإن كنا قد دعينا إلى ملكوت المسيح، وبلغت إلينا دعوته، فنسلك كما يحق للدعوة التي دعينا إليها بكل تواضع القلب.
وإن كنا قد قد أئتمنا على ثوب العرس فلبسناه في المعمودية، فلنحرص علي‌ه أشد الحرص أن يبقى نقيا طاهرا ولنغسل ثيابنا ونبيضها في دم الحمل باعترافنا الدائم ودم‌وع توبتنا، وإن كان موضوع العرس هو مكاننا الطبيعي وفرحنا الدائم،

فلا تميل نفوسنا إلى ولائم أخرى يجهزها العالم ويخبئ فيها الشيطان سم الموت.

مـثـل الـوزنـات (مت ٢٥: ١٤ - ٣٠)

" وكأنمـا إنسـان مسافر دعـا عبيـده وسـلمهم أمواله، فـأعطى واحـدا خـمـس وزنـات، وآخـر وزنتين، وآخـر وزنـة. كـل واحــدةعلـى قـدر طاقتـه، وسافر للوقت، فمضى الذي أخـذ الخمس وزنات وتاجر بها، فربح خمس وزنات أخر، وهكذا الذي أخذ الوزنتين، ربـح أيضـا وزنتين أخريين، وأمـا الـذي أخـذ الوزنـة فمضى وحفر في الأرض وأخفى فضة سيده، وبعـد زمـان طـويـل أتى سيد أولئك العبيـد وحاسبهم. فجـاء الـذي أخـذ الخمس وزنات وقـدم خمس وزنـات أخـر قـائلا: يا سيد، خمس وزنات سلمتني، هـوذا خمـس وزنـات أخـر ربحتهـا فـوقهـا. فقـال لـه سيده: نعمـا أيهـا العبد الصالح والأمين! كنت أمينا في القليـل فأقيمك على الكثير. أدخل إلى فـرح سيدك، ثـم جـاء الـذي أخـذ الـوزنتين وقـال: يـا سيد، وزنتين سلمتني، هـوذا وزنتان أخريان ربحتهما فوقهما، قال له سيده: نعمـا أيها العبد الصالح الأمين! كنـت أمينا في القليل فأقيمـك علـى الكثير. أدخـل إلى فـرح سيدك. ثـم جـاء أيضـا الـذي أخـذ الوزنـة الـواحـدة وقال: يا سيد، عرفت أنك إنسان قاس، تحصـد حيث لم تزرع، وتجمـع مـن حيـث لم تبـذر. فخفت ومضيت وأخفيت وزنتـك في الأرض، هوذا الذي لك، فأجـاب سيده وقال له: أيها العبد الشرير والكسلان، عرفـت أنـي أحصـد حيـث لم أزرع، وأجمع من حيث لم أبذر، فكان ينبغي أن تضع فضـتي عند الصيارفة، فعند مجيئي كنت آخـذ الـذي لـي مـع ربا، فخذوا منه الوزنـة وأعطوهـا للـذي لـه العشر وزنات. لأن كل من له يعطى فيزداد، ومـن لـيـس لـه فـالـذي عنـده يؤخذ منه، والعبـد البطـال اطرحوه إلى الظلمـة الخارجية، هنـاك يـكـون البـكـاء وصرير الأسنان " (مت ٢٥: ١٤ - ٣٠).

إنسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله:

قد سبق وشبه الرب نفسه بتشبيهات كثيرة مثل الراعي الصالح والسامري المسافر، والمرأة التي أضاعت فلسا، والأب الذي يطلب ابنه الضال... وهكذا.

هنا يشبه الرب نفسه بإنسان مسافر إلى زمان، يغيب عن أعين عبيده إلى حين ثم يرجع ليحاسب عبيده ويعلم ما عمله كل واحد، فالرابح يمدح ويكون له كرامة والذي يوجد متكاسلاً يستحق عقابا أبديا.

وهو بهذا المثل يقرب الحقيقة الواقعة، أن الرب في زمان غربتنا هذه ليس منظورا بحسب العين الجسدية، ولكن ليس خفيا أنه سيجيء في ظهوره الثاني المخوف والمملوء مجدا. والعبـد الفطـن، وإن غـاب سـيـده عـن عينيـه لكـن

لا يغيب عن ذهنه أن سيده آت في أي وقت، وذلك يدفعه إلى مضاعفة الجهاد، والتوقع يجعله دائم السهر والانتظار، أما العبد الكسلان فغياب السيد عن نظره يجعله في تراخي واستهتار، لا يعبـا سـوى بالساعة التي يعيشها ولا يعمـل حساب لمجيء سيده، وهكذا يقـف دون استعداد موقـف المحاكمة، كمن يؤخذ

في فخ أو كمثل المخاض الذي يباغت الحبلي فلا تنجو.

تنوع الوزنات:
أعطى السيد واحدا من عبيده خمس وزنات، ولآخر أعطى وزنتين ولآخر وزنة واحدة، وأضاف الرب معلقا، كل واحد على قدر طاقته. فالنعمـة سخية في عطائها، كريمـة فـي توزيعها، والسيد الرب أعطى الجميع وبلا استثناء، لكي لا يحتج أحد أنه لم يعط شيء، ووراء عطاياه ومواهبه وإنعاماته توجد حكمة كامنة وفطنة إلهية، فهو فاحص القلوب ومختبر الكلى وعارف بالأشياء قبل كونها، فطاقة كل واحد وقدرته وإمكانياتـه أمـور كلهـا واردة ومعروفة، لذلك فدينونته عادلة وأحكامه كلها حق وعدل.
بقي أن يعرف كل واحد ماذا أعطى من لدن الرب، وكيف يتصرف فيما أوكل إليه أو أؤتمن عليه، كيف يصون الوزنة، ثـم كـيـف ينميهـا فتزداد، هذه هي عين المسئولية ولـب الموضوع!!

تاجر... فريح:
لا ربح يأتي دون تعب التجارة وجهاد العمل... هذه قاعدة لا تخيب، أما الراغبون في الربح فكثيرون وأما محبو الجهاد وعرق العمل فقليلون... وتنمية الفضائل واستثمار النعمة كم أخذ من القديسين وقتا وجهدا وعرقا وسهرا... ومعاناة حتى الدم.
والتجارة تعني روحيا تنمية الوزنات فما استلمه العبد الأول من وزنات تضاعف، فالخمس وزنات صارت عشرة، وكذلك الحال مع العبد الثاني صارت الوزنتان أربع وزنات إذ ربح مثل ما أخذ، أي زيادة مائة بالمئة في الحالتين.
وإن تأملنا في كنه الوزنات المعطاة لنا من الله، فما أكثرها فعلاً، وما أقل ما نتاجر فيها ونربح ونزداد، بل يا للحسرة عندما نفقد في أحيان كثيرة ما كان عندنا من وزنات فلا توجد.

ما هي الوزنات؟
يقول البعض أن أثمن وزنة أعطيت للإنسان المسيحي هي الوقت، سـنين وأيـام العمـر، فـإن استثمرها صـارت مضاعفة مباركة مثمرة، كأيام السماء على الأرض، فالقديس بـــولس الرسـول يوصـي قـائلا: " اسلكوا كحكمـاء لا كجهلاء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة "... فإن ضاع الوقت وفقد، فقد الإنسان كل شيء، لأن اليوم يوم خلاص والوقت وقت مقبول... لقد حول الآباء الأيام والليالي إلى زمن للتوبة، وزمن للحياة مع المسيح ودخلوا بالساعات إلى عشرة الملائكة والسمائين وحولوا الزمن الميت إلى زمن حي يبقى إلى الأبد كرصيد لحياة أبدية.
وقد تكون الوزنات هي المواهب التي أجزلها الرب لنا بكل حكمة وفطنة فهـو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء وآخرون رعاة ومبشرين، لواحد أعطيت مواهب شفاء، وآخر موهبة التعليم، كما قسم الله أيضا لكل واحد نصيبا من الإيمان المدبر فباجتهاد، الراحم فبسرور، واحد استومن على قلـب حكيم

وعقل راجح، وآخـر لـه محبة فياضـة وعواطـف مقدسة ولآخر أحشاء رأفات... إلى آخر هذه العطايا الجزيلة.
فماذا يا ترى كان موقف كل واحد منا، هل وضع الوزنات عن الصيارف؟ هل تزداد النعمـة فيـه إذ تجد قلبا مستعدا فيمتد ملكوت الله داخله؟
أم تتقلص الوزنـة كـل يـوم؟ وبعـدمـا بـدأ بـالروح يكمـل بالجسد. الأمر يحتاج إلى فحص النفس ووقفة جادة بضمير صاح لئلا نهمل أمر خلاصنا ونقف في خزي العبد الذي دفن الوزنة.

مضى وحفر في الأرض:
هذا ما فعله العبد الأخير، مضى وحفر في الأرض وأخفى فضة سيده، ما كلف نفسه أن يتعب، ولا فكر أن يتاجر فيربح، ولا انتظر مجيء سيده، ولا عمل حسابا ليوم الحساب، بل ألقى نفسه إلى الإهمال والتواني وبتفريط استسلم للكسل، وهذه الآفات قادرة أن تجمد الحياة الروحية وتهدم بنيانها.
ظن العبد في نفسه أنه ما خسر شيئا حينما دفن الوزنة كمن يحتفظ بها، وعلل نفسه بالعلل أنه ما أضاع شيئا وجمد العلاقة بينه وبين سيده في هذا الإطار، وكشف عن حقيقة نظرته للسيد المعطي العطايا، كأنه ديان فقط، وكان السيد طالب منفعته الشخصية، وفي قبضة الخوف - خوف العبيد - ظل زمانه كله غير عمال، غير مثمر، هذا الخوف لا يليق بأولاد الله، لقد جاء المسيح لكي يعتق الذين كانوا كل زمانهم تحت العبودية بسبب الخوف، ويحرر ويخلص الإرادة إذ أن فعل الخير دون إرادة حرة لا يعتبر خيرا في ذاته.

دفن الوزنة:
دفن الوزنة في التراب يشير إلى طمر المواهب في الجسد والجسديات، كل موهبة، كل عطية تتحول لخدمة الجسد والـعـالم، يكون الإنسان قد حكم عليهـا ودفنهـا فـي التراب.
فالعقل الراجح إن اشتغل لحساب الجسد وتفنن في الجسديات مـن أكـل وشرب ولبس وشهوات ألا يكـون قـد انحصر في التراب.
والقلـب المملوء بالحـب إن انزلـق إلـى مـوة الحـب الشهواني والنجاسات ألا يكون قد اندفن مع الجسد الترابي في الأعماق السفلي.
والذهن الحكيم، إن تحول إلى المكر والخبث واللـف والــدوران وتأويـل الكـلام والمراوغـة وعـدم الصـراحة، ألا يكون قد أخفى تحت تلال التراب والعدم.
والوقت إن انقضى في الملاهي والمشاغل، والارتباك بهموم العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء، ألا يكون الوقت قد اندفن في تلال التراكمات من الأمور الزائلة الترابية.
والغنى والمال والثروة... إن خدمت أغراض الجسد، والزهو والكبرياء، والمفاخرة الكاذبة لتغطية الحياة بزخارف المجـد الباطـل الـذي يفنـى ألا يكـون الإنسـان قـد دفـن هـذه الوزنـة التـي كـان ممكنـا أن يلقيهـا علـى موائـد الفقراء والمعوزين وذوي الحاجات فتربح له أضعاف أضعاف ويجد الأرضيات قد تحولت

إلى سمائيات بتجارته الرابحة؟
وهكذا كل الوزنات والمواهب والعطايا... إما تستثمر لحساب الروح أو تدفن في تراب الجسد؟
بالنسبة للوالدين... أليس الأولاد وزنـات غاليـة، أل ـم يستلمها الآباء من جرن المعمودية كأمانة، ليتاجروا فيهـا وينموها في خوف الله وحفظ وصاياه.
وماذا عن الأولاد الذين يضيعون في العالم وفي متاهات ومنحدرات خطرة، في خطايا ونجاسات وانحرافات... حتى إلى الموت؟ ماذا يكون جواب الآباء عن هذه الوزنات؟ أنه أمر خطير... خطير حقا.

نعما أيها العبد الصالح:
ترى ماذا يكون وقع هذه الكلمة وهي تخرج من فم الديان وأي فرح لا يعبر عنه سرور دائم يكتنف نفس هذا العبد الذي استحق هذا النصيب الصالح!؟
إنه مدح من الله، أتى في نهاية المطاف في يوم التكليل وكشف المستورات.
يوجد مدح من الناس نسمعه كثيرا معظمه مجاملات وبعضه رياء ومداهنة، وبعضه مدح لما يستحسنه إنسان وهذا قد لا يروق لآخر، ويوجد مدح غاش كاذب منافق... وأنواع كثيرة وهذا كله باطل وقبض الريح لأن ليس من يمدحه الناس هو المزكي بل الذي مدحه من الله.
وهناك مدح الشياطين بغرض الغواية وإدخال الكبرياء إلى النفس ولا سيما الساعين في الطريق الك ـرب ودروب الفضيلة، يمدحهم الشيطان قبل الأوان، إنه مدح مزيف قيل عنه في المزمور " وليرجع بالخزي سريعا القائلون لي نعما نعما " (مز ٦٩). ولكن القديسيون لم يعبأوا به ولا قبلوه، بل على قدر ما مدحهم على قدر ما زادوا احتقارا لذواتهم وضاعفوا جهادهم فغلبوه.
إذن لا تترج ـى أن تس ـم ـع كلم ـة الاستحس ـان هذه "نعم ـا " م ـن ف ـم الن ـاس أي ـا ك ـانوا، ولا تمي ـل أذن ـك لتسمعها م ـن ذات ـك فتم ـدح نفسك وتمج ـد ذات ـك وأعمال ـك، ولا يغويك الشيطان فتسمعها من ـه وتص ـدقه، لأن ـه ك ـذاب وأبو الكذاب.
بل انتظر وترجى أن تسمعها من فم الرب المبارك، لأن مواعيده صادقة وأمينة وعطاياه بلا رجوع وبلا ندامة.

نعنا أيها العبد الصالح والأمين:
وجد العبد نعمة في عيني سيده فناداه " نعما "، وامتدحه بحكمة إلهية مركزة في صفتين بدونهما تفقد الحياة الروحية معناها وتنحرف عن قصد الملكوت...

الصالح والأمين:
الص ـلاح يك ـون ف ـي الأعمال، والأمان ـة ف ـي الإيم ـان.
وم ـن الاثنين يتك ـون نسيج الكم ـال المسيحي كم ـا م ـن السدة واللحم ـة الت ـي لا يمكن تفضيل الواح ـد ع ـن الآخ ـر أو تزكية المثي ـل ع ـن الم ـث ـل، إذ ك ـل منهم ـا يق ـوم ب ـالآخر ويعتمد عليه، الصلاح هو ترجمة الإيمان إلى أعمال صالحة مرضية

أمام الله والناس، وكقول يعقوب الرسول أن الإيمان بدون أعمال ميت في ذاته والقديس يوحنا الرسول أيضا يوجز عبـــارات الهيـة " إن قـــــال أحـــــد: انـــــي أحـب اللـه، وأبغـض أخـاه، فهـو كـاذب، لأن مـن لا يـحـب أخـاه الذي أبصـره، كيـف يقـدر أن يحـب اللـه الـذي لم يبصـره؟ " (١ يو ٤: ٢٠).
إذن إن لم يتحـول الإيمان إلى أعمال صالحة فمـا المنفعة؟ يكون والحال كذلك، كإيمان الشياطين الذين يؤمنون بوجود الله الواحد ويقشعرون ولكنهم لا يحيون بالإيمان وليس لهم صلة على الاطلاق بالله، بل هم على النقيض تماما، إذ هم عادمون كل صلاح.
لقـد تاجر العبـد، ضاعف الوزنـات عمليا، فـي الحيـاة والمعاملات عند الصيارف، بالجهد والعرق والاحتمال هذا هو الصلاح. وانتظر بإخلاص مجيء السيد المبارك، وهذا هو الإيمان برجاء.
والامتزاج بين ما عمل وآمن به كان كاملا وحقيقيا فصار في عيني القدير عبدا صالحا وأمينا.

كنت أمينا في القليل:
كـل مـا نـؤتمن عليـه فـي هـذا العـالم يعتبـر قلـيـلاً بالنسبة للأبدية، لأن هناك سيكون كمال كل شيء، واستعلان كـل شـيء. مـا نـــراه الآن، كمـا فـي مـرآة كما في لغز، سيستعلن هناك بأكثر جلاء وأكثر وضوح. هنا نســلك بالإيمـان، والتصـديق القلبـي والإيقـان بـأمور لا تـرى، وأمـا هنـاك فـفـي نـور وجـه يسـوع المسـيح لا يوجد شيء مخفي أو مبهم، ولا يوجد أحد ناقص المعرفة.
لذلك فإن إيماننا يختبر هنا على الأرض، في القليل الذي يعطـى لنـا، أو ما يسميه الكتاب المقدس بالعربون" أعطانا عربون الروح "... فإن وجد الإنسان أمينا في القليل، فسيقيمه الرب على الكثير ويطلعه على الأسرار التـي لـم يعرف بها بنو البشر.
الآن نعرف بعض المعرفة، نعلم بعض العلم، نزداد في الإيمان. الآن نمارس الحياة مع الله ولكن في أسرار، أي بطريقة سرية قد لا تبدو للعيان ولا تدرك بالحواس. " فما أحياه الآن... أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسـلـم نفسه لأجلي " (غل ٢: ٢٠).
ثمة معنى آخر للإيمان جدير بالاعتبار، هو ما قاله الرب لملاك الكنيسة " تمسـك بمـا عنـدك" هذه هي الأمانة في الإيمـان، لأن الإيمـان قـد تسـلـم مـرة للقديسين، والأمانـة الأرثوذكسية التي نحياهـا هـي حراسة الوديعـة وحفظها والتمسك بما تسلمناه حتى النفس الأخير.
* الآباء القديسـون أبطـال الإيمـان أمثـال أثناسيوس الرسولي وساويرس الأنطاكي وديسقورس وكيرلس الكبير، كم ذاقوا من آلام حتى الدم في سبيل الحفاظ على الإيمان؟ حتى سلموا الأمانة لمن بعدهم خلوا من كل غش ومن كل

ابتداع الهراطقة.
الشهداء الأبرار أثبتـوا باستشهادهم أنهـم غايـة فـي الأمانة والحرص على إيمانهم، وكتبوا بدمائهم وثيقة حبهم وولائهم للملك المسيح ولم يفرطـوا فـي شـيء مما استلموه وتحدوا العالم بكل قوته.
الآباء النساك حفظـوا الأمانة، وكملوا مسيرتهم في الطريق الضيق بإخلاص وأثبتوا بالقدوة والحياة أنهم عندما وجدوا الجوهرة كثيرة الثمن مضوا وباعوا كل ما لهم واشتروها ولم يفرطوا فيها حتى النفس الأخير.
وهكذا نشتم في سيرة الأبرار محبي المسيح من جميع عينات الناس رائحة الأمانة والإخلاص والتمسك بالحق وحفظ الوصايا وعدم التهاون أو التراخي، والسهر مع مخافة الله....
كل هذه علامات أن النفس صارت فعلاً مؤتمنة وأمينة على وزناتها التي قد أعطاها الروح القدس بحسب مواهبه المتنوعة. كل هذا يعتبر أمانة في القليل إذا ما قورن بما سنناله في ملكوت المسيح حيث الفرح لا ينتهي والنور لا يغيب، وشمس البر لا يغرب، وعشاء العريس الحقيقي في العرس الأبدي لا يعبر عنه.
فالأبرار الذين أضاءوا هنا قليلاً سيضيئون إلى الأبد في ملكوت أبيهم.
وعربون العزاء الذي نالـه القديسين هنا سيصير عـزاء أبديا. والإيمان بما لا يرى هنا... سيصير رؤيا علانية أبدية.
هكذا إذ قد صارت النفس أمينة في القليل (أي الزمن الذي على الأرض) تؤتمن على الكثير حيث لا زمن فيما بعد... بل حياة أبدية.

ادخل إلى فرح سيدك:
الفرح الروحاني السماوي، فرح المسيح الخاص، الذي لا يشوبه كدر ولا حزن، ولا وجع قلب، مثل باقي ما للمسيح الإله من أمجاد لا نهائية وسلام خالص فائق للطبيعة، هذا الفرح يدخل إليه الرب عبده الصالح الأمين لكي يتمتع بالفرح ويتنعم فيه، يا لها من سعادة لا يعبر عنها. قد نذوق الفرح ونحن بعد في الجسد، ولكن كثيرا ما يكون مشوبا بشيء من الحزن والغموض في غمرة هموم الجسد وحروب الشياطين، مثـل النـــــار الـتـي تشتعل، ولكـن لا يخلو اشتعالها من تصاعد الدخان. أما وقد وصلت النفس أعتاب السماء، الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة ووجع القلب، فلا يوجد سوى سلام المسيح، فرح المسيح، وليس أمام النفوس المختارة سوى التمتع والتنعم إلى الأبد.
على أن كمال الفرح وبلوغ غايته لا يعرفه إلا الذي يناله، ويدخل إليه، فطالما نحن في الجسد فنحن متغربون عن الرب، فنسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب، وقد قال الرب لملاك الكنيسة في سفر الرؤيا " مـن يغلـب فـأعطيه أن يأكـل مـن المـن المخفـي، وأعطيـه حصاة بيضاء، وعلى الحصاة اسم جديـد مـكتـوب لا يعرفـه أحـد غير الذي يأخذ " (رؤ٢: ١٧)، فمعرفة التنعم السماوي وكل ما يتبعه من عطايا جزيلة وإكرامات إلهية لورثة الملكوت يكون قاصرا عليهم خاصا بهم لا يمكن إدراكـه إلا بالدخول إلى الفرح

عينه، على هذا يصير وصف هذا الفرح لمن لم يتمتع به ضرب من ضروب الخيال، كمن يصف طعاما شهيا لمن لم يذقه من قبل، فهيهات أن يتمتع بطعم أو رائحة، وبالأكثر فـإن وصـف الطـع ـام مهمـا كـان دقيقـا ومفصـلا فـأنـه لا يملأ جوف الإنسان، بل على العكس يزيده جوعا على جوع، لذلك فإن الفرح الإلهـي يـدخل إليه الأبرار، وتكـون النفس متغربة عنه إلى أن تدخل إليه، وحالما دلفت إليه فإنها مقيمة فيه ومتنعمة به إلى دهر الدهور.

ثم جاء الذي أخذ الوزنتين:
مع اختلاف قيمة الوزنات وعددها فإن صاحب الوزنتين لم يفرق شيئا عن سابقه الذي كان له خمس وزنات وربح خمسًا آخر فوقها. فإن الذي أخذ الوزنتين كان هو الآخر على مستوى الجهاد والإخلاص وعلى مستوى الصـلاح والأمانة والإيمان.

تاجر فريح وزنتان أخريان فوقها:
ووقف أمام الديان العادل يحمل وزناته التي تضاعفت بسهر الصلاة وجهاد الأصوام وحمل الصليب وإنكار الذات وتنفيذ وصايا المسيح والحياة في الإيمان والرجاء والمحبة.
فسمع من فمه الإلهي ذات العبارات التي تغمر النفس بفرح لا ينطق به، نعما أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينا في القليل أقيمك على الكثير ادخل إلى فرح سيدك.
هذا يجعلنا ندرك أن العبرة ليست فيما استومنا عليه من وزنـات مـن حيـث الـعـدد أو القدر أو نوع المواهب والعطايـا الإلهية، بل فيما آلت إليه وزناتنا بعد زمن هذا مقداره الذي هو عمر كل واحد على الأرض.

ماذا أصابنا من ربح وماذا حققنا من نمو:
قال الرب يسـوع فـي صـلاته الوداعية: " أيهـا الـرب أنا مجـدتك على الأرض أنـا أظهرت اسمك للناس" وهـذا هـو الكمال المطلق كما ظهر في شخص المسيح الكامل... الذي هو رئيس إيماننا ومكمله، ليتنا نستطيع أن نقولها بطريقة ما قبل انطلاقنا من العالم. فترى أن العبد الثاني قد حقق ذات النتيجة بكمال التعب والتجارة في الروح فتضاعفت الوزنات مائة بالمائة، إذ لا يقبل عمل ناقص أو لا يكلل جهاد ناقص ولا يحظى بمديح الديان العادل إلا الذي يستطيع أن يقول مع القديس بولس الرسول: " جاهدت الجهاد الحسن، أكملـت السعي، حفظت الإيمان، وأخيرا قد وضع لي إكليل البر ".

ثم جاء الذي أخذ الوزنة:
أي موقف أسيف يقفه مثل ذلك العبد المخزي، لا سيما إذا ما قورن بالعبيد رفقائه الذين كانوا تحت الآلام مثله؟ إنه خزي وحسرة وندم مع حزن لا ينتهي مع مصير أبدي مشئوم، ومـن المدهش أن العبد الكسلان والبطـال يحاول محاولات يائسة أن يجد لنفسه الأعذار في ما آل إليه حاله من البؤس والشقاء، وفيما هو يعلل

نفسه بالعلل ألقي بالملامة على السيد صاحب الفضل ومنبع الحب، وقال: " يا سيد علمت أنك تحصـد حيـث لـم تـزرع فخفـت وأخفيـت الفضـة "، يا للعجب...!!
أليس هذا موقف الكثيرين بيننا، حينما يوجدون في موقف التقصير وموقع الخطاة والمتوانين، يسرعون بإلقاء اللوم على الله، كأنهم بهذا يجدون ما يبرر مسلكهم الخاطئ وكأنهم بهذا ينجون من الدينونة العادلة.
أن يتبرر الإنسان أمام الله، هذا لا يأتي إلا ببر الإيمان العامل، وشهادة الضمير الحي وحفظ الأمانة الكاملة، أما أن يعتذر بالأعذار، فهذا من رابع المستحيلات، لأنه في الدينونة كل فم يستد لا يستطيع الكلام لأن أحكام الله حـق وعادلة معا.
على أن هذا يكشـف لنـا أغـوار تدبير ذلك العبد غير الفطن، لقد عاش كل زمانه مقتنع بهذا الفكر الخاطئ، أن السيد قاس ومخيف، وأن الطريق الأمثل هو إخفاء الوزنة ثم ردها إليه إذا جاء، لقد أطغاه الشيطان بهذا الفكر الخاطئ وبني كل حياته ومستقبله عليه..!!

جواب الرب:
جاوب الرب العبد البطـال والكسلان قائلاً: علمت أنني سيد قاس أحصد حيث لم أزرع، وأجمع من حيث لم أبذر، هب أنني كذلك، كان الأجدر بك أن تضع فضتي في موائد الصيارف لتربح، فعندما أجيء استوفيها مع الربح...!! لقد استقر في ذهن العبد فكر شرير من نحو السيد وهذا قاده إلى تصرف أحمق أكثر شرا، ينبغي أن يبني الإنسان فكره من نحو الله على أساس حقيقي، فما أكثر الأفكار التي تصور الله في ذهن الإنسان بذلك، ويتصرف على هذا النحو فيسيء إلى نفسه وإلى مصيره الأبدي.
إن كل فكر لا يحثنا على مواصلة الجهاد الروحي، بل يدفعنا إلى الكسل والتسويف هـو لـيس مـن الله، وليس من الحق في شيء، فإن كان الفكر الذي استقر في ذهن العبد البطال كرا نافعا ما كان دفعه إلى الكسل وعدم السعي.
لم يكن للعبد أن يجاوب الله متعللاً ومعتذرا، ولم يكن له أن يفتح فاه، ولكن صلاح الله الكلي سمح له بذلك، ومن أجل منفعتنا وخلاصنا أجاب الرب هذه الإجابة التي كشف لنا بها خداع الفكر القاصر وتزييف الحق.

خذوا منه الوزنة:
أمر الرب ملائكته، خدامه الصانعين إرادته أن يستلموا الوزنة من العبد البطال، في لحظتها أصبح بلا شيء، حتى القليل الذي اؤتمن عليه لم يوجد أمينا فيه فنزع منه، وتجرد في ساعتها من كل فضيلة ومن كل صلاح ومن كل معرفة، ومن كل حكمة ومن كل موهبة.

ماذا يكون حال الإنسان إذا نزعت منه النعمة؟!
إن الإنسان فـي حـال تخلي النعمـة وهـو على الأرض يصير في المسكنة والعوز ويتردى في الدركات السفلى في الخطايا والانحلال ومذلة العبودية كمن يرعى

خنازير في كورة الجوع.
فإن كان تخلي النعمة على الأرض يجعل الإنسان هكذا، فماذا يكون وضعه في الدينونة حين ينزع عنه آخر ما كان عنده من النعمة؟ قيل أنه يطرح خارجا معذبا في بكاء وأنين وصرير الأسنان في الظلمة الخارجية.

وأعطوها للذي عنده العشرة وزنات:
قال الرب هكذا لخدامه الصانعين إرادته " لأن كل من له يعطى فيزداد أما من ليس له فالذي عنده يؤخذ منه "، الذي وجد أمينا تضاعفت وزناته وربحت تجارته الروحية فاستأمنه الرب على فضائل أكثر ونعم أوفر، هذا هو قانون الروح، كلما تاجر بالروح ازداد في الفضيلة، والفضائل حلقات متصلة، كدرجات السلم، الواحدة تصعدك إلى الأخرى، فضيلة تدفع إلى فضيلة والعكس صحيح، فالخطايا سلاسل، حلقة تسلم إلى حلقة أخرى، وكنزول السلم، انحدار يقود إلى انحدار وخسارة تعقبها خسارة...
فصاحب الوزنات العشر ينمو إلى زيادة حتى الملئ وصاحب الوزنة الواحدة ينحسر إلى نقصان حتى العدم.
ليجعل الرب نصيبنا مع صاحب الوزنات العشر الذي استحق ميراث الحياة إلى الأبد.

مثل الغنـي ولـعـازر (لو ١٦: ١٩ - ٣١)

" كان إنسان غني وكـان يلبس الأرجـوان والبـز وهـو يتنعم كل يوم مترفها، وكان مسكين اسمه لعازر، الذي طرح عند بابـه مضروبا بالقروح، ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني، بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه، فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ومات الغني أيضا ودفن، فرفع عينيه في الجحيم وهـو فـي العـذاب، ورأى إبراهيم مـن بعيد ولعازر في حضنه، فنادى وقال: يا أبي إبراهيم، ارحمني، وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لساني، لأني معذب في هذا اللهيب، فقال إبراهيم: يا ابني، اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك، وكذلك لعازر البلايا، والآن هـو يتعزى وأنت تتعذب. وفوق هذا كله، بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت، حتى إن الذين يريدون العبـور مـن ههنـا إلـيكم لا يقدرون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا، فقال: أسألك إذا، يـا أبـت أن ترسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسة إخـوة، حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضا إلى موضع العذاب هذا، قال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، ليسمعوا منهم، فقال: لا، يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحـد مـن الأموات يتوبون، فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قـام واحـد مـن الأموات يصدقون " (لو ١٦: ١٩ - ٣١).

الغني وإبراهيم:

من المفارقات العجيبة حقا أن إبراهيم أب الآباء كان رجلاً غنيا ذو أملاك ومقتنيات هذا عددها، ولم يقف هذا الغنى وكثرة الأملاك حائلا بينه وبين إلهه، بل سار أمام الله الذي دعاه قائلاً: " سر أمامي وكن كاملا " (تك ١٧: ١)، وخرج وهو لا يعلـم أيـن يمضي، وتغرب في أرض الموعد كأنهـا غريبـة وسكن الخيام كالغريـب على الأرض... وكثرت أملاكـه وتعاظم جدا، ولكن أينما حل كان يبني مذبحا للرب، سالكًا بالإيمان لا بالعيان، حتى اجتاز أقسى الامتحانات الإيمانية إذ لم يكن ضعيفا في الإيمان بل تقوى، ولم يحسب حساب جسده إذ صار مماتا ولا مماتية مستودع سارة، وبالإيمان أيضا قرب إسحق ذبيحة وقربانا لله، إذ حسب إن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضا.

فالعيب إذن ليس في الغنى والمقتنيات بل في سلوك الإنسان ونظرته، هل هو من إيمان إبراهيم ويسلك في خطواته؟

ومن العجيب أيضا أن هذا الغنـي كـان ينـادي إبراهيم يا أبي...! بينما هو محروم من حضن إبراهيم، كيف يكون هذا؟ قال الرب للفريسين لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، الموضوع إذن ليس هو انتسابا جسديا لأبي الآباء، أو افتخار الحسب والنسب ولكن شهادة الحياة وأمانة الإيمان وإخلاص النية وعمق العلاقة مع الله، لأن الله قادر أن يقيم من الحجارة أولادا لإبراهيم.

ترى هل سلك هذا الغني في خطوات إبراهيم؟

قال الرب إنه كان يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفها هذا لم يفعله إبراهيم.
إبراهيم لم يذهب في طلب الغنى، ولم ينجذب نحو سدوم وعمـورة وقد كانت أرض إغراء بكثرة، خضرة كجنـة الرب كأرض مصر.
إبراهيم لم ينتفخ بكثرة الغنى والأملاك ويتعالى بتعظيم، بل على العكس كان غاية في الاتضاع حتى سجد لسكان الأرض أصحاب حقل المكفيلة...
لم يذكر عن أب الآباء أنـه كـان يـتـنعم مترفهـا، كـان يستعمل العالم ولم يكن مستعبدا للعالم، كان يملك الأملاك ولم تملك عليه الأملاك، الترف لم يعرف طريقا إلى حياته، لقد عاش رغم كثرة الأملاك في خيمة الغربة رافضا قصور الملوك وخصوصيات العظماء، قال لملك سدوم عندما عرض عليه أن يأخـذ الأمـلاك التي استردها إبراهيم مـن السـبي "رفعـت يـدي إلى الـرب الإلـه العـلـي مـالـك الـسـمـاء والأرض، لا آخذن لا خيطـا ولا شراك نعـل ولا مـن كـل مـا هـو لك، لئلا تقول: أنا أغنيت أبرام " (تك ١٤: ٢٢ - ٢٣)، لقد رفع يده إلى إله السماء والأرض المالك الكـل وقـد قـال الـرب لـه: لا تخف أنا ترس لك أنا أجرك الكثير جدا، لقد صار الله هو الغني الكامل، والنعيم الكامل.
ولكن إن غاب الله عن الحياة يغرق الإنسان في الغنى الغير يقيني، يتكل على أمواله بل يظن أن حياته من أمواله، فلا يستخدم الغنى بل يتفنن في النعيم والترف، وقد قال يهوذا الرسول عن أمثال هؤلاء " الذين يحسبون تنعم يـوم لـذة " (٢ بط ٢: ١٣)، إنه تنعم يوم، أي أنه لذة وقتية زائلة وترف لحظي إذا ما قورن بالأبدية التي لا تنتهي.

يلبس الأرجوان والبز ويتنعم كل يوم مترفها:
انحصرت حياة الغني في هذه الأفعال، المأكل والملبس والتنعم والترف وهي كلها مختصة بالجسد، زائلة بزواله، وكلها للفنـاء وللاستعمال المؤقت، تفسدها كثـرة الأيـام وتتعتـق بالزمن، فالملبس الفاخر اليوم هو خرقة باليـة غدا ومآدب القصور يكمل فيها كلام الرب " الأطعمة للجـوف و الجـوف للأطعمة، والله سيبيد هذا وتلك " (اكو ٦: ١٣).
وهـذا المظهـر الكـاذب الـذي يضيفه الغنـي بملابس الأرجـوان والبز هي في الواقع محاولة فقيرة لكسي الخزي والعري وتغطيـة لصرف النظر عن الواقع... الأصـل فـي الملبس أن يكون سترة للعري... ولكنه تحـول وانحرف إلى متاهات، وجنون الأزياء كل يوم يتفنن فيها الإنسان ويغوي بفنونها... أنها دوامة رهيبة حقا ومن يستطيع أن ينجي نفسه، فالإنسان يصير عبـدا للمظهر، لا سيما عنـد الأغنياء، فالملبس هو تعبير عن الغني، والتفاخر بالملبس، والتسابق في هذا المعنى... أين إذن وصية الإنجيل " لا تكن زينتكن الزينة الخارجية، من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب " (ابط ٣: ٣)، هذه زينة خارجية تجعل الإنسان يبدو على غير ما هو عليه، إنـه نـوع مـن الخـداع. بل زينـة الـروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن.

لقد لبس هيرودس الحلة الملوكية وكان قد أنتن في الداخل.
الفريسيون كانوا في ثيابهم الفضفاضة تبدو ظواهرهم مثل الصديقين ولكنهم من داخل كانوا كالقبور النجسة.
بينما يوحنا المعمدان كان يلبس وبر الأبل ومنطقة من جلد على حقويه... وتحت هذه الثياب الفقيرة كان يعيش أعظم مواليد النساء وقال الرب عنه " ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟... أإنسانا لابسا ثياب ـا ناعمة؟ هـوذا الذين في اللباس الفاخر والتنعم هم في قصور الملوك " (لو ٧: ٢٤ – ٢٥).... أما يوحنا المعمدان فهـو أرفع مقـدارا وأسمى شأنا من سكان القصور.

التنعم:
الذين يحسبون تنعم يـوم لـذة، هؤلاء الذين كتب عنهم الرسول أنهم غيـوم بـلا ماء ونجوم تائهة محفوظ لهـا قـام الظلام.
إن التنعم والترف هما أخطر آفة تصيب خلاص الإنسان في الصميم، إنها وسائد لأوصال الأيدي لاصطياد النفوس، فحينما يحيا الإنسان حياة التنعم والترف، اسأله عن هذه...
* أين التوبة والانسحاق؟
* أين الاتضاع والمسكنة؟
* أين الجهاد والصراع والجهاد حتى الدم ضد الخطية؟
* أين ضبط النفس وحفظ الحواس؟
* أين الأصوام والتذلل؟
* أين السهر والصلاة؟
لقد اختفى كل ما يختص بالروح والإنسان مخمور بخمار العالم متخم بسكر الشهوات والتلذذ الحسي وغارق في نعيم لا يدوم... بل أن الإنسان في هذه الحالة يبغض كل ما من شأنه أن يوقظه، هو يريد أن يظل سعيدا متنعما مترفها كل يوم.

التغاضي:
مـن شـأن حيـاة كهذه هدفها الأول منحصر في التنعم والترف أن تصير الإنسان غاية في الأنانية وحب الذات، يريد أن يمتع نفسه ويلذذ ذاته بالمسرات ويجلب الفرح لنفسه... فهل من مشاركة لآخرين في ضيق؟ كلا، وهل من نظر إلى معوزين؟ من أين له ذلك!!
لقد انحصر في الذات ولم يعد يرى سواها.
هناك لعازر المسكين عند الباب، ما أقربه... ولكن يبدو أنـه أسـقطـه مـن حسـابه، أو ربمـا كـان منظـره هكذا يثيـر الاستياء، وربما طلب إليه أن يرحل أو أوحى إلى الخدام أن يلقوه بعيدا عن القصر بعيدا عن البصر لقد كان وجود لعازر يعد بمثابة فرصة هيأتها النعمة لأجل خلاص الغني المسكين ولكنه لم ينتفع بها ولا أولاها اهتماما.
بل على العكس كان يهدرها اهدارا.
كان لعازر يشتهي أن يملأ بطنه من الفتات الساقط من مائدة الغني ويبدو أنه حتى

الفتات كان يضن به عليه... فمن المؤكد أن ما يفيض من مائدة الغني كان كثيرا، بل وكثيرا جدا ومن المؤكد أيضا أنه كان يلقي كنفاية كل يوم ما يزيد أضعافا عن حاجات لعازر المسكين، وكانت تتجمع الحيوانات الضالة كالكلاب لتجد طعامها من هذه النفايات... وهذا يعني أن لعازر لم يكن يخطر على بال أحـد، كـان بالنسبة للغني كما مهملا ليس له حساب...

عمل الرحمة:

ما أعجب سلوك الأبرار... يحكى عن الأنبا ابرام أسقف الفيوم أنه كان يأكل مع الفقراء والمساكين، وقيل أيضا أنه اكتشف ذات يـوم أن الطبـاخ ميـز بـين طعامـه وطـعـام المساكين، فأقاله من عمله...

ليس عمل الرحمة عملاً خارجيا من عطاء للمساكين، بل هو عمل قلبـي داخلـي، ينبـع مـن القلب، فيود الإنسان أن يعطي ذاته، يبذل نفسه، ويضع نفسه مكان الضعيف والفقير والمسكين، بل يضعها كخادم، وكآخر للكل.

مكتـوب مـن يعطي الفقير يقرض الرب وعـن معروفـه يجازيه كأنه يصنع المعروف للرب نفسه، فيجازيه في يوم الدين بل أن الرب يسوع قال أنه سيقول للأبرار الذين يقفون عن يمين كرسـي مجـده، " جعـت فـاطعمتموني، عطشـت فسقيتموني.. كنت مريضا فزرتموني " (مت ٢٥: ٣٥ ـ ٣٦)، الحق أقول لكم ما فعلتموه مع أحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتم... إلى هذا الحد تقف الرحمة تفتخر في الحكم، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون.

مات لعازر... مات الغني أيضا ودفن:

المـوت يضع نهاية للمفارقات المؤسفة في هذا العالم، ويضع نهايـة لأتعاب المساكين ودمـوع المظلومين، وفاقـة الفقـراء، تنتهـي كـل المظـالم والمتاعـب والاضطهادات والضيقات، والآلام والأمراض والأحزان والهموم والأوجـاع وكل أنواع الأنين... كل هذا أيضا له نهاية.

وبذات القياس يضـع المـوت نهاية للمسرات والضحكات والأفـراح والتنعم والتـرف وفخـر الملبس ولـذات المآكـل والمشارب، وتنعمات الجسد في الشهوات وافتخـار المراكز وعظمة الكبرياء والتفاخر والرياء والتملق وحـب الظـهـور.. سيضـع المـوت نهاية أكيدة لكل هذه الأمور وما شابهها. إنها نهايـة واحـدة أخيرة ساوت بين الغني ولعازر، انتهت الفروق الاجتماعيـة واعتبارات الغنـى الزائـل، والفواصـل المصنوعة بيـد البشـر وفكـر الناس، التي تجعـل الغنـي يجلس في مكان الصدارة بينمـا يلقي الفقيـر عنـد مـوطئ القدمين.

أخيرا عـاد الاثنين إلى التراب بهيئة واحدة، ولا فرق... انحلت الأعضاء المكرمة والمهانة معا ولتعود إلى التراب الذي أخذت منه.

هذا على صعيد الجسد... أما المفارقة العجيبة فكانت على مستوى الروح...

حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم:

رجعـت الـروح إلى خالقهـا الـذي أعطاهـا... أحاطت الملائكة بروح لعازر وحملتها في كرامة، منظر مهيب سري ومعزي للغاية، فالملائكة الأطهار هم المكلفون بحمل النفس إلى الأحضان الأبويـة بعد أن رافقوا مسيرة نفـس لـعـازر المسكين وهو في الجسد، لا شك أنهم رفعوا الصلوات التي كـان يصـليها شـاكرا وهـذا مـن صـميم عملهـم (كما حدث لكرنيليوس)، وما يمكن استخلاصه بسهولة من كلمات الرب، أن لعازر الذي استحق أن تحمله الملائكة إلى حضن إبراهيم قد استوفى أتعابه وبلاياه على الأرض، لا بد أن يكون قد عاش حياة مملوءة أسرارا مع الله، انتهت به إلى الميراث الأبدي فالخارج كان مهانا أشد الاهانة مهملاً كل الاهمال ولكن داخل نفس لعازر وجد الرب راحة في قلب منكسر ومتضع.
والبلايا تحيط بجسده من كل جانب، لكن لا بد أنه عاش حياة شكر بالروح أرضت الرب، وحياة تسليم وقناعة عجيبة.
وإن انبعثت من جسده المضروب بالقروح رائحة نتن، إلا أن عدم التذمر وعدم الشكوى صعدت من داخلـه كرائحـة بخور ورائحة سرور أمام الله، بيد الملائكة الأطهار.
تُرى هل اعتنى أحـد بجسد لعازر عند موته أم أن المجتمع الذي لفظه حيا لم يشفق عليه ميتا؟
لا بد أنهم اكتشفوا موته ربما بعد وقت طويل. وفي أضيق الحدود وواروا جسده التراب، كمجهول وغير معتد بـه أمـا المظاهر العالمية وافتخار الأغنياء، فقد رافقت الغني عنـد موته، فكل ما هو فاخر وكل ما يليق بكرامته الوهمية عملوه إرضاء لكبرياء الأغنياء...
يذكر البستان قصة عن راهب تتلمذ عند رجل متوحد قديس، وحدث أن نزل الراهب لضرورة إلى المدينة، وفي هذه الأثناء شاهد موكب مهيب لجنازة فلما سأل قيل له أنه أحد أغنياء المدينة، وقد كان رجلاً غير مشهود له بالصلاح، ولما عاد الراهب إلى البرية وجد أن معلمه المتوحد البار قد تنيح. ووجد أن وحشا يجر جسده على الأرض فصار الراهب متألقا ومتعجبا من أحكام الله، إذ كيف يكون هذا؟ فالذي عاش حياة عالمية، يكرمونه بموكب هكذا؟ والذي قضى حياته عبادة وصوما وسهرا ووحدة... تكون نهايته هكذا؟ وفيما هو متفكر بهذا عزاه الله وعرفه أن هذا الغني كان قد صنع بعض أعمال الخير، وكان لا بد أن يستوفيها مجدا من الناس أما المتوحد فكان قد جاز في بعض الزلات وكان لا بد أن يوفي ما عليه على الأرض لكي لا يكون مديونا في السماء... فنال الغني عزاءه كاملاً على الأرض... ولا عزاء له في السماء، ونال المتوحد بلاياه كاملة على الأرض ولا وجع هناك في السماء.
وأيضـا فـي قصـة تلـك القديسـة التـي كـانـت كـثيـرة الأمراض والأتعاب في الجسد حينمـا ظهر لهـا مـلاك في الرؤيا ممسكا بإكليلين واحد مرصع بالجواهر واللآلئ والآخر مليء بالشوك والحسك، فسألته ما هذان فقال لها هما لك... واحـد تنالينه على الأرض والآخر في السماء. فهتفت به قائلة: أعطني إكليل الشوك هنا

بكل سرور.
هكذا قيل عن الغني... مات الغني ودفن، بكل ما تحوي الكلمة من معنى ومناظر ومظاهر متكررة في حياة الأغنياء قد يحلو للناس أن يتفاخروا بها أو يتحدثوا عنها كيف كان المنظر مهيبا، والموكب، وعظمـة الم‍ـدفن... إلى آخر هذه المظاهر الكاذبة... ولكن ترى ماذا كان وراء كل هذا؟

فرفع عينيه في الهاوية!
هذا كان المنظر غير المرئي من الناس، الذي يحتاج إلى وقفـة ج‍ـادة... دع عنك المناظر والأشياء الت‍ـي ت‍ـرى... دع عنك الأحكام بحسب الظاهر، وبحسب الإنسان الباطل.. ادخل إلى العمق... تفحص الأمر بالروح لا بحسب الجسد، تجد المنظـر انقل‍ـب تمام‍ـا م‍ـا ك‍ـان على الأرض قد انتهى، مقاييس البش‍ـر ل‍ـم ت‍ـع‍ـد ذات قيم‍ـة، نف‍ـس ل‍ـع‍ـازر محمولة ف‍ـي وس‍ـط ج‍ـوق‍ـة م‍ـن الملائك‍ـة النوراني‍ين في مج‍ـد وبه‍ـاء لا يوصف.
ونفس الغني المسكين تحدرها أرواح الظلمة إلى الهاوية بلا رحمة وبلا حنو وبلا شفقة!!
لقد تعرى الاثنان من غطاء الجسد، وانكشفت أسرار الروح فظهر أن نفس لعازر متزينة بالفضائل، مكملة بالمجد.
آلامها وأتعابها، ضيقتها وفقرها تحولت كله‍ـا إل‍ـى به‍ـاء ومجد فرح أبدي ومسرة لا تنتهي.
وعلى النقيض بالنسبة للغني انتهى الضحك، والسهرات، والمسرات، انقضى زمان التنعم والتمتع، انتهى زمان الافتخار والكبرياء، تح‍ـول ك‍ـل هذا إلى غ‍ـم، ونوح وبكاء وصرير أسنان.
رفع الغني عينيه في الهاوية، فتح عينيه على غير توقع، لقد أفاق المسكين، ولك‍ـن ي‍ـا للحسرة ك‍ـان ذل‍ـك بع‍ـد ف‍ـوات الأوان، كان في حياته على الأرض يعيش في غفلة كاملة، ولم يكن يعلم، كانت الدوامة قد لفته، أعمى الشيطان قلب‍ـه وأغلق عقله واحكم حوله دوائر الهلاك، فلم يعمل حسابا لتلك الساعة المخوفة.
أخيرا رفع عينيه فإذا هو في العذاب، يا له‍ـول الكارثة، ماذا يمكن عمل‍ـه؟ لا شيء... س‍ـوى الن‍ـدم الأبدي الذي لا يغير من الواقع شيئا والبكاء حيث لا ينفع البكاء.
ترى أين كانت هذه الحقيقة حين كان بالجسد؟
هل فكر لحظة في زوال العالم.
يا للخداع!!
ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟

رأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه:
من الحقائق التي تكشفها هذه العبارة في قول الرب، أن الحياة بعد الموت فيها كش‍ـف ومعرفة، وبصيرة ثاقبة، إذ تعرف الغني على إبراهيم، رغم أنه لم يكن يعرفه بحسب الجسد، ولا يمكن أن يعرف ص‍ـورته ولا هيأته، إذ قد فصلت بينهما

آلاف السنين ولكـن مـا أن رفع عينيه بعد أن خلع الجسد حتى تعرف على إبراهيم وتعرف على لعازر.
أكيد أن لعازر في حضن إبراهيم قد تغير عما كان عليه وهو مطروح على باب الغني.
ولكن عالم الروح حيث تفاض المعرفة، يصير كل شيء واضـح مـعـروف، ولا يمكن تجاهلـه أو عدم تمييزه. هكذا بسهولة عرف الغني - إذ سمح الرب لروحـه أن تتطلع من بعيد رغم الفاصل والهوة السحيقة، ورغم اختلاف المصير - سمح له أن يتطلع فرأى إبراهيم ولعازر متنعما في حضنه. قد يتساءل الناس كثيرا، هل سنتعرف على بعضنا البعض، وعلى أحبائنا الذين سبقونا؟ بكل تأكيد، ستصير كل الأمور مكشوفة ومنيرة في نور وجه يسوع، لن تنقصنا المعرفة، على أن المعرفة السماوية تفوق المعرفة بحسب الأرض والجسد، والعين الجسدية، وصلات القرابة واللحـم والـدم إذ تكـون قـد تحررنا من كل ذلك، فالمعرفة تكون خالصة حرة من قيود الذات ورباط الأنا والأنانية، سنعرف كما عرفنا من المسيح، أي بالأسلوب الذي عرفنـا وأحبنـا بـه، بذات الـروح، روح المسيح.
ويكون الرباط الروحـاني الأبـدي الـذي يربطنـا بكـل السمائيين برباط الحب الإلهي أقوى بما لا يقاس من رباط الحـب الجسداني، أو صـلات القربي الجسدية أو المعرفة والصداقة التي عرفناها ونحن بالجسد، والفرق بين الاثنين هو ذات الفرق بين السمائيات والأرضيات.

يا أبي إبراهيم:
هكذا صرخ الغني عندما رأى إبراهيم، فهـو مـن نسـل إبراهيم - بحسب الجسد - ولكن في الأبدية لا يحسب أبناء الجسد أنهم نسل، بل أبناء الروح الذين عاشوا بإيمان إبراهيم يحسبون أنهم أولاد إبراهيم، والذين سلكوا في خطوات حياة إبراهيم، وحسب لهم إيمانهم برا، وبالأعمال أكملوا الإيمان كما قدم إبراهيم وحيده محرقة وحسب أن الله قادر أن يقيمه، الذين صدقوا بقيامة يسوع المسيح بإيمان إبراهيم، هؤلاء يدعون بالحقيقة أبناء إبراهيم ويتكئون في حضنه. قال الرب لجماعة الفريسيين " لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتـم تعملـون أعمـال إبراهيم! " (يو ٨: ٣٩)

ارحمني... وأرسل لعازر:
لا شك أن جميـع الـذيـن فـي العـذاب يطلبـون الرحمـة ويتوسـلـون مـن أجـل ذلـك، ولكـن بعـد فـوات الأوان، إذ لا رحمة في الدينونة لمن لم يستعمل الرحمة، والرحمة تفتخر على الحكمة، وطوبى للرحماء لأنهم يرحمون. والآن من أين لك أن تنـال رحمـة، وتحصد رحمـة، وأنـت لـم تـزرع أعمـال رحمة، إن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضا، من يزرع بالبركات فبالبركات أيضا يحصد، ومن يزرع بالشح، بالشح أيضا يحصد.
ومن المفارقات العجيبة والتي تحتاج إلى تأمل عميق أن الغني يطلب عمل الرحمة بيد لعازر المسكين، ألم يقل الرب اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى

إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية!
وهكذا يبدو ظاهرا إن ما احتقره الغني وازدرى بـه وهـو على الأرض احتاجه في الأبدية.
والأمور التي كرمها على الأرض وتلذذ بها صارت سبب عذاب وشقاوة له في الأبدية.

يا ابني اذكر!
هكذا أجاب أب الآباء، اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك الأرضية، ولم تبق شيء، ولم تعمل حسابا لغدك.
عشت كل أيامك غارقا في اللذات، والشهوات، والتنعم والترف...! ألا تذكر هذا؟
لم تتألم ساعة مـن أجـل الأبديـة، ولـم تشـترك في آلام الآخرين...، بل هربت من الآلام حاسبا تنعم يـوم لـذة...! ألا تذكر هذا.
قد نلت عـزاءك على الأرض، كمثـل الفريسـيـن الـذين استوفوا أجرهم مديحا من الناس وكرامة، فلم يعد لهم أجر سماوي...! وعلى النقيض تمامـا كـان لـعـازر المسكين، استوفى بلاياه كلها على الأرض، شبع وجعا والاما، في النفس والجسد معا، وجاز جميع الامتحانات مجربا ومتألما بكل نوع.

والآن هو يتعزى:
تحققت كل مواعيد الله، إن الذين يتألمون بحسب مشيئة الله، قد استودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل الخير... إذ يخرج من الأكل أكلا ومن الجافي حلاوة.
لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديا.
وإن آلام هذا الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا.
وإنكم تبكون وتنوحون والعالم يفرح ولكن حزنكم يتحول إلى فرح.
وإن كنا نتألم معه فسنتمجد أيضا معه... إلى أخر هذه المواعيد العظمي والثمينة... لم يسقط حرف واحد.
الآن يسترجع لعازر، كل هذا متعزيا بتنعمات سماوية تفيض إلى أبد الأبد.

بيننا وبينكم:
قال أبونا إبراهيم " وفـوق مـذا كـل ـه، بينـا ويـنـكـم مـوة عظيمـة قـد أثبتـت... " (لو١٦: ٢٦)، تجعل الانتقـال مـن مكـان التـنعم إلـى مكـان الـعـذاب أمـرا مستحيلاً فـالتنعم أبـدي لا ينتهي، والدينونة انفصال الأبرار عـن الأشـرار انفصال نهائي، هم في حالة خلطة في العالم فقط في الأرض والـتـراب، أمـا فـي السـماء... فـلا شـركة بينهم على الاطلاق.
هذا ما عبر عنه أب الآباء بأنه توجد هوة عظيمة ثابتة، تعبيرا عن الفاصل الرهيب بين ما هو للنور وما هو للظلمة. أن السماء ليست مكانا بل مكانة، ووضـع ومنزلة، والفارق بين مكانة الذين في التنعم والذين في العذاب، فارق رهيب، وهوة عظيمة قد أثبتت.

ومجرد عبور الإنسان من التنعم إلى العذاب، أو العكس أمر غير وارد، بل إنه ضرب من ضروب الخيال.

لي خمسة إخوة:
أسألك إذا يـا أب ـي أن ترسله إل ـى بي ـت أب ـي لأن ل ـي خمسة إخوة لكي يشهد لهم لكي لا يأتوا إلى موضع العذاب هذا، هكذا أج ـاب الغني متوسلاً إلى أب الآباء م ـن جه ـة إخوته الذين مازالوا يعيشون في الأرض، أنهم يحيون بذات المنهج الذي عاشه هو، في التنعم الوقتي والترف الزائل، وهم إن استمروا هك ـذا ف ـــــيكابدون ذات المص ـير ال ـتعس لا محالة، وه ـو الح ـال ك ـذلك، صار يتألم من أجله ـم وي ـود لو يخلصهم وكأنه - لو صح التعبير - يتشفع فيهم لدى أبينا إبراهيم.
تأمل كيف توسل الغني وهو في موضع العذاب من أجل إخوته، فكم بالأحرى تكون طلبات وتوسلات أولئك الذين في مواضع النياح والراحة؟
كم تكون شفاعات القديسين من أجل الذين هم بعد في الجسد؟
إنهم بالحقيقة يطلبون، بل أنهم لا يكفون عن الطلب، مؤازرين جهادنا " إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا... ولنحاض ـر بالص ـبر في الجه ـاد الموض ـوع أمامن ـا، ن ـاظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع " (عب ١٢: ١- ٢)
أجاب إبراهيم قائلاً: « أما من جهة إخوتك. فعندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم، عندهم الكتب المقدسة القادرة أن تحك ـم للخ ـلاص، عندهم الوصايا المكتوبة بأصبع الله، مقدسة وصالحة، وصية الرب مضيئة تنير العينين.
عندهم أسفار موسى كلها قصص للخلاص، لأن المسيح شهد عن موسى قائلاً: " ذاك كتب عني ". وعندهم الأنبياء أسفار مكتوبة، تبكيتا للخطايا، وإنذارات لعدم التائبين ونب ـوات ت ـدور كلها حول مشتهى الأجيال، مخلص العالم، وفادي النفوس. عندهم موسى والأنبياء، فليسمعوا ويقبلوا فيخلصوا.
عندهم موسى والأنبياء، يقرأونه في كل سبت.
ولكن بالرغم من هذا فلا أثر للكتب المقدسة في الحياة، فلا توبة ولا رجوع، ولا ثمر روحي ولا حياة بحسب المكتوب عندهم موسى والأنبياء، وكأنهم لم يسمعوا قط كلمة ولا نخسوا في قلوبهم، بل أظلم ذهنهم وتقسى قلبهم.

ترى ماذا يحرك مثل هذه القلوب؟
لقد توسل الغني للمرة الثاني ـة ل ـدى إبراهيم أبين ـا ق ـائلاً: " لا، يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واح ـد م ـن الأم ـوات يتوبون... " (لو ١٦: ٣٠).
هكذا تصور الغني المسكين، أن قلوب إخوته التي تقست بالخطايا، وانتفخ ـت بالكبرياء، وتبل ـدت بكثرة الحي ـاة ف ـي المظاهر وغرور الغني، تصور أن قلوبهم ستتحرك بالتوبة إذا رأوا أحد الأموات قائما.
إن الذي لا تحركه الكلمة، ولا يغيره الإيمان والتصديق القلبي بما لا يرى عبثا يتحرك بما هو مرئي وظاهر.
والذي لا يتوب بفعل الكلمة الإلهية المكتوبة، لا يتوب بمئات المعجزات حتى لو

كانت قيامة من الأموات.
أليس هذا هو ما حدث فعلا عندما أقام الرب أمواتا وصنع قوات هذا عندها؟
كم من نفوس تبررت وتعجبت؟
كم مرة قالوا قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه؟
كم بهتوا، وقيل أنهم آمنوا؟
ولك ـن أي ـن ه ـؤلاء وأولئك؟... لق ـد تبخ ـر إيم ـانهم بع ـد المعجزات... لذلك قال الرب لليهود الذين آمنوا به " إنكم إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي "... فالكلمة قوية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين.
لذلك قال إبراهيم " إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون " (لو ١٦: ٣١).
لقد ظن الغني أنه إن كرز واحد مثل لعازر قائما من الموت بين إخوته فأنهم يصدقون، ويؤمنوا ويتوبوا راجعين عن طريقهم الردية ويسلكوا في طريق الحياة الأبدية، هذا ظن خاطئ، فإن التأثر بالآيات يكون تأثرا وقتيا، سريعا ما ينساه الإنسان ويرتد إلى سيرته الأولى. إنما الإيمان والحياة في الإيمان فلا يستند إلى ما يرى بل إلى ما لا يرى، أليس الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى؟ فإن استند الإيم ـان إلى معجزة ظاهرة أو آي ـة ملموسة، أو طل ـب أن يتحقق برؤى العين ولمس اليد فبئس الإيمان يكون.
إن ما بين أيدينا مما هو مكتوب من موسى والأنبياء وبالأكثر كثيرا بشارة الخلاص في شخص ربنا يسوع المسيح يجب أن يكون لنا سبب بركة وخلاص وحياة أبدية، لأنه كيف ننجو إن أهملنا خلاصا هذا مقداره قد سبق الرب بالتكلم عنه، وتثب ـت لن ـا بشهادة الذين رأوه حي ـا بع ـد قيامت ـه م ـن الأموات.

مثل العبد الأمين الحكيم (مت ٢٤: ٤٢ - ٤٤)

" إسهروا إذا لأنكم لا تعلمون في أي ـة س ـاعة ي ـأتي ربكم. واعلموا هذا: أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق، لسهر ولم يدع بيته ينقب. لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين، لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان " (مت ٢٤: ٤٢ - ٤٤)،

المثل:

" فم ـن ه ـو العب ـد الأمين الحكيم الذي أقام ـه س ـيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه؟ طوبي لذلك العب ـد ال ـذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا! الح ـق أق ـول لكم: إنه يقيمه على جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبد الردي في قلبه: سيدي يبطئ قدومه، فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى. يأتي سيد ذلك العب ـد ف ـي ي ـوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها، فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان " (مت ٢٤: ٤٥ - ٥١)

في مقدمة المثل بحسب إنجيل القديس متى جاءت هذه الكلمات عن مجيء المسيح وزمن مجيئه.

في أي هزيع يأتي رب البيت:

أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحا... متى يأتي؟

هو لا بد أنه آت ومجيئه الثاني المخوف المملوء مجدا، حيث يجتمع إليه الكل ويقف أمام منبر المسيح المخوف ديان الأرض كلها كل واحد ليعطي حسابا عما قدمه بالجسد خيرا كان أم شرا.

فهل يعمل الإنسان حساب هذا اليوم وهل يستعد بماذا يجاوب ديانه؟ المجيء العام للدينونة أمر مؤكد لدى جميع البشر.

أما قول الرب " لا تعلمون متى يأتي رب البيت... فقد أخفى هو بحسب تدبيره موعد مجيئه وقالها بوضوح شديد للرسل الأطهار أن ليس لهم أن يعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه وحده وأن ي ـوم مجيئه لا تعرفه ولا الملائكة الذين في السماء.

والمطلوب من الإنسان أن لا ينشغل بهذا الأمر إلا من جهة الاستعداد وأن يوجد الإنسان في ذلك اليوم وتلك الساعة بغي ـر خ ـوف ولا اضطراب، ب ـل ي ـك ـون ل ـه ثق ـة ولا يخجل من المسيح عند مجيئه.

أما وقد قسم الرب ساعات الليل إلى مساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحا.

فهذا ما أخذته الكنيسة ورتبت عليه صلوات السهر من المساء صلاة النوم إلى صلوات نصف الليل بالثلاث خدم ثم صلاة (صياح الديك) السحر وهي فجرا، وقد ضمت إلى صلاة باكر التي قال عنها الرب صباحا، وقد جهزت الكنيسة أولادها المختارين بالتسابيح لتفهم الألحان ومصابيحهم موقدة في حالة استعداد يومي

لملاقاة المسيح.
فلا غفلـة ولا نوم ولا كسـل بـل جـهـاد وسهر وصحو وانتظار، هكذا عاش أولاد الله حياة الصلاة والسهر وانتظار مجيء المسيح.
وقد قيل أن هذه الساعات قد تعني مراحل عمر الإنسان المختلفة، فالمساء هو مقتبل العمر ونصف الليل هو نصف العمر وهكذا صياح الديك وصباحا يعني اكتمال العمر في الشيخوخة.
وهكذا قد يترك الإنسان هذا العالم في أي لحظة في أي وقت وفي أي مرحلة من مراحل الحياة... والأمثلة لا تقع تحت حصر أو عد فقد رأينا المئات والآلاف يتركون العالم في جميع الأعمار وتحت كافة الظروف والمسببات وبدون أسباب... والأمر يحتاج إلى يقظـة وتفهـم وصية المسيح واعتبارها بكل الاعتبار " ما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا " (مر ١٣: ٣٧)
هنا يأتي السهر بمعنى اليقظة الروحية مع الانتظار والتوقع لئلا تأخذ الإنسان غفلة فينام، فيسرق العدو خلاصه ويفقده إكليله.
المسيحي الحقيقي إنسان سهران دائما يقظ دائما بحسب وصية المسيح وبحسب قلب عروس النشيد المغبوطة حتى في نومها إلا أن قلبها دائما مستيقظ لا ينام.
قال الرب هذا الكلام ثم أردفه بالمثل موجها كلامه إلى رسله الأطهار وقد أورد القديس لوقا الإنجيلي هذا المثل بعينه في (لو ١٢: ٤١ - ٤٨).
" فقال لـه بطـرس: يـارب، ألنـا تقـول هذا المثل أم للجميع أيضا؟ فقـال الـرب: فمـن هـو الوكيل الأمين الحكـيم الـذي يقيمه سيده على خدمـه ليعطيهم العلوفة في حينها؟ طـوبي لذلك العبـد الـذي إذا جـاء سيده يجـده يفعـل هـكـذا! بـالحق أقـول لـكـم: إنه يقيمه على جميع أمواله، ولكن إن قال ذلك العبـد فـي قلبـه: سيدي يبطئ قدومه، فيبتدئ يضرب الغلمان والجواري، ويأكل ويشرب ويسكر. يأتي سيد ذلك العبـد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفـها، فيقطعـه ويجعـل نصـيبه مع الخائنين " (لو ١٢: ٤١ - ٤٦).

المثل:
هذا المثل يخص بالدرجة الأولى الخدام الذين أوتوا وكالة واؤتمنوا من قبل السيد الرب على إخوتهم العبيد مثلهم. لكي يعطوا رفقاءهم طعام الحياة الأبدية في حينه الحسن وهو من أمثال الدينونة التي يظهر فيها المسيح الملك في مجيئه الثاني المخوف حين يعطي الطوبي للأمناء الأحباء ويجازي الأردياء...
وهو أمر يدعو إلى الانتباه والسهر والحرص والأمانة وانتظار المسيح الذي لا بد وأنه آت، وإن كان طويل الأناة وبطيء الغضب.
فحديث المسيح المبارك كـان للرسل وقد فهمـوا وأدركوا كلام الرب ووعوده ولكن القديس بطرس في معرض حديث الرب سأله سؤاله الشهير: ألنا تقول هذا المثل أم للجميع؟ وعلـى عـادة الـرب لـم يـجـب على القديس بطرس بالإجابة المباشرة ولكن أجاب بهذا المثل على السؤال، وهو إن كان يؤكد على مسئولية المسئولين إلا أنه أيضا يخص الجميع على اعتبار أن كل واحد منا مسئول في

حدوده، ومكلف من قبل الرب على وكالة إن كبرت وإن صغرت فالذي لم يؤتمن على كنيسة وجماعة مؤمنين فهو قد أؤتمن على بيت وأولاد، والذي لم يعط بيتا وأولادا فقد أعطى بطريق آخر مسئولية محددة لا بد أن يعطي حسابا عنها. ويسأل ف ـي ال ـوك ـلاء بصفة عامة أن يوجد الوكيل أمينا فمن أثبت أمانته في القليل فإنه يقام على الكثير ومن وجد ظالما في القليل فكيف يؤتمن فيما بعد؟

ولنبدأ المثل بالسيد الرب الذي يقيم العبيد ويحسبهم أمناء، وكأن ـه مس ـافر غائ ـب ف ـي ح ـي ـن أن ـه دائ ـم الحض ـور وواج ـب الوج ـود، لا يخل ـو م ـن ـه زم ـان ولا يفتق ـر إلي ـه مك ـان ب ـل إن ـه ف ـوق المكان والزم ـان فه ـو غي ـر المحص ـور وغي ـر المحدود ولكن غياب السيد كان في قلب العبد الرديء وفكره فقط، فقد غاب السيد عن بصره بل غاب عن بصيرته، وظن فيما يظن قوم التباطؤ، فحسب إمهال السيد تباطؤ وحسب طول أناته كأنه غير عارف أو غير معاقب وغير محاسب.

ولكن هذه هي صفات الرب التي لا بد أن ندركها أنه حاضر دائما، ملاحظ دائما، سامع دائما، يكتب الأعمال في سفر التذكرة الأبدي، فالأقوال والأفعال محسوبة علينا مسجلة في سجلات الأبد وإن كانت الآن غير مرئية ولكنها ستفتح حين يفتح سفر الحياة وتكشف حين تكشف سرائر الناس.

ولأن ـه خي ـر ص ـال ـح ب ـل ه ـو الخي ـر ذات ـه والص ـلاح ذات ـه، يحسب العبد أمينا فيستأمنه ويستودعه خيراته ونعمه ويترجى فيه أن يكمل سيرته في الصلاح، والعيب دائما فينا حين لا تصير العطايا الإلهية دافعا بالأكثر للجهاد في الأمانة وحين تنحرف بنا الطرق في منتصف المسيرة فلا تكمل الأمانة.

وقد يسأل السائل لماذا يأتمن الرب مثل العبد الرديء وهو يعرف سابقا ما انعقدت عليه نية العبد البط ـال من الخيانة وعدم الأمانة؟ والجواب على ذلك أن معرفة الله للأمور قبل كونها هي سابق علمه إذ لا يخفى عليه شيء وهذه المعرفة هي خاصة به وحده ولكنها لا تؤثر بحال من الأحوال على إرادة الإنسان وتدبيره، وحرية اختياره وحرية سلوكه.

وقد يقرب الأمر إلى الفهم مثل المدرس الحصيف الكثير الخبرة بأمور التلاميذ وقد يعرف المدرس بسابق خبرته في بداية العام الدراسي من هو التلميذ الأول الممتاز ومن هو التلميذ البليد الأخير... ومع ما يبذله المدرس من جهد وما يعطيه من علم للجميع على قدم المساواة فإنه يصدق حدس المدرس وما سبق فأنبأ به إذ يتفوق الأول ويرسب الأخير، وفي هذه الحالة لا دخل لسبق معرفة المدرس بهذه النتيجة التي توقعها وأنبأ بها، ومسرة المدرس دائما في نجاح جميع تلاميذه لأنه لا يسر مطلقا بالفشل. على هذا يؤخذ الأمر أن ربنا رغم سابق علمه بما سيكون من شأن العبد البطال فإنه يأتمنه ويقيم ـه، هذا أمر عجي ـب يظه ـر س ـخاء نعمة ربنا ويظهر إرادته الحسنة نح ـو الجميع إذ هو يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.

وهكذا كما قيل في مثل الزارع، أنه حتى الأماكن المحجرة والطريق والأرض التي بها شوك لم تعدم واحدة منها أن يلقي الرب بذاره عليها، لعلها تأتي بثمر أو لعلها

تعود فتنصلح وتغير ما بها، فلو أنها تنقت لأثمرت للرب ثمرا جيدا.
فيا ليت عطاي ـا ربنا ومواهب ـه تص ـير لن ـا ب ـالأكثر سبب خلاص ونجاة وتجعل فينا روح المثابرة والأمانة فيما وضع بين أيدينا.
نعود إل ـى ق ـول ال ـرب: م ـن ه ـو ي ـا تُ ـرى العبد الأمين والحكيم؟ ففي مقابل المسئولية يحتاج الأمر إلى ركيزتين:

١. الركيزة الأولى هي الحكمة:
أم ـا م ـن تعوزه الحكمة فليطل ـب م ـن ف ـوق فستعطى له، ولا يوج ـد ط ـري ـق آخ ـر لاقتن ـاء الحكم ـة النازل ـة م ـن ف ـوق س ـوى الص ـلاة والتض ـرع أم ـام الله وس ـك ـب ال ـنفس ف ـي اتضاع وتوسل حتى يعطى الإنسان هذه العطية العظمى والثمينة.
والرب يسر بطالبي الحكمة مثل سليمان حين لم يطلب سواها فإنه حازها باقي العطايا، وحين يتربى العبد على كلام الكتب التي هي أنفاس الله وحين يجلس إلى الشيوخ المدبرين حسنا أي يتتلمذ على قدمي الآباء... يزداد حكمة...
ولكن شتان بين حكمة الروح وحكمة العقل، بين حكمة أولاد الله وحكمة حكماء هذا الدهر الذين يبطلون، يكفي أن نعرف أن الحكمة النازلة من فوق هي أولا طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعن ـة مملوءة رحم ـة وأثم ـارا صالحة عديم ـة الري ـب والرياء.
هذه هي صفات الحكمة الروحية إذا سكنت الإنسان فإنها تزينه بهذه الفضائل ولا سيما في خدمة النفوس التي يؤتمن عليها.
صفتها الأولى القداسة لأنها حكمة تصدر من ملء الروح القدس، فإن شابتها شائبة النجاسة فقد انتفى أن تكون حكمة الله، فإن افتقر الإنسان إلى الطهارة فإن حكمته مهما بلغت في أعين الناس فهي حكم ـة ليست نازل ـة م ـن ف ـوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية.
صفة الخادم الحكيم الأولى هي تمسكه ب ـروح القداسة والعف ـة، ه ـي ك ـن ـزه ورأس مال ـه فه ـو ط ـاه ـر ف ـي قلب ـه طاهر ف ـي ف ـك ـره، ط ـاه ـر ف ـي نظ ـره، ط ـاه ـر ف ـي ك ـلام ـه، طاهر في صمته، ثم يتبع الامتلاء من الحكمة السلام.
فخادم الرب الحكيم إنسان مسالم بعيد عن العداوة والحقد والكي ـد والضغينة والسياس ـات والمؤامرات والتحزب ـات والتشويشات.
صفة الحكمة الروحية أنها مترفقة ومطيعة ومملوءة رحمة بالعبيد رفقائه، يا ليت الروح يغني الكنيسة بمثل هذه النعم التي تفتقر إليها في غالب الأحيان.

٢.الركيزة الثانية هي الأمانة:
وفي اللغة العربية كلم ـة الإيمان والأمان ـة ش ـيء واح ـد.
فالأمانة تعني أن يحفظ الإنسان ما عنده بدون إضافة أو نقصان ليسلمه كما هو أي ليس لذاته دور في الأمر، ما استلمه يحفظ ليسلمه.
كقول الرسول بولس " سلمت إليكم في الأول م ـا قبل ـته أنا أيضا " (اكو ١٥: ٣)،

فالعبد الأمين لا يضيع ولا يفرط في ما أخذه من الله من عطايا وهبات بل يتاجر بها ويربح بزيادة وبلا نقصان... وهو عكس الذي يخون الأمانة ويتصرف فيما ليس له كأنه يخصه.
أما من جهة الذين ائتمنهم الله على كنيسته، فالأمانة هي الركيزة العظمي، فالحفاظ على الإيمان المسلم مرة للقديسين بلا انحراف وبلا تغيير، والحفاظ على تراث الكنيسة كما تسلم إليهم من الآباء من طقس وألحان وأعياد على بيت سيده يحفظه كما هو في ترتيبه وفي تدبيره.
ليس للعبد أن يغير العوائد ولا أن يدخل إلى بيت سيده ما يستحسنه هو أو يستغني عن شيء مما في بيت سيده كأنه بلا قيمة، بل الأمانة تقتضي أن يحفظ كل شيء كما هو على يوم مجيء سيده، الأشياء التي لا يعرف قيمتها ويفتكر أنها بلا قيمة قد تساوي الكثير في عين سيده صاحب البيت وعارف قيمة الأشياء.
مع تغير الزمن والأجيـال قـد تبدو بعض الممارسات الكنسية أو الألحان الطويلة أو العبادات أو السهر أو التسبيح أنهـا لـم تـعـد مناسبة للجيـل أو لظـروف النـاس أو... إلخ فيبتدأ المؤتمنون في التخفيف والتقليل والحذف والاستغناء، هذه ليست أمانة فإن كان أحد لا يعرف قيمة الجواهر، فإنه يبيعها بأبخس الأثمان.
فالذي لا نستسيغه أو لا نعرف قيمته ليس من حقنا أن نتخلص منـه أو نلغيـه أو نهملـه أو نستغنى عنـه... مـا لا نعرف قيمته ليس أقل من أن نتركه كما هو، ونحتفظ به بأمانة كمثل إنسان ورث قصرا كبيرا عن أجداده فيدخل إلى القصر وهو لا يعرف قيمة النفائس والأشياء غالية الثمن ويفتكر فيها أنها قديمة بالية غير ذات قيمة، فيبتدئ يلقى بها إلى خارج بينما هي لا تقدر بثمن ولكنها تحتاج لعين خبير محنك، أو أقل ما يقال أنها غاليـة في عين الآباء الذي وضعوها بالروح بل وفي عيني صاحب البيت.
يسأل في الوكلاء أن يوجد الوكيل أمينا، هكذا تعلمنا من الآباء القديسين الذين حفظـوا لنا الكنيسة بكل ما فيها من كنوز حتى وصلت إلينا وسلمونا إياها... فهل نكون أمناء حتى نسلمها كما هي لمن يأتي بعدنا؟
وما يقال عن التفريط في الأشياء الثمينة، يقال أيضا عن الاضافات التي يستحسن البعض أن يعملها في الكنيسة لكي يرضـوا النـاس أو لكي يحببـوا إلـيهم العبـادة بأساليب غير كنسية مثل التراتيل والأنغام العالمية أو الغريبة أو الطـرق والاختراعات والتطورات التي لا تمـت إلـى روح الكنيسـة والآباء...
كل هذا يعتبر عدم أمانة لأن الزيادة أو النقصان يضران بالأمانة على حد سواء.
إن تاريخ كنيستنا حافل بأمثلة الآباء الذين حفظوا الأمانة حتى النفس الأخير وفرطوا حتى في حياتهم ولم يفرطوا في الأمانة، يكفي أن تدرس حياة أثناسيوس وديسقورس وكيرلس الكبير، بل كان الأباء البطاركة القديسون يضربون المثل الأعلى في الحفاظ على كل ما في خزائن الكنيسة من نفائس وذخائر الطقس والعقيدة والألحان والأعياد والصـلوات... ووقفوا بحزم ضد كل تغيير أو كل ما كان يرد على الكنيسة مـن بـدع أو هرطقـات أو مـا يهـب على الكنيسـة مـن رياح غريبة.

ومن أجمل الكلمات المتداولة في الحياة الكنسية كلمـة " التسليم "و" التقليد "، وهو التسليم الشفاهي للحياة المسيحية، فالشماس مثلاً يستلم الألحان... إنها أمانة سلمت له لكي ينقلهـا كمـا هـي بروحها ونصها ولحنهـا لمـن يـأتي بعـده... والكاهن يستلم الذبيحة ويستلم الأسرار... إنها أمانة أولاً وأخيرا ومتى استلم الإنسان الأمانة سيأتي ساعة يقف فيها أمام رب البيت يسأل هل كان أمينا أم لا؟

مكافأة الأمانة:

الحق أقول لكم: إنه يقيمه على جميع أمواله... هكذا قال الرب.
لا يخطر على فكر البشر نوع المكافأة التي سيكلل بها الـرب مختاريه الأمناء، إذا وجـدهم أمنـاء فـي القلبـل فـإنـه يعطيهم ملكوته ويكللهم بالكرامة.
ما بالنا لا تفكر في هذا النصيب الفاخر، وانحصر نظرنا في زوال العالم... إن الأجرة التي تنتظرنا لا تخطر على بال إنسان، لماذا لا نتشجع في طريق الحكمة والأمانة ونترجي ملكوت الله؟ لماذا نتكاسل ونهمل؟ ولا نحفظ الأمانة بسهر؟ إن عوض الأتعاب الزمنية التي أظهرها الأبرار والصديقون والشهداء والنساك ولباس الصليب فإنهم نالوا بهاء ومجد وكرامة في السماوات، شيء لا يعبر عنه!! فالأتعاب وقتية والتنعم أبدي.
والضيقة خفيفة إذا ما قورنت بثقـل المـجـد الأبـدي " خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنـا أكـثـر فـأكثر ثقـل مـجـد أبـديا " (٢ كو ٤: ١٧)، والآلام يسيرة وبعدها هو يكملكم بالكمال الذي لا يشوبه نقص ولا كدر.
ويكفي أن نتأمل كيف وعد الرب ملائكة الكنائس السبع في سفر الرؤيا: كل من يغلب كيف سينال مكافأة فائقة للإدراك ولا يعرفها سوى الذي ينالها ويتمتع بها.

العبد الرديء:

تصرفات العبد الرديء مشينة وفكر قلبه منحرف بطال.
يبدأ الأمر في تصورات قلب العبد الشريرة..." إن سيدي يبطئ في قدومه "، وبناء عليه يبتدئ في تصرفات الرعونة والطياشـة والـغـرور والكبرياء ثـم الفساد والنجاسة فيبتـدى يضـرب العبيد والإمـاء، "تسلط وكبرياء "، ويأكل ويشـرب ويسكر وكلهـا منعطفـة نـحـو التلذذ الحسي والإغراق في العالميات مع الإفراط والتفريط.
ولكن دعنا نركز ذهننا في حرمة انحدار القلب الذي منه مخارج الحياة.
قال في قلبه إن سيدي يبطئ في قدومه، فقد غاب وجود السيد وحضـوره مـن قلـب الـعـبـد البطـال وتصـوره... فالعبـد الأمين، صاحب الإيمان يرى برؤيا الإيمان حضور السيد ويدرك وجوده مثل يوسف الصديق في القديم حين قال " كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟ " (تك ٣٩: ٩)، فالله عند يوسف الصديق حاضر وناظر ومطلع بينما هو بالنسبة لامرأة فوطيفار غائب بلا وجود بعيد لا تدركه الحواس، قال العبد البطال: سيدي يبطئ في قدومه، أو لعله لا يأتي!! تسويف العمر باطلاً هي إحدى الضربات الشيطانية التي يتعرض لها الكثيرون فمشورة العدو دائما هي تأجيل التوبة ومحاسبة النفس، أي تأجيل الوقوف أمام

الله، والمصالحة مع الله، والإحساس بحضور الله، وهو لا يشير على النفس بعدم التوبة نهائيا، بل فقط تأجيلها. وكأنه يهمس في الأذن ويقول الإنسان سيدي يبطئ في قدومه ومادام الحال هكذا فلنأكل ونشرب ونسكر، ومن هو الذي يحاسبني؟
ما أخطر أن يغيب السيد الرب عن الذهن وعن العين والفكر والقلب...!!
بينما هذا العبد بذاته لو كان سيده حاضرا لوجدته يعمل الأعمال بنشاط وإتقان وهو خائف لأن سيده واقف حاضر يلاحظ عمله.
لذلك يعوزنا الإيمان الحقيقي بحضور الله الدائم في حياتنا ويلزمنا أن يرافقنا هذا الإحساس أينما كنا وحيثما كنا... فنعمل أعمالنا في حضرته ونتكلم كلامنا أمامه.
كنت أزور بيت أحد أحبائي فوجدت لافتة معلقة في حجرة الاستقبال مكتوب فيها أن الرب يسوع هو الضيف الدائم غير المرئي وهو يسمع لكل ما يقال في الحجرة ويلاحظ كل ما يعمل فيها.
فلنحذر من التهاون ولنحذر من التسويف الباطل ولنعمل حساب أن السيد قد يأتي في أية ساعة لا نعرفها ولا نتوقعها، وقد أخفى ميعاد مجيئه لخيرنا إذ يجعلنا هذا الأمر في حال الاستعداد الدائم.

فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه:
إن غياب السيد عن ذهن العبد البطال قلب الموازين عنده، فالعبيد رفقاءه وإخوته صاروا في ذهنه عبيده وجواريه، لقد ارتفع قلبه وضربة المرة تعظمت الذات وأفرخت الكبرياء، صار سيدا بين إخوته ومتسلطا عليهم وهذا هو ضد ناموس المسيح الذي يجعل الأول خادما والعظيم هو الذي يغسل الأرجل.
وإذ تعظمت الذات صار ضرابا معتديا ظالما مجحفا بدل أن يكون رحيما في وسط إخوته مترفقا حنونا. الكبرياء شر مهلك، تفسد كان الإنسان وتجعله بلا رحمة وكأنه ديان محاسب وينسى أنه عبد كبا قي العبيد.

يأكل ويشرب ويسكر:
انعطاف نحو الذات تضخمت، وإغراق في الملذات من أكل وشرب ثم سكر من خمار العالم الزائل.
هذا مسلك مشين من عبد كان مؤتمنا على أموال سيده. تحرزوا من خمار هذا العالم لئلا تثقل قلوبكم، فالخمر المادية تثقل العقل أما من يسكر من ملذات العالم ويتخم من مجده الباطل فإن قلبه يثقل فيفقد الإحساس، أي يفقد حاسة الملكوت ويفقد الإيمان ويفقد الرجاء ويفتقر إلى كل ما هو روحي.
العبد الأمين والحكيم يعمل ليسعد إخوته، يعطيهم طعامهم في حينه ويسهر على راحتهم ويطلب خلاصهم... إنه خادم باذل.
أما العبد البطال فهو يعمل لحساب ذاته ولحساب لذاته يأكل ويشرب ويسكر ولا يبالي بالعبيد رفقائه.

العبد الحكيم يعمل حسابا وألف حساب ليوم مجيء سيده فيسهر مستعدا يقظا وصاحيا منتظرا.
أما العبد البطـال فيفاجأ بمجيء سيده بغتة وعلى غير توقع وهو في حال سكره وخمار العالم قد أظلم عقله وقلبه وناظريه.
كمثل العبد البطال كان بيلشاصر الملك في غيه وغياب عقله يأكل ويشرب ويسكر مع جواريه، بل أنه أخذ آنية بيت الرب غير عابئ بقدسيتها أو عاملا لحساب صاحبها... لقد بلغ الاستهتار منتهاه...
وإذ هو غارق في الملذات سكرانا غائب الذهن أفاق فزعا على منظر اليـد التـي كـتـبـت قضيته على مكلس الحائط " أحصى الله ملكوتك وأنهـاه... وزنت بـالموازين فـوجـدت ناقصا " (دا ٥: ٢٦- ٢٧)، وقد كانت نهايته في تلك الليلة على غير توقع منه.

المجيء الثاني:
عند العبد الحكيم الأمين حالة توقع وانتظار مع فرح اللقاء وحسن المجازاة فلسان حاله يقول: " آمين تعـال أيهـا الـرب يسوع " لأن صوت الرب ووعده " أنا آتي سريعا وأجرتي معي " لا يغيــب لحظـة واحـــدة عـن قلـب العبـد الأمين.
بينما هذا المجيء عينه يكون للعبد البطال مباغتة مرعبة ومواجهة مفزعة تنتهي على الفرح الكاذب والسكر الذي يغيب الوعي، يصحو كما يصحو إنسان من نومه على حريق مروع أو زلزال مهلك فيرتاع.
يقولون للجبـال اسقطي علينا وللأكـام غطينـا مـن وجـه الجالس على العرش، بئس النهاية وبئس المصير.
ألا يحتاج الأمر إلى مراجعـة جـادة مـع النفس، وتوبة صادقة ورجوع إلى الله وطلب مراحم القدير، وما فاتنا نستطيع بنعمـة المسـيح أن نلحـق بـه ومـا شـيـعناه مـن عمـر وما قصرنا فيه من تأدية الأمانة وما أهملناه بسبب تسويف العمر باطلا كل هذا يمكن استدراكه ويمكن إصلاح السيرة واستقامة المسيرة إن نحن وعظنا أنفسنا ووعينا قول المسيح المبارك في هذا المثل الحي.
يا ليت الرب يحسبنا مع عبيده الأمناء ويسند ضعفنا فنخدمـه ببر وطـهـارة وتدبير حسن ويحنن قلوبنـا علـى إخوتنا فنخدمهم ونبذل نفوسنا لأجلـم ونقتنـي لنـا صـحوة روحيـة وإحسـاس صـادق بقـرب مـجـيء الـرب مخلصـنا الذي سيكلل مختاريه بالكرامـة ويـجـازي كـل واحـد بحسب عمله.

إطعام العبيد:
من خير صانع الخيرات ومن مخازن النعم الغنية يخرج العبد الفطن الأمين والحكيم في الحين الحسن، يخرج ليشبع ويغذي، ومائدة السيد ومخازنـه مـا كـانـت يومـا فارغـة، لقـد استودعنا السيد خيراته الإلهية وجعل عبيده وكلاء سرائره، فمن مخزن الحنطة الإلهية يطعم المستحقين خبز الحياة، وهو حاضر على المذبح كل يوم... الخبز النازل من السماء لكي يأكله الإنسان ولا يموت، ومن كنز الروح القدس يقدم الخيرات في مائدة كلمة الله المشبعة للنفس، وجدت كلامك حلـو

فأكلته "،
" فأطعمني ذلك السفر " ويشبع النفس الذليلة، وتكس‍ـر للج‍ـائع خب‍ـز الشبع، م‍ـن مشتهيات ال‍ـروح يشبع متواضعي الروح، من صبر كثير ورجاء راسخ، وحب حقيقي وقداسة السيرة وملء الصوم وسخاء العطاء في الرحمة.
وكقول إشعياء: "إن أنفقت نفسك للجائع" وهذا هو قمة العطاء، عطاء النفس على مثال المسيح مخلصنا.
فبماذا يكافئ مثل ذلك العبد، الذي لا يهدأ حتى يطعم ويريح ويشبع كل نفس، حاسبا نفس‍ـه خادما للجميع ينفق وينفق ويكسر خبزه مع نفسه ويضع ذاته لأجل أحبائه؟!
بماذا يكافئ متى جاء سيده ووجده يفعل هكذا؟

حقا أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله، هكذا قال الرب، إذ صار أمينا فيما أوكل إليه من عطايا الروح وغنى المسيح فإنه يؤتمن إلى الأبد.
فما عاشه بالإيمان سينعم به بالعيان في استعلان ملكوت المسيح ومجيئه، الأمين في المحبة سيحيا محبا محبوبا في ملكوت محبة المسيح.
* الأمين في القداسة سيرث في ملكوت القديسين.
* الأمين في الأسرار سيؤتمن على ما لا تراه العين ولم تسمع به الأذن.
إن قول الرب أنه سيقيمه على جميع أمواله شيء يحير العقول، فمن هو يا ترى كفء لهذه الأمور!!
بقى أن ندرك مقدار أهمية هذا المثل في تدبير الكنيسة المقدسة، فقد جعلته أمامنا كل يوم حين وضعته في صلاة نصف الليل في الخدمة الثالثة... لكي إذا ما صلينا كل يوم في نصف الليل والعالم غارق في نومه... نحسب مع العبد السهران المنتظر قدوم سيده ونتحذر جدا من مسلك العبد البطال.
ولنتأمل الطلبة العميقة التي تضعها الكنيسة في أفواهنا لنصرخ بتوسل وانكسار ونقول للرب " بعين متحنن‍ـة ي‍ـارب، أنظر إلى ضعفي، فعما قليل تفنى حياتي، وبأعمالي ليس لي خلاص. لهذا أسأل: بعين رحيمة أنظر إلى ضعفي وذلي ومسكنتي وغربتي ونجني ".
ثم كيف نبكت أنفسنا ونقول "ليس رحمة في الدينونة لمن لم يستعمل الرحمة. لهذا اشفق علي أيها المخلص، لأنك أنت هو محب البشر وحدك ".
فالرحمة القلبية هي الكيل الذي ينبغي أن نكيل به لكل أحد، كيل محبة وغفران وعطاء وسخاء، وبهذا الكيل نفسه يك‍ـال ل‍ـن‍ـا ف‍ـي السماء م‍ـن قب‍ـل ال‍ـديان الع‍ـادل ال‍ـذي ق‍ـال " بالدينون‍ـة ال‍ـت‍ـي به‍ـا ت‍ـدينون ت‍ـدانون، وبالكي‍ـل ال‍ـذي ب‍ـه تكيل‍ـون ي‍ـك‍ـال ل‍ـك‍ـم " (مت ٧: ٢).